قرة عيون الموحدين

في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

حاشية العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن

على

كتاب التوحيد

لجدّه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

أعظم الله لهما الأجر والثواب

طُبِعَ على نفقة إمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين

الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

خدمة للعقيدة ونشراً لها

صحّحه وعلّق عليه

فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري

١٣٩٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة مؤلف « قرة عيون الموحدين »

بقلم حفيده صاحب السماحة

الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ

هو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف التميمي نسبة إلى تميم الذي قال الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه في بنيه (لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها : هم أشد أمتي على الدجال — وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال : أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل — وجاءت صدقاتهم فقال : هذه صدقات قومي) رواه البخاري في صحيحه .

نشاته وتلقيه للعلم

ولد الشيخ عبد الرحمن بن حسن عام ١١٩٦ في الدرعية ونشأ في ذلك البيت الأصيل في الشرف والعلم فاعتنى به جده مجدد الدعوة المحمدية شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وأعمامه الأئمة الاعلام وخيار أهل العلم في نجد فقرأ على جده شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب (كتاب التوحيد) من أوله إلى أبواب السحر وجملة من (آداب المشي إلى الصلاة) وحضر عليه مجالس كثيرة في صحيح البخاري والتفسير وكتب الاحكام بقراءة عمه وشيخه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب . وفي كتاب البخاري بقراءة عمه وشيخه الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب وفي تفسير سورة البقرة من تفسير ابن

كثير بقراءة عمه الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الوهاب . وحضر قراءة عمه وشيخه الشيخ حسين وهو اذ ذاك في سن التمييز على والده شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وحضر قراءة الشيخ عبدالله بن ناصر في (منتقى الاحكام) على شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب كما حضر الشيخ عبد الرحمن مجالس أخر على جده بقراءة مشايخ آخرين . (١)

وقرأ الشيخ عبد الرحمن بن حسن على كل واحد من أعمامه الثلاثة المشايخ عبدالله وعلي وحسين أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب جملة كثيرة من الحديث والفقه وحضر عليهم مجالس في الحديث والفقه . وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر مختصر الشرح والمقنع وغيرهما وقرأ على الشيخ عبدالله بن فاضل في السيرة النبوية وعلى الشيخ عبد الرحمن بن خميس شرح الشنشوري في الفرائض وعلى الشيخ احمد بن حسن بن رشيد الحنبلي شرح الجزرية للقاضي زكريا الأنصاري وعلى الشيخ أبي بكر حسين بن غنام شرح الفاكهي على متممة النحو .

هذا بعض مشايخ عبد الرحمن بن حسن في نجد أما مشايخه من أهل مصر فمن فضلائهم :

١ — الشيخ حسن القويسيني المصري حضر عليه شرح جمع الجوامع في الأصول للمحلي ومختصر السعد في المعاني والبيان ولم يفته من الكتابين سوى شيء يسير وأجازه الشيخ القويسيني جميع مروياته ودفع له نسخته المتضمنة لاوائل الكتب التي رواها بسنده إلى الشيخ المحدث عبدالله بن سالم البصري شارح البخاري وأجاز له جميع ما فيها بروايته عن الشيخ عبدالله الشرقاوي عن الشيخ محمد بن سالم الحفني عن الشيخ عيد بن علي النمرسي عن الشيخ عبدالله بن سالم البصري كما أجازه القويسني صحيح البخاري بروايته عن الشيخ

(١) وأسانيد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب معروفة تلقاها عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة منهم محمد بن حياة السندي والشيخ عبدالله بن ابراهيم الفرضي الحنبلي كما قرره الشيخ عبدالرحمن بن حسن المترجم .

داود القلعي عن الشيخ احمد بن جمعة البجيرمي عن الشيخ مصطفى الاسكندراني المعروف بابن الصباغ عن الشيخ عبدالله بن سالم البصري بسنده الآتي في إجازة الجبرتي للشيخ عبد الرحمن بن حسن وأجازه القويسني أيضاً رواية صحيح البخاري عنه عن شيخه سليمان البجيرمي عن الشيخ محمد العشماوي عن الشيخ ابى العز العجمي عن الشيخ محمد الشوبري عن الشيخ محمد الرملي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ بن حجر العسقلاني عن الشيخ التنوخي عن الشيخ سليمان بن حمزة عن الشيخ علي بن الحسين بن المنير عن ابي الفضل بن ناصر عن الشيخ عبد الرحمن بن منده عن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الجوزقي عن مكي بن عبدان النيسابوري عن الامام مسلم عن الامام البخاري . قال (قلت وبهذا السند روى صحيح مسلم) وقد أثنى الشيخ عبد الرحمن بن حسن على شيخه هذا – القويسني – بأنه من فضلاء أهل العلم في مصر .

٢ – الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن (حدثني – أي الجبرتي – بالحديث المسلسل بالأولية بشرطه – أي وهو قول كل راوٍ من رواته (وهوأول حديث سمعته منه) .

وقرأت عليه سنـــده حتى انتهيت إلى الإمام سفيـــان بن عيينه رحمه الله تعالى عن أبي قـــابوس مولى عبـد الله بن عمرو بن العـــاص عن عبدالله بن عمروبن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) وأجاز لي جميع مروياته عن شيخه الشيخ مرتضي الحسيني – أي مؤلف تاج العروس وغيره من المصنفات المختارة القيمة– عن الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل وعن الشيخ أحمد الجوهري كلاهما عن عبدالله بن سالم البصري وهو يروى عن أبي عبدالله محمد بن علاء الدين البابلي عن الشيخ سالم السنهوري عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ شيخ الإسلام احمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري . وأكثر روايات من ذكرنا من مشايخنا للكتب تنتهي اليه وأما روايتهم للبخاري فرواه الحافظ بن حجر رحمه الله عن ابراهيم

ابن احمد التنوخي عن أحمد بن أبي طالب الحجار عن الحسين بن المبارك الزبيدي الحنبلي عن ابي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد ابن المظفر بن داود الداودي عن أبي محمد عبدالله بن أحمد السرخسي عن أبي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن الامام البخاري رحمه الله . قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن (وقرأت عليه – أي على الجبرتي – أسانيده عن شيخه المذكور – يعني مرتضى الحسيني – متصلة إلى مؤلفي الكتب الحديثية كالامام أحمد ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه رحمهم الله فأجازني بها وبسند مذهبنا بروايته عن شيخه المذكور – أي مرتضى الحسيني – عن السفاريني النابلسي الحنبلي عن أبي المواهب متصلاً إلى امامنا – اي أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى .

٣ – الشيخ عبدالله باسودان وهو أكبر من لقيه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بمصر من العلماء أجازه جميع مروياته ودفع له نسخته المتضمنة لأوائل الكتب التي رواها بسنده إلى الشيخ المحدث عبدالله سالم البصري وفي ذلك يقول العلامة عبد الرحمن بن حسن (أجازني – أي الشيخ عبدالله باسودان – بجميع ما في نسخة الشيخ عبدالله بن سالم المعروفة بمصر ونقلتها من أصله فهي الآن موجودة عندنا مسندة الى الشيخ المذكور بروايته عن محمد بن أحمد الجوهري عن أبيه عن شيخه عبدالله بن سالم) قال الشيخ عبد الرحمن (و أجازني برواية مذهب إمامنا – أي الإمام احمد بن حنبل رحمه الله – بروايته عن الشيخ أحمد الدمنهوري عن شيخه احمد بن عوض عن شيخه محمد الخلوتي عن شيخه الشيخ منصور البهوتي عن الشيخ عبد الرحمن البهوتي عن الشيخ يحيي بن موسي الحجاوى عن أبيه وسند الأب مشهور إلي الإمام أحمد رحمه الله .

٤ – مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن (وجدته حسن العقيدة طويل الباع في العلوم الشرعية وأول حديث حدثنيه المسلسل بالأولية رواه لنا عن شيخه حمودة الجزائري بشرطه متصلا الى سفيان بن عيينة ، قال الشيخ عبد

الرحمن (وأجازني — أي مفتي الجزائر — بمروياته عن شيخه المذكور — أي حمودة — وشيخه علي بن الأمين وقرأت عليه جملة من صحيح مسلم وأول البخاري رواية ابن سعادة [١] بالسند المتصل إلى المؤلف رحمه الله تعالى وقرأت عليه جملة من (الأحكام الكبرى) للحافظ عبد الحق الاشبيلي وكتبت أسانيده في الثبت الذي كتبته عنه .

٥ — الشيخ ابراهيم العبيدي شيخ مصر في القراءات وكان يقرأ العشر قرأ عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن أول القرآن وذكر أن لديه أسانيد متصلة منه الى القراء السبعة وغيرهم .

٦ — الشيخ أحمد بن سلمونه ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن له بهذا الشيخ اختصاصاً كبيراً وانه قرأ عليه كثيراً من القرآن وكثيراً من الشاطبية وشرح الجزرية للشيخ زكريا الأنصاري ، وأثنى الشيخ عبد الرحمن على شيخه هذا بأنه حسن الخلق متواضع له اليد الطولى في القراءات والافادات وأن له روايات وأسانيد متصلة الى القراء السبعة وغيرهم .

٧ — الشيخ يوسف الصاوي قرأ عليه الشيخ عبد الرحمن الأكثر من شرح الخلاصة لابن عقيل رحمه الله .

٨ — الشيخ ابراهيم البيجوري قرأ عليه شرح الخلاصة للأشموني الى باب الاضافة وحضر عليه في السلم .

٩ — الشيخ محمد الدمنهوري حضر عليه الشيخ عبد الرحمن في الاستعارات والكافي في علم العروض والقوافي قال الشيخ عبد الرحمن قرأهما لنا بحاشيته بالجامع الأزهر .

---

(١) رواية ابن سعادة هذه أفضل من الروايات التي عند ابن حجر ولم يعثر عليها ابن حجر وهي المعتمدة بالمغرب نقل ذلك العلامة محمد الامير الكبير في كتابه « سد الارب من علوم الاسناد والادب عن الشيخ أبي البركات عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي » .

ذكر بعض من تلقى عنه العلم

كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى ملازما للتدريس ومرغبا في العلم معينا عليه كثير الاحسان للطلبة لين الجانب كريماً سخياً ساكناً وقوراً كثير العبادة مباركاً فيه للطلبة بحيث لا يلبث الطالب عنده الا يسيراً حتى يكون فائقاً بفهمه وقد تلقى العلم عنه من أجلة أهل العلم الكثير فممّن أخذ عنه ابنه الشيخ عبد اللطيف قرأ عليه في مصر ثم قرأ عليه في الرياض بعد قدومه من مصر – والشيخ حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الملك ابن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبدالله بن حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار ابن شبانة والشيخ عبد الرحمن بن حمد الثميري والشيخ عبدالله بن جبر والشيخ حمد بن عتيق والشيخ محمد بن سلطان والشيخ عبد العزيز بن حسن بن يحيى والشيخ محمد بن ابراهيم بن عجلان والشيخ محمد بن عبد العزيز والشيخ عبد الرحمن بن عدوان والشيخ محمد بن ابراهيم بن سيف والشيخ عبدالله بن علي بن مرخان والشيخ علي بن عبدالله بن عيسى والشيخ احمد بن ابراهيم بن عيسى والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع والشيخ محمد بن عبدالله بن سليم والشيخ محمد بن عمر بن سليم وغيرهم ممّن يطول الكلام بسردهم .

ثناء أهل العلم عليه

حظي الشيخ عبد الرحمن بن حسن بثناء اهل العلم عليه ومن ضمن ما جاء عنهم في ذلك ما وصفه بهِ ابن بشر في (عنوان المجد في تاريخ نجد) والشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدي في عقد الدرر فقد قال الأول في حوادث سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف (فيها أقبل من مصر الشيخ العالم النحرير – البحر الزاخر الغزير – مفيد الطالبين – المحفوف بعناية رب العالمين – جامع أنواع العلوم الشرعية – ومحقق العلوم الدينية والاحاديث

النبوية والآثار السلفية – وارث العلم كابرا عن كابر – الذي صارت الأصاغر بافادته شيوخاً اكابر قاضي قضاة الاسلام والمسلمين – مفتي فرق الانام الموحدين –ناصر سنة سيد المرسلين– الموفق للصواب في الجواب – الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . فقدم على الامام تركي بن عبد الله قدس الله روحه ففرح به واكرمه غاية الإكرام ، واغتبط بطلعته خاص المسلمين والعام) ومر ابن بشر إلى أن قال في تلك الترجمة القيمة لهذا الامام قال (وقد كان متنبهاً فطناً لدسائس اهل البدع كتبت له مرة ودعوت له في آخر الكتاب وقلت في ختام الدعاء (انه على ما يشاء قدير) فكتب إلي وقال في اثناء جوابه (ان هذه الكلمة اشتهرت على الالسن من غير قصد وهي قول الكثير اذا سأل الله تعالى (وهو القادر على ما يشاء) وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شراً وكل ما في القرآن (وهو على كل شيء قدير) وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة وهي والعلم صفتان شاملتان تتعلقان بالموجودات والمعدومات وانما قصد اهل البدع بقولهم (وهو القادر على ما يشاء) أن القدرة لا تتعلق الا بما تعلقت به المشيئة) قال ابن بشر (وكتبت إليه مرة أهنئه بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسلت إلى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لا يعلمها الا هو فكتب إلي (وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعواتك جزاك الله عني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات قلت (وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت) فاعلم أيها الاريب الأديب ان الذي لا يعلمه الا هو كيفية الصفة وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الامام مالك (الإستواء معلوم والكيف مجهول) ففرق هذا الامام بين ما يعلم من معنى الصفة على ما يليق بالله وبين الكيفية فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت كما وصف به نفسه وأما الكيف فلا يعلمه الا الله فتنبه لمثل هذا فالامام مالك تكلم بلسان السلف) قال ابن بشر بعد ذكر هذا عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله (فانظر إلى سعة علومه واطلاعه ومفهومه وما لديه من التحقيق والتدقيق) .

وقال الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى في حوادث السنة الخامسة والثمانين بعد المائتين والألف من كتابه (عقد الدرر فيما وقع في نجد من

الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر) (فيها عشية يوم السبت حادي عشر ذي القعدة الحرام توفي الشيخ الامام العالم الفاضل القدوة رئيس الموحدين وقامع الملحدين عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام وقدوة الاعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان إماماً بارعاً محدثاً فقيهاً ورعاً نقياً تقياً صالحاً له اليد الطولى في جميع العلوم الدينية) قال (ولم يزل على حسن الاستقامة والاعزاز التام ونفوذ الكلمة عند ولاة الامر فمن دونهم إلى أن توفاه الله تعالى في التاريخ المذكور .

مصنفات الشيخ عبد الرحمن بن حسن

صنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن تصانيف مفيدة عديدة منها « فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد » و « قرة عيون الموحدين » و « كتاب في الرد على داود بن سليمان بن جرجيس » و « كتاب في الرد على عثمان بن منصور » وغير ذلك وأجاب على أسئلة عديدة بأجوبة لو جمعت لجاءت في مجلد ضخم .

وفاته

تقدم آنفاً في كلام إبراهيم بن صالح ان الشيخ عبد الرحمن بن حسن توفي عشية يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة من السنة الخامسة والثمانين والمائة بعد الألف من الهجرة النبوية اسكن الله تعالى الشيخ عبد الرحمن بن حسن الفردوس الأعلى وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء [١] .

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف
ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

---

(١) أصول هذه الترجمة « روضة الافكار » لابن غنام و « جواب الشيخ عبد الرحمن بن حسن لمن سأله عن روايته عن مشايخه » وهو ضمن الجزء الثاني من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية طبعة المنار وعنوان المجد لابن بشر و « عقد الدرر » لابراهيم بن صالح بن عيسى .

المقدمة

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ اسماعيل الانصاري

منهجنا في تحقيق هذا الكتاب القيم

نهجنا في تحقيق هذه الطبعة لكتاب (قرة عيون الموحدين) للامام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله منهجاً هو أننا أحضرنا أولاً ما لدينا من طبعاته السابقة – وثانياً أصلي هذا الكتاب وهما (فتح المجيد) لمؤلفه (وتيسير العزيز الحميد) للعلامة الشيخ سليمان ابن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله – وثالثاً نسخة خطية ظفرنا بها من مكتبة سماحة العلامة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله يرجع تاريخ نسخها إلى عهد الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف هذا الكتاب فقد جاء في خاتمتها ما نصه (كان الفراغ – أي من نسخها – يوم الجمعة المبارك الثاني والعشرين من شوال سنة خمس وثمانين ومائتين وألف بقلم الفقير المقر بالذنب والتقصير الراجي رحمة ربه العليم القدير عبده بن عبده محمد بن ناصر بن عبدالله بن عثمان بن محمد بن حسن ابن عزاز الحنبلي مذهباً) والسنة المذكورة في تاريخ ذلك الفراغ هي سنة وفاة المؤلف رحمه الله تعالى ، وعلى ظهر النسخة الخطية التي أشرنا اليها ما نصه (وهذه حاشية ألفها شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد المصنف الذي ألف كتاب التوحيد وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أعظم الله لهما الأجر والثواب آمين آمين ، وبعد ذلك كله جمعنا بين مقابلة تلك الطبعات على هذه المخطوطة وبين مراجعة الأصلين المذكورين فظهر لنا من تلك

الطبعات سقوط كثير وأغلاط كثيرة واختلاف الشرح في بعض المواضع فعملنا تجاه ذلك ما يلي :

١ – تصويب أخطاء الطبعات السابقة في هذه الطبعة كتصويب هشام بن القاسم في سند حديث وهب بن منبه في (باب الرقى والتمائم) بهاشم بن القاسم وحارث في نسب رويفع في نفس الباب بحارثة وتصويب الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في سند حديث (لا تتخذوا قبري عيداً) بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وتصويب عبارة (رواه البخاري في ناسخه) الواردة في الكلام على تفسير قول الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية بعبارة (رواه النحاس في ناسخه) وكذلك ما جاء في الكلام على أسباب نزول الآية الكريمة (ليس لك من الأمر شيء) بلفظ (علقه البخاري عن حميد عن ثابت عن انس) كتبناه على ما هو الصواب وهو (عن حميد وثابت عن انس) إلى غير ذلك مما يجده القارىء ان شاء الله على الصواب في هذه الطبعة اعتماداً على مخطوطة سماحة المفتي السابقة الذكر .

٢ – رد الساقط في الطبعات السابقة إلى موضعه وهو كثير ترى منه في بعض المرات ما يترتب عليه الخلل مثل ما وقع في عبارة للنووي جاءت أول (باب الخوف من الشرك) حيث جاءت في النسخ المطبوعة هكذا (واما دخول غير المشرك الجنة فهو مقطوع به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مصراً عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة) فإن في هذا من الخلل ما يتبين للقارىء حينما يجد هذه العبارة على الصواب في هذه الطبعة . وكما وقع في أول عبارة شرح المنهاج في (باب من الشرك النذر لغير الله) حيث جاءت هكذا (وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي او شيخ او على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد ، وصواب هذه العبارة كما يلي (وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير

منعقد) وقد رددنا الساقط من هذه العبارة إلى موضعه . ومن أغرب ما وقع في هذا النوع ما جاء في تفسير الآية الكريمة (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) حيث جاء في النسخ المطبوعة ما نصه (قوله « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) هذا في حق المستغيث أخبر تعالى أنه هو الذي يتفضل على من سأله) . . الخ وصواب العبارة بعد قوله (في حق المستغيث) (أخبر تعالى أنه لا يكشف ضره الا الله وحده دون من سواه مطلقاً وقوله (وان يردك بخير فلا راد لفضله) وهذا في حق كل طالب وراغب أخبر تعالى أنه هو الذي يتفضل على من سأله) . . الخ وكما وقع هذا فيما ذكر وغيره كذلك يجده القارىء بعض المرات في السند فقد جاء في سند حديث طارق بن شهاب في الذباب وهو (في باب ما جاء في الذبح لغير الله) جاء فيه ما نصه حدثنا أبو معاوية الأعمش والصواب حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش وسقط في أول سند حديث (لما ولدت حواء طاف بها ابليس) سقط فيه (حدثنا عبد الصمد) وقد وجدنا الساقط في الجميع في المخطوطة المتقدمة هـــذا وأضع ما كان من هذا النوع والنوع الذي قبله بين قوسين .

٣ ـ بالنسبة إلى ما وقع فيه الإختلاف بين النسخ المطبوعة وبين المخطوطة في الشرح أبقي ما في المطبوعة على حاله وأضع ما في المخطوطة تحته مفصولاً بينهما بخط ومنبهاً على أنه نسخة وقد وقع هذا الاختلاف المشار اليه في شرح (وروح منه) في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) وفي الكلام على الآية الكريمة (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) وفي شرح حديث أبي مالك الاشجعي في (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله) ولم يحصل هذا الإختلاف في جميع نسخ الحاشية الا في شرح قوله صلى الله عليه وسلم لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه (وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه) فأبقينا الشرح الأول في محله ووضعنا الثاني منه موضع التعليق .

٤ ـ أضفنا إلى ما ذكرنا تعليقات ، منها ما يرجع إلى ما لم تنبه عليه المخطوطة من سقط ونحوه ومنها ما يرجع إلى تخريج ما لم يخرج لا في متن كتاب التوحيد ولا في (قرة عيون الموحدين) مما قام بتخريجه المؤلف الشيخ عبد الرحمن ابن حسن في (فتح المجيد) والشيخ سليمان في (تيسير العزيز الحميد) . ومنها ما يتعلق

بتراجم من لم يترجم من آعلام كتاب التوحيد في هذه الحاشية ونعتمد على ما في فتح المجيد وتيسير العزيز الحميد من ذلك وعلى كتب الرجال المعتبرة فيما لم نجده فيهما .. ومنها ما يرجع إلى تبييضات من شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في متن كتاب التوحيد ليملأ فراغها فيما بعد كما هو طريقة المتقدمين ثم استمرت على وضعها وأهملها النساخ فيما بعد ، ومنها ما يرجع إلى ذكر أشياء ثبتت بخط شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وقد أولى العلامة الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد هاتين الناحتين ما تستحقان من العناية وحرصنا عليهما لدلالتهما على شدة العناية بكتاب التوحيد . هذا وللتفرقة بين أرقام الحاشية وبين علامات تلك التعليقات ابدأ تلك التعليقات بنجمة أو نجمتين او نجمات حسب تعدد التعليقات .

هذا وأرجو ان أكون موفقاً في عملي هذا وأن تكون هذه الطبعة أصح طبعات هذه الحاشية القيمة واكملها وما ذلك على الله بعزيز وهو حسبي ونعم الوكيل .

اسماعيل الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

كتاب التوحيد [2]

وقولِ الله تعالى ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلَّا لِيَعْبُدون﴾ [3] ، وقولِهِ ﴿ ولقدْ بَعَثْنا في كلِّ أُمَّةٍ رسولا

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) قوله في كتاب التوحيد (بسم الله الرحمن الرحيم) : الكلام على البسملة بين مذكور في الشرح ، والبداءة بها سنة كما فعل البخاري وغيره من العلماء ، اتباعاً للسنة في مراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم ، وفي الأمر بالبداءة بها حديث معروف .

(٢) قوله (كتاب التوحيد) المراد بالتوحيد توحيد العبادة ، وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد ﴿ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ كما في سورة الأعراف وهود وغيرهما .

(٣) قوله : وقول الله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ دلت الآية على أن الله تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة ، وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه ، ففعل الأول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة . قال شيخ الاسلام : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة . وقال أيضاً : والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته ، وكمال الذل لله ونهايته ، فالحب الخلي عن ذل والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة ، وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين . وقال أيضاً : وأما ما خلقوا له من محبة الله تعالى ورضاه فهو إرادته الدينية فذلك مذكور في قوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ .

أَنِ اعبُدوا اللهَ واجتَنِبوا الطاغُوت ﴾[1] الآية ، وقولِه

---

(١) قوله : وقول الله تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ يخبر تعالى أنه بعث في كل قرن وطائفة من الأمم رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وينهاهم عن عبادة ما زينه الشيطان لهم وأوقعهم فيه من عبادة ما سواه ، فمنهم من هدى الله ووحد الله تعالى بالعبادة وأطاع رسله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فأشرك مع الله غيره بعبادته ولم يقبل هدى الله الذي جاءت به الرسل ، كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودعوا اليه هو توحيد الإلهية ، توحيد القصد والطلب . وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الافعال فهو توحيد العلم والاعتقاد ، وأكثر الامم قد أقروا به لله . وأما توحيد الإلهية فاكثرهم قد جحدوه كما قال تعالى عن قوم هود لما قال لهم ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره . . . قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ﴾ وقال مشركو قريش ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن هذا لشيء عجاب ﴾ . وهذه الآية وهي قوله ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ تبين معنى الآية التي قبلها وكذلك الآيات بعدها ، وأن المراد بالعبادة التي خلقوا لها هي العبادة الخالصة التي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى الله كائناً ما كان ، فلا تصح الاعمال إلا بالبراءة من عبادة كل ما يعبد من دون الله . والله تعالى خلق الثقلين ليعبدوه ، فمنهم من فعل ، ومنهم من أشرك وكفر . كما قال تعالى في هذه الآية ﴿ فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ﴾ يبين أن حكمة الرب في خلقه للجن والانس لا تقتضي أن كلا يفعل ما خلق له وأرسلت الرسل لأجله ، ولهذه الحكمة أهلك الله من لم يعبده وحده ولم يقبل ما جاءت به رسله ، وشرع قتالهم لنبيه ﷺ وأتباعه ، فمنهم من أطاع وهم الأقلون ، ومنهم من عصى وهم الاكثرون . وهذا التوحيد هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم (ابن الكريم) يوسف عليهم السلام ﴿ إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ وهذا

﴿ وقضىٰ ربُّكَ أَلَّا تعبُدوا إلا إيّاهُ وبالوالدَيْنِ إحسانا ﴾[1] الآية ، وقولهِ ﴿ واعبدُوا اللهَ ولا تُشْرِكوا به شيئاً ﴾

هو الدين الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وأمر الرسل أن يقيموه ، كما قال تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ وقال لنبيه محمد ﷺ ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو واليه مآب ﴾ فأمره أن يعبده وحده وأن يدعو الأمة إلى ذلك ، والقرآن كله في هذا التوحيد وبيانه وجزائه والرد على من جحده كما قال تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾. وفي حديث معاذ الذي رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قال : قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، فقال « سألتَ عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان — وذكر الحج ثم قال — ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه » ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » . فدل على أن الاسلام هو التوحيد ، والفرائض من حقوقه ، وقد أجمع الفقهاء على أن الاسلام شرط لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال ، وهو مقتضى الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله . فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله نفي الشرك والبراءة منه وممن فعله ، وإخلاص العبادة لله وحده ، والايمان بالرسول وطاعته . وهو معنى الآية الثالثة وهي :

(1) قوله تعالى ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ أي أمر ووصى ، فقوله ﴿ أن لا تعبدوا ﴾ فيه معنى « لا إله » وقوله ﴿ إلا إياه ﴾ فيه معنى « إلا الله » ، وهذا هو معنى كلمة الاخلاص كما قال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم (وفسرها بقوله) ﴿ أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ فقوله ﴿ أن لا نعبد ﴾ فيه معنى « لا إله » وقوله ﴿ إلا الله ﴾

الآية (*)[1] ، وقوله ﴿ قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حرَّمَ ربُّكم عليكم أَلاَّ تُشرِكوا به شيئاً ﴾ الآيات[2] .

هو المستثنى في كلمة الاخلاص ، فسبحان الله كيف خفي هذا — مع بيانه ووضوحه — على الأذكياء من متأخري هذه الأمة ؟

(١) قال : وقول الله تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ . هذه الآية تبين العبادة التي خلقوا لها أيضاً ، فانه تعالى قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه وهو الشرك في العبادة ، فدلت هذه الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة فلا تصح بدونه أصلاً كما قال تعالى ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ فتقديم المعمول يفيد الحصر ، أي بل الله فاعبد وحده لا غيره كما في فاتحة الكتاب ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، وقرر تعالى هذا التوحيد بقوله ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ والدين هو العبادة بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وتقدم أن أصله وأساسه توحيد العبادة ، فلا تغفل عما تقدم .

(٢) قوله ﴿ قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ أي حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله ﴿ أن لا تشركوا به شيئاً ﴾ فالشرك أعظم ذنب عصي الله به أكبره وأصغره . وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الامة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ ، عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن ، كما عبد أولئك اللات والعزّى

---

* ليس في بعض النسخ كلمة « الآية » ولذلك : قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد وقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، هكذا ثبت في نسخة بخط شيخنا ولم يذكر الآية) .

قال ابنُ مسعود رضي الله عنه : من أَراد أَن ينظرَ إلى وَصية محمد ﷺ التي عليها خاتَمهُ فليقرأْ قوله تعالى

ومناة وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان ، واتخذوا هذا الشرك ديناً ، ونفروا إذا دعوا إلى التوحيد أشد نفرة ، واشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ علموا أن « لا إله إلا الله » تنفي الشرك الذي وقعوا فيه ، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه ، فصار أولئك المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة « لا إله إلا الله » من أكثر متأخري هذه الامة ، لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام ، فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه ، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه ، فوقعوا في نفيه أيضاً ، وصنفوا فيه الكتب ، لاعتقادهم أن ذلك حق وهو باطل ، وقد اشتدت غربة الاسـلام حتى عاد المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وقد قال النبي ﷺ « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » وقد قال ﷺ « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النـار إلا واحدة » قالوا : ومن هي يا رسول الله؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » . وهذا الحديث قد صح من طرق كما ذكره العماد بن كثير وغيره من الحفاظ ، وهو في السنن وغيرها ، ورواه محمد بن نصر في كتاب الاعتصام ، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بعد القرون الثلاثة .

فلهذا عم الجهل بالتوحيد الذي هو أصل دين الاسلام ، فان أصله أن لا يعبد إلا الله وأن لا يعبد إلا بما شرع ، وقد ترك هذا وصارت عبادة الاكثرين مشوبة بالشرك والبدع لكن الله تعالى – وله الحمد – لم يخل

﴿ قُلْ تَعالَوْا أتلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم ـ إلى قوله ـ وأنَّ هذا صِراطي مُستقيما ﴾ الآية .

الارض من قائم له بحججه ، وداع اليه على بصيرة ، لكي لا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها على أنبيائه ورسله ، فله الحمد والشكر على ذلك .

وأما قول عبد الله بن مسعود* : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم — إلى قوله — وأن هذا صراطي مستقيما ﴾ الآية قوله «التي عليها خاتمه » شبه هذه الوصية بوصية كتبت فختمت ، أي فلم تغير ولم تبدل ، أراد أن النبي ﷺ لم يزل يدعو الأمة من حين بعثه الله تعالى إلى أن توفاه صلوات الله وسلامه عليه [وقد قال مفروق سيد بني شيبان في دعوته ﷺ القبائل في مواسمهم (وإلى م تدعو ايضاً يا اخا قريش) فتلا رسول الله ﷺ (قُلْ تعالوا اتْلُ ما حرّم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً) الآيات] ** وقد تضمنت هذه الآيات المحكمات أمراً ونهياً ، كما قال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) الآيات .

(*) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بمعجمه وفاء بن حبيب الهذلي ابو عبد الرحمن صحابي جليل من السابقين الأولين وأهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان ومن كبار علماء الصحابة امره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين رضى الله عنه . وهذا الأثر رواه الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني بنحوه انتهى من فتح المجيد،

** يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أخرجه أبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن علي بن أبي طالب قال : لما أمر الله نبيه ﷺ ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج إلى منى وأنا معه وأبو بكر وكان أبو بكر رجلاً نسابةً فوقف على منازلهم ومضاربهم بمنى فسلم عليهم وردوا السلام وكان في القوم مفروق

وعن مُعاذ(٢) بن جبل رضي الله عنه قال : كنتُ ردِيفَ النبيِّ ﷺ على حمار

(٢) قوله : وعن معاذ بن جبل* « رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي « يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد

ابن عمرو وهانيء بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان أقرب القوم إلى ابي بكر مفروق وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال له : إلام تدعو يا أخا قريش فتقدم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال النبي ﷺ : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وأن تؤووني وتنصروني وتمنعوني حتى أؤدي حق الله الذي أمرني به فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال له : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش فتلا رسول الله ﷺ « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » . الى قوله « تتقون » فقال له مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه فتلا رسول الله ﷺ : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية فقال له مفروق : دعوت والله يا قرشي إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وقال هانيء بن قبيصة : قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش ويعجبني ما تكلمت به ثم قال لهم رسول الله ﷺ : إن تلبثوا الا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم يعني أرض فارس وأنهار كسرى ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال له النعمان بن شريك : اللهم وان ذلك لك يا أخا قريش فتلا رسول الله ﷺ «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً » الآية ثم نهض رسول الله ﷺ : قابضاً على يد أبي بكر . هـ .

(*) معاذ هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجي أبوعبد الرحمن صحابى مشهور من أعيان الصحابة شهد بدراً وما بعدها وكان اليه المنتهي في العلم بالأحكام والقرآن مات سنة ثماني عشرة بالشام رضى الله عنه . انتهى من فتح المجيد .

فقال لي « يا مُعاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد وما حقُّ العباد على الله » ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذِّبَ من لا يشركُ به شيئا » . قلت : يا رسول الله أفلا أبشِّر الناس ؟ قال « لا تبشِّرْهم فيتَّكلوا » . أخرجاه في الصحيحين.

٢ ـ باب

فضلِ التوحيد وما يُكفِّر من الذُّنوب(١)

وقولِ الله تعالى ﴿ الذين آمنوا ولم يَلبِسُوا إيمانَهم

على الله » ؟ فساقه المصنف رحمه الله تعالى هنا لتضمنه معنى الآيات التي تقدمت ، وذلك قوله « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

حق الإله عبـادة بالأمـر لا	بهوى النفوس فذاك للشيطـان
من غـير إشراك به شيئاً هما	سببا النجـاة فحبذا السببـان
لم ينج من غضب الإله ونـاره	إلا الذي قامت بـه الأصلان
والناس بعد فمشرك بإلهـه	أو ذو ابتداع أو له الوصفان

[فمن صرف شيئاً من العبادة التي هي حقه سبحانه لا يستحقها احد سواه لغيره كالدعاء والإستعانة فقد آمن بالطاغوت واشرك بالله وكفر] .

قوله: (وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً) ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة ، لكن هو سبحانه أحق ذلك على نفسه تفضلاً وإحساناً على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه ، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده . والله أعلم) .

(١) قوله « باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب » . الباب في اللغة

بظُلم ﴾ الآية [1] .

هو المدخل إلى الشيء . قوله « وما يكفر من الذنوب » : (ما) مصدرية أي وتكفيره الذنوب . ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف ، أي والذي يكفره من الذنوب . والمراد بالتوحيد توحيد العبادة ، وهو إفراد الله تعالى بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة كالدعاء والذبح والنذر (وغير ذلك) كما قال تعالى ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ فادعوه مخلصين له الدين ﴾ .

(١) قوله : وقول الله تعالى ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ . واللبس الخلط ، والمراد بالظلم هنا الشرك الأكبر لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعاً « إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ » أراد أن من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكلية . وأما من سلم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامه في الإسلام والإيمان ، فلا يحصل الأمن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مصراً عليها . وأما إن كان للموحد ذنوب لم يتب منها حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده ، وفاته منه بقدر معصيته ، كما قال تعالى ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنبه ونجاه بتوحيده من الخلود في النار . وأما المقتصد فهو الذي عمل بما أوجب الله عليه وترك ما حرم عليه فقط ، وهذه حال الأبرار . وأما السابق فهو الذي حصل له كمال الايمان باستفراغه وسعه في طاعة الله علماً وعملاً . فهذان لهما الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة ، فالكل للكل والحصة للحصة ، لأن كمال الايمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها فلم يلق ربه بذنب يعاقب به كما قال تعالى ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ ، وهذا الذي ذكرته في معنى هذه الآية هو (معنى) ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم رحمه الله في معناها ، وهو الذي دل عليه القرآن ، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم .

عن عُبادةَ بن الصامِت رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ (١) » من شهدَ أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له

(١) قوله : عن عبادة بن الصامت * رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » . قوله « من شهد » لا ريب أن الشهادة لا تكون شهادة إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق ، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع ، فيكون الشاهد والحالة هذه كاذباً لجهله بمعنى الذي شهد به . وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً وإثباتاً . فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله بقولك « لا إله » وأثبتت الإلهية لله وحده بقولك « إلا الله » قال الله تعالى﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون ، فقلبوا حقيقة المعنى فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك ، واتخذوا ذلك ديناً وشبهوا وزخرفوا ، واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم اليه ، فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهلية من كفار قريش ونحوهم فانهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص كما قال تعالى ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ . والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما أنكره أولئك على من دعاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من القبور والمشاهد والطواغيت ونحوها . فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه ، وهؤلاء جهلوا هذا المعنى وأنكروه ، فلهذا تجده يقول « لا إله إلا الله » وهو يدعو مع الله غيره . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الإله هو الذي تألهه القلوب محبة

(*) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ابو الوليد احد النقباء بدري مشهور من جلة الصحابة مات بالرملة سنة اربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة وقيل عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنهما . ا هـ من فتح المجيد .

وإجلالا وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلاً .
وقال الوزير أبو المظفر رحمه الله تعالى في الافصاح : قوله « شهادة أن لا إله إلا الله » يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله كما قال تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ قال : واسم الله مرتفع بعد إلا من حيث انه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه . قال : وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، فانك لما نفيت الإلهية وأثبتّ الإيجاب لله كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله .
وقال ابن رجب رحمه الله تعالى : الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول « لا إله إلا الله » وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك . وقال البقاعي : « لا إله إلا الله » أي انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم. قال : وهذا العلم هو من أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة ، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً ، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه ، وإلا فهو جهل صرف .
قلت : وهؤلاء المتأخرون جهلوا (لا إله إلا الله) وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد الربوبية وهو القدرة على الاختراع فأثبتوا ما نفته « لا إله إلا الله » من الشرك وأنكروا ما اثبتته من إخلاص العبادة لله جهلاً منهم ، وقد قال تعالى ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ ، قال محي الدين النووي : اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع من أزمان متطاولة ، ولم يبق في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً ، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح. قوله « في هذه الأزمان» يعني القرن الخامس والسادس وإذا كان كذلك فما الظن بالقرن العاشر وما بعده وقد استحكمت فيها الغربة ، ولشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في تفسير هذه الكلمة كلام (حسن) بديع واضح لم يسبق إلى مثله فليراجع لمسيس الحاجة إليه .
قوله في الحديث « وحده لا شريك له » تأكيد لمعنى « لا إله إلا الله »

وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله(١) ، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه(٢)

الذي دلت عليه ووضعت له من باب اللف والنشر المقدم والمؤخر ، وهو بيان (لحقيقة معنى) هذه الكلمة ، لأنها دلت بجملتها على التوحيد ، فلا إله تنفي الشرك في العبادة قليله وكثيره وبينه بقوله « لا شريك له » في إلهيته وهي العبادة . وقوله « وحده » هو معنى « إلا الله » فهو الإله الحق وحده دون كل ما سواه من أهل السموات والأرض كما دلت على ذلك الآيات المحكمات ومتواتر الأحاديث ، فتدبر هذا البيان يطلعك على بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير الله والله تعالى يقول لنبيه ﴿ فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين ﴾ وغيرها من الآيات الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى . فقوله « وحده » تأكيد للاثبات وقوله « لا شريك له » تأكيد للنفي .

(١) وقوله « وان محمداً عبده ورسوله » أي وشهد أن محمداً عبده ورسوله أي بصدق ويقين ، وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه ولزوم سننه ﷺ وأن لا تعارض بقول أحد ، لأن غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ ، والنبي ﷺ قد عصمه الله تعالى ، وأمرنا بطاعته والتأسي به والوعيد على ترك طاعته بقوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ الآية وقال ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ . قال الامام أحمد رحمه الله تعالى : [عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم] . أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك . وقد وقع التفريط في المتابعة وتركها ، وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله ﷺ لا سيما من العلماء كما لا يخفى .

(٢) قوله « وأن عيسى عبد الله ورسوله » فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده كما في الآيات المحكمات وما فيها من الرد على كفار النصارى ، وهم ثلاث طوائف : طائفة قالوا إن عيسى هو الله ، وطائفة قالوا انه ابن

الله ، وطائفة قالوا ان الله ثالث ثلاثة يعنون عيسى وأمه . فبين الله تعالى في كتابه الحق وأبطل الباطل فقال ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً ﴾ والآيات بعدها ، وقال تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ﴾ في مواضع من سورة المائدة ، وأخبر تعالى عما قاله المسيح عليه السلام وهو في المهد فقال تعالى ﴿ فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال إني عبد الله ، آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ، والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فانما يقول له كن فيكون . وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ فبين تعالى الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا ، ومن خرج عنه هلك . وقال تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾ فبين تعالى الصراط المستقيم بياناً شافياً كافياً وافياً وأقام حججه على توحيده فأحق الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون .

قوله « وكلمته ألقاها إلى مريم » أي قوله « كن » فخلقه بكن فكان ، ففيه إثبات صفة الكلام لله تعالى خلافاً للجهمية أيضاً .

قوله « وروح منه » أي من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام وأخذ عليها العهد على أنه تعالى ربهم وإلههم ، كما قال تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ الآيات وروح عيسى من تلك الأرواح .

التي خلقها الله تعالى . وذكر(*) ابن جرير عن وهب بن منبه قال : نفخ جبريل في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت . وعن السدى أن النفخة دخلت في صدرها فحملت . وقال ابن جريج يقولون إنما نفخ في جيب درعها وكمها . انتهى مختصراً . فجبريل نفخ والله خلق بقول « كن » فكان كما قال تعالى ﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه . وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى ﴿ وروح منه ﴾ ، فقال في الجواب : هذا ليس خاصاً بعيسى عليه السلام بل المخلوقات كذلك كلها كما قال تعالى ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ أي خلقاً وإيجاداً ، وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته . وفي هذا الحديث الرد على اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله ، فانهم كانوا هم والنصارى في طرفي نقيض فنسبوه إلى أنه ولدُ بغيٍّ قاتلهم الله ، فأكذبهم الله تعالى في كتابه وأبطل قولهم كما أبطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها ، فالنصارى غلوا في عيسى بن مريم عليه السلام أعظم الغلو والكفر والضلال ، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء ، وكلاهما قد ضل ضلالاً بعيداً بينه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وبين تعالى الحق والصدق ورفع قدر المسيح عليه السلام وجعله من أولى العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورى ، وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبروا فقال ﴿ واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ فهم أفضل الرسل على التحقيق والنبي ﷺ أفضلهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(١) قوله « وأن الجنة حق » أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة وما فيها من القصور والثمار والفواكه والنعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم كما قال تعالى ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ وقال تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ . « والنار حق » أعدها الله تعالى لمن كفر

* عبارة المخطوطة (نفخها جبريل بأمر الله في جسده لما خلقه في بطن أمه كما قال تعالي في آدم « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » . فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

أَدخله اللهُ الجنةَ على ما كان من العمل[1] » أخرجاه ..

ولهما في حديث عِتْبان « فإنَّ اللهَ حرَّم على النارمن قال لا إلهَ إلا اللهُ يبتغي بذلك وجهَ الله »[2]

به وأشرك في إلهيته وربوبيته وألحد في أسمائه وصفاته . ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل و (المرسل) ، فان الله تعالى بين الجنة وما أعد فيها من النعيم المقيم ، وذكر أنها دار المتقين ، وذكر النار وما فيها من العذاب وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك .

(١) قوله « أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » جواب من الشرطية ، أي من شهد أن لا إله إلا الله إلى آخره أدخله الله الجنة أي بإخلاصه وصدقه والايمان برسوله وما أرسل به وخالف النصارى واليهود في الغلو والجفاء في حق عيسى وعلم يقيناً أنه عبد الله ورسوله وآمن بالجنة والنار ، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة وان كان مقصراً وله ذنوب ، فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات . فتدبر هذا الحديث فانه عظيم . والله أعلم .

(٢) قوله : ولهما في حديث عتبان* « فان الله حرَّم على النارمن قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » . قوله « ولهما » أي البخاري ومسلم . وهذا حديث طويل اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة وهو قوله : « من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » ، وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الاخلاص ونفي الشرك ، والصدق والاخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر ، فان من لم يكن مخلصاً فهو مشرك، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق ، والمخلص أن يقولها مخلصاً الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى ، وهذا التوحيد هو أساس الاسلام الذي قال فيه الخليل عليه السلام ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ وقالت بلقيس ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ وقال الخليل عليه السلام ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض

(*) عتبان بكسر المهملة بعدها مثناة فوقية ثم موحدة بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري من بني سالم بن عوف صحابي مشهور مات في خلافة معاوية رضي الله عنه . ا هـ من فتح المجيد .

حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ ، والحنيف هو الذي ترك الشرك رأساً وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده كما قال تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ ، فاسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق ، وهو معنى الآية ونحوها إجماعاً . فهذا هو الذي ينفعه قوله « لا إله إلا الله » ولهذا قال تعالى ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ . وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر كما ترى عليه أكثر الخلق ، فهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها ، فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفياً وإثباتاً ، والجاهل بمعناها وان قالها (فإنها) لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك ، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له ، فاذا انتفى اليقين وقع الشك . ومما قيدت به في الحديث قوله ﷺ « غير شاك » فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين لقوله صدقاً من قلبه خالصاً من قلبه ، وكذلك من قالها غير صادق في قوله فانها لا تنفعه لمخالفة القلب اللسان كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للاخلاص ، ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فانها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والاخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة ، ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله « لا إله إلا الله » كما هو حال كثير من عبدة الأوثان يقولون لا إله إلا الله وينكرون ما دلت عليه من الاخلاص ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله ، وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه ﴿ انني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ وهي لا إله إلا الله ، وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره ، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الاخلاص كان قوله لهذه الكلمة كذباً منه ، بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ، ونفى ما أثبتته من الاخلاص . فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون

وعن أَبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « قال موسىٰ: يا ربِّ عَلِّمني شيئاً أذكرُكَ وأَدعوكَ به ، قال : قلْ يا موسىٰ لا إلٰهَ إلا الله . قال : يا ربِّ كلُّ عبادك يقولون هذا[1] . قال : يا موسىٰ لو أَنَّ

الثلاثة ، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوى ، فيصدفه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم .

(١) قوله : وعن ابي سعيد الخدري* رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال : قل يا موسى « لا إله إلا الله » قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن – غيري – والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله » رواه ابن حبان (**) والحاكم (***) وصححه . فلا نافية للجنس نفياً عاماً إلا ما استثني وخبرها محذوف تقديره لا إله حق إلا الله . قال تعالى ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ فإلهيته تعالى هي الحق

(*) إسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي صحابي جليل وأبوه كذلك استصغر ابو سعيد باحد وشهد ما بعدها مات بالمدينة سنة ثلاث أو اربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين رضي الله عنه ا هـ من فتح المجيد .

(**) إسمه محمد بن حبان بكسر المهملة وتشديد الموحدة ابن أحمد بن حبان بن معاذ أبو حاتم التميمي البستي الحافظ صاحب التصانيف كالصحيح والتاريخ والضعفاء والثقات وغير ذلك قال الحاكم كان من اوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال مات سنة اربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة بست بضم الموحدة وسكون المهملة . ا هـ من فتح المجيد .

(***) اسمه محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري أبو عبد الله الحافظ ويعرف بإبن البيّع ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وصنف التصانيف كالمستدرك وتاريخ نيسابور وغيرهما ومات سنة خمس واربعمائة. ا هـ من فتح المجيد

السمٰواتِ السبعَ وعامرَهنَّ – غيري – والأَرَضينَ السبعَ في كِفَّةٍ ولا إلٰه إلَّا اللهُ في كِفَّة ، مالتْ بهنَّ لا إله إلا الله »(١) رواه ابن حِبّان والحاكم وصححه

وكل ما سواه من الآلهة فالهيته باطلة كما في هذه الآية ونظائرها . فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقى وكلمة التقوى وكلمة الاخلاص ، وهي التي قامت بها السموات والأرض ، وشرعت لتكميلها السنة والفرض ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد . فمن قالها وعمل بها صدقاً وإخلاصاً ، وقبولاً ومحبة وانقياداً أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ، وفي الحديث الصحيح « أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » . وفي حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً « يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر ثم يقال : أتنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يا رب . فيقال : ألك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول : لا . فيقال : بلى ، إن لك عندنا حسنة ، وانه لا ظلم عليك . فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : انك لا تُظلم . فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» رواه الترمذي وحسنه

(١) قوله : لو أن السموات السبع وعامرهن – غيري – أي كل من في السموات والأرض . وقوله « غيري » استثنى ممن في السموات نفسه لأنه العلي الأعلى تعالى وتقدس كما قال تعالى ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ علو القهر وعلو القدر وعلو الذات ، فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله كما قال تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ الآية في سبعة مواضع من كتابه كما قال تعالى ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ﴾ وقال تعالى ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ وقال تعالى ﴿ تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ ، ﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ وأمثال هذه الآيات ، فمن سلب علو الله تعالى

على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة وألحد في أسمائه وصفاته ، ومعنى هذه الكلمة نفي الإلهية عن كل شيء سوى ما استثني بها وهو الله تعالى ، وفيه النص على أن الأرضين سبع كالسموات . لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة ، وقد ذكر سبحانه في سورة براءة وغيرها كثيراً ممن يقولها ولم ينفعهم قولها كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود ، فمنهم من يقولها جاهلاً بما وضعت له وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه والصدق والاخلاص وغيرها كعدم القبول ممن دعا اليها علماً وعملاً ، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه كحال أكثر من يقولها قديماً وحديثاً ، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر . ومنهم من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى أو غير ذلك من الأسباب وهي كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ إلى قوله ﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره . والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

وأما أهل الايمان الخلص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة ، واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علماً ويقيناً وصدقاً وإخلاصاً ومحبة وقبولاً وانقياداً ، وعادوا في الله ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه ، وقد ذكرهم الله تعالى في مواضع من سورة براءة وغيرها وخصهم بالثناء عليهم والعفو عنهم ، وأعد لهم جنته وأنجاهم من النار كما قال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ وقال ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم أهل لا إله إلا الله وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد لهم في الدار الآخرة ، فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبه تعالى رغبة وعملاً وترك ما يكرهه خشية ورجاء واعتبر الناس بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونياتهم

وللترمذي - وحسَّنه - عن أَنَس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول« قال اللهُ تعالى : يا ابنَ آدم ، لو أَتيتَني بقُراب الأَرض خَطايا ، ثم لقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئا ، لأَتيتُكَ بقُرابها مَغفرة[1] » .

وإراداتهم وما هم عليه من التفاوت البعيد ، تبين له خطأ المغرورين كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

(١) قوله : وللترمذي* وحسنه عن أنس** سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » . في هذا الحديث ما يبين معنى « لا إله إلا الله » التي رجحت بجميع المخلوقات وجميع السيئات ، وان ذلك هو ترك الشرك قليله وكثيره ، وذلك يقتضي كمال التوحيد ، فلا يسلم من الشرك إلا من حقق توحيده وأتى بما تقتضيه كلمة الإخلاص من العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد وغير ذلك مماتقتضيه تلك الكلمة العظيمة ، كما قال تعالى ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

(*)هو محمد بن عيسى بن سورة بفتح المهملة بن موسى بن الضّحاك السلمي ابو عيسى صاحب الجامع وأحد الحفاظ كان ضرير البصر روى عن قتيبة وهناد والبخاري وخلق ومات سنة تسع وسبعين ومائتين ا.هـ فتح المجيد .

(**) انس هو ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين وقال له اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة ، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة رضي الله عنه اهـ من فتح المجيد.

٣ ـ باب

من حقَّق التوحيدَ دخلَ الجنةَ بغير حساب (١)

وقولِ الله تعالى ﴿ إنَّ ابراهيمَ كان أُمَّةً قانِتاً للهِ حَنِيفا ولم يَكُ منَ المُشْرِكين (٢) ﴾

---

(١) قوله : ﴿ باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ﴾ أي ولا عذاب . [كما في الحديث] وتحقيقه تصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والإصرار على الذنوب ، فمن كان كذلك فقد حقق توحيده ، وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخلص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عليه السلام ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين ﴾ وفي قراءة ﴿ المخلِصين ﴾ وهم في صدر هذه الأمة كثيرون ، وفي آخرها هم الغرباء وقد قلوا ، وهم الأعظمون قدراً عند الله . وقال تعالى عن خليله عليه السلام ﴿ قال يا قوم إني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والأرض أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ﴿ حنيفاً ﴾ أي في حال كوني حنيفاً أي مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ، ولهذا قال ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ . ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كقوله ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ . قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية : يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأوامره واتبع شرعه ولهذا قال ﴿ وهو محسن ﴾ أي في عمله واتباع ما أمر به وترك ما عنه زجر ، فدلت هذه الآية العظيمة على أن كمال الاخلاص إنما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله كما تقدم في الباب قبل هذا .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك

وقال ﴿ والذين هُم بربِّهمْ لا يُشْرِكون ﴾[1] .

من المشركين ﴾ قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية . والأمة : هو الإمام الذي يقتدى به ، والقانت : هو الخاشع المطيع . والحنيف : المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد ، ولهذا قال ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ . وقال مجاهد : كان إبراهيم أمة أي مؤمناً وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار . قلت : وكلا القولين حق فقد كان الخليل عليه السلام كذلك . وقول مجاهد والله أعلم لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عليه السلام فمدحه الله تعالى بتبرئته من المشركين كما قال تعالى ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً . إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ الآيات ، وقوله ﴿ وان من شيعته لابراهيم . إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ فهذا والله أعلم كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام ولم يكن اذ ذاك على وجه الأرض مسلم غيره ، وبذلك جاء الحديث . وقوله ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان ، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته ، وكسر الأصنام ، وصبر على ما أصابه في ذات الله . وهذا هو تحقيق التوحيد ، وهو أساس الدين ورأسه كما قال تعالى ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ وأنت تجد أكثر من يقول « لا إله إلا الله » ويدّعي الاسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم ، وينكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة ، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه ، وبعضهم لا يعد التوحيد علماً ولا يلتفت اليه لجهله به وعدم محبته . فالله المستعان .

(١) وقوله : وقول الله تعالى ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ إلى قوله ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : أي من إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله ، خائفون وجلون

عن حُصَين بن عبد الرحمن[١] قال : كنتُ عند سعيد بن جُبير[٢] فقال : أيُّكم رأىٰ الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة[٣] ؟ فقلتُ : أنا . ثم قلتُ : أما إني لم أكن في صلاة[٤] ولٰكنّي لُدِغت . قال : فما صنعتَ ؟

من مكره بهم ، كما قال الحسن البصري : المؤمن من جمع إحساناً وشفقاً ، والمنافق من جمع إساءة وأمناً . ﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾ أي يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية لقوله تعالى عن مريم ﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ أي أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله وقضائه ، وما شرعه الله ان كان أمراً فهو ما يحبه الله ويرضاه ، وان كان نهياً فهو ما يكرهه ويأباه ، وان كان خبراً فهو حق كما قال تعالى ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ أي لا يعبدون معه غيره ، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا نظير له . اهـ . قلت : فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد ومعرفته على الحقيقة ومحبته وقبوله والدعوة اليه كما قال تعالى ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب ﴾ وتضمنت هذه الآية كمال التوحيد وتحقيقه . وبالله التوفيق .

(١) قوله « عن حصين بن عبد الرحمن » هو الحارثي من تابعي التابعين عن الشعبي .

(٢) قال : « كنت عند سعيـــد بن جبير » هو الوالبي مولاهم الفقيه عن ابن عباس وخلق . قال اللالكائي : ثقة إمام حجة . قتله الحجاج بن يوسف فما أمهله الله بعده .

(٣) قوله « فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة » ؟ يعني كوكبا رجم به تلك الليلة ، يقال «البارحة» لليلة الماضية إذا زالت الشمس ، وأما قبل الزوال فيقال الليلة .

(٤) قوله « فقلت : أنا » أي أنا رأيته ، « ثم قلت : أما اني لم أكن في

قلت : ارتقيت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدَّثَنَاهُ الشَّعْبي[1] ، قال : وما حدَّثكم ؟ قلتُ : حدثنا عن بُرَيدةَ بن الحُصَيب أنه قال : لا رُقيةَ إلَّا من عَينٍ أو حُمَةَ[2] . قال : قد أَحسنَ مَنِ انتهى إلى ما سَمع[3] ولكنْ حدثنا ابنُ عباس عن النبيِّ ﷺ أنه قال

صلاة » قال ذلك حذرا من الشرك لئلا يظن الحاضرون أنه قام من الليل للعبادة فيكون قد ادعى لنفسه ما لم يفعله ، فما أشد حذر التابعين ومن قبلهم من الشرك دقيقه وجليله ، والحذر من أن يحمد بما لم يفعله . فما أعز من سلم من الشرك كما سيأتي .

(١) قوله : قلت حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : « لا رقية إلا من عين أو حمة » . هذا الحديث قد روي مرفوعا. والشعبي اسمه عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الإمام روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم، وعن أبي هريرة وعائشة وجرير وابن عباس وخلق ، قال الشعبي : ما كتبت سوداء في بيضاء . [أي كلما سمع حفظه فحدث به ممن حفظه]. توفي سنة ثلاث ومائة. وبريدة هو ابن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي ، أسلم قبل بدر ، وعمل على اليمن في أيام النبي ﷺ ، صحابي مشهور .

(٢) قوله « لا رقية الا من عين أو حمة » هذا والله أعلم في أول الأمر ثم رخص في الرقي إذا كانت بحق والله أعلم . قوله « ولكن حدثنا ابن عباس» هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي ﷺ حبر الامة وترجمان القرآن دعا له النبي ﷺ فقال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وصار آية في العلم والفهم وكثرة ما روى من الأحاديث ، على أنه من صغار الصحابة لكن طلب الحديث من كبار الصحابة فحفظ الاكثر مما كان عندهم، رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) قوله « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع » فيه حسن الأدب مع العلم

« عُرِضتْ عليَّ الامم[1] ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهطُ ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان ، والنبيَّ وليس معه أحد[2] ،

وأهله ، وأن من فعل شيئاً سئل عن مستنده في فعله هل كان مقتديا أم لا ؟ ومن لم يكن معه حجة شرعية فلا عذر له بما فعله ، ولهذا ذكر ابن عبد البر [اجماع اهل العلم] على أن المقلد ليس من أهل العلم فتفطن لهذا .

(١) قوله : أن النبي ﷺ قال « عرضت عليّ الأمم » . قلت : فالله أعلم متى عرضت ، وعرضها أن الله تبارك وتعالى أراه مثالها اذا جاءت الأنبياء [يوم القيامة] ومن تبعهم . فمن نجا بالايمان بالله وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم ، وهو عبـــادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه ، والاخذ بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه كما قال تعالى عن نوح ﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين . ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ فعبادته توحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه وطاعـــة رسوله . هذا هو الدين : أن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يعبد إلا بما شرع فعلا وتركا ، وأن يقدم طاعة رسوله على ما يحبه ويهواه .

(٢) قوله « فرأيت النبي ومعه الرهط » الرهط العشرة فما دون ، «والنبي ومعه الرجل والرجلان » أي أتباعه ، « والنبي وليس معد أحد » أي يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد كما قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين . وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ وفيه دليل على أنّ الناجي من الأمم هم القليل (قديما وحديثا)، والأكثر غلبت عليهم الطباع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا كما قال تعالى ﴿ وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ﴾ وقال تعالى ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ وقال ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير ، والناجون وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الاعظم فانهم الاعظمون قدراً عند الله وان قلوا . فليحذر المسلم أن يغترّ بالكثرة ، وقد اغترّ بهم كثيرون حتى بعض من يدعي العلم ، اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال . ولم يلتفتوا إلى ما قاله الله ورسوله .

إذ رُفع لي سَوادٌ عظيم ، فظننت أنهم أُمَّتي ، فقيل لي : هذا موسىٰ وقومُه (١) ، فنظرتُ فاذا سَواد عظيم ، فقيل لي : هذه أُمَّتُك ومعهم سبعون ألفاً يَدخلونَ الجنةَ بغير حِساب ولا عذاب (٢) » . ثم نهض فدخلَ منزلَه ، فخاض

---

(١) قوله : « إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه » فيه فضيلة أتباع موسى من بني اسرائيل ممن آمن منهم بالرسل، والكتب التي أنزلها الله ، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وغيرها ، وكانت بنو إسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء ، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود ، وهذا الحديث يدل على أن التابع لموسى عليه السلام كثيرون جداً ، وقد قال تعالى ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ أي في زمانهم ، وذلك أن في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلقا لا يحصيهم الا الله كحزب جالوت وبختنصر وأمثالهم ، ففضل الله بني إسرائيل بالايمان فصاروا أفضل أهل زمانهم ، وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم ، واختلافهم في دينهم ، وقد ذكره الله تعالى محتجا به على اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ ، فتدبر ما ذكره الله تعالى من أحوالهم بعدالاختلاف.

(٢) قوله : « فنظرت فاذا سواد عظيم » وفي رواية « قد سد الأفق ، فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » فيه فضيلة هذه الأمة وأنهم أكثر الأمم تابعا لنبيهم ﷺ ، وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فملأوا القرى والأمصار والقفار ، وكثر فيهم العلم واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة ، فما زالت هذه الأمة على السنة في القرون الثلاثة المفضلة ، وقد قلوا في آخر الزمان . قال شيخنا رحمه الله تعالى في مسائله : وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية. فالكمية [كثرة العدد] ، والكيفية فضيلتهم في صفاتهم كما في هذا الحديث بقوله « ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب »

النَّاسُ في أولئك[1] ، فقال بعضهم : فلعلهُم الذين صحبوا رسولَ الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين وُلدوا في الاسلام فلم يُشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه ، فقال « هُم الذين لا يَسْتَرْقُون (*) ولا يَكْتَوُون ولا يَتَطَيَّرون ، وعلى ربِّهم يَتَوَكَّلُون[2] » .

---

(١) قوله : « ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك » أي الخاضرون له في ذكر هذا الحديث . وفيه أيضا فضل الصحابة رضي الله عنهم في مذاكرتهم العلم ، وحرصهم على فهم ما حدثهم به نبيهم ﷺ حرصا على العمل به ، وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل ، لأنهم قالوا ما قالوا باجتهادهم ، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم ، لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه ، بل يقال : لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث .

(٢) قوله : فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » أي لا يطلبون الرقية من أحد ، ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يستشفى منه بالكي ، ولا يتطيرون . والطيرة شرك فتركوا الشرك رأسا ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها . وتركوا الكي وان كان يراد للشفاء . والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله وتفويضهم أمورهم اليه ، وان لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبره وقضاه ، فلا يرغبون إلا إلى ربهم ولا يرهبون الا منه . ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم فلا يفزعون إلا اليه

(*) هكذا ثبت في الصحيحين ﴿ لا يسترقون ﴾ وفي رواية مسلم التي ساقها المصنف هنا زيادة ﴿ ولا يرقون ﴾ وكأن المصنف اختصرها لما قيل انها معلولة قال شيخ الإسلام هذه الزيادة وهم من الراوي. افاده الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد .

فقام عُكاشةُ بنِ محْصَن فقال : ادعُ اللهُ أن يجعلَني منهم[1] قال « أنتَ منهم »[2]. ثم قام رجل آخر فقال ادعُ اللهُ أن يجعلني منهم ، فقال « سبقكَ بها عُكاشة[3] » * .

وحده في كشف ضرهم . قال تعالى عن يعقوب عليه السلام ﴿ إنما أشكو بثي وحزني الى الله ﴾

(١) قوله : « فقام عكاشة بن محصن » صحابي مشهور شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وهو من بني أسد بن خزيمة ، قتله طليحة بن خويلد شهيداً ، وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردة فقاتل بني أسد لردتهم عن الاسلام ، وكان فيهم طليحة وقد ادعى النبوة وصدقوه فأكرم الله عكاشة على يده لما كان كافراً ، ثم بعد ذلك هداه الله إلى الاسلام وجاهد الفرس مع سعد بن أبي وقاص وصار له في الفرس وقائع معروفة في السير وكان ممن استشهد في قتالهم في وقعة الجسر المشهورة . قوله « فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم » فيه أن شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه ، وبعد الموت ، قد تعذر ذلك بأمور لا تخفى على من له بصيرة ، فمن سأل ميتاً أو غائباً فقد سأله ما لا يقدر عليه ومن سأل أحداً ما لا يقدر عليه إلا الله ، فقد جعله نداً لله كما كان المشركون كذلك وقال تعالى « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » أنه ربكم وخالقكم ومن قبلكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فلا ترغبوا عنه إلى غيره ، بل أخلصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير .

(٢) قوله « أنت منهم » لما يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده كما في الحديث « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

(٣) قوله « ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة » . والظاهر أنه أراد صلوات الله وسلامه عليه سد الذريعة ، لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلا له . وذلك منه ﷺ تعريض كما لا يخفى .

(*) هكذا أورده المصنف رحمه الله غير معزو وقد رواه البخاري مختصراً ومطولا ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي اهـ من فتح المجيد .

٤ ـ باب

الخوفِ من الشرك[١]

وقولِ الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَنْ يُشرَكَ به ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يشاء ﴾ . وقال الخليلُ عليه السلام ﴿ واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نعبُدَ الأَصنام[٢] ﴾ .

---

(١) قوله « باب الخوف من الشرك وقول الله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ » . قال النووي رحمه الله تعالى : أما دخول المشرك النار فهو على عمومه ، فيدخلها ويخلد فيها . ولا فرق بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين من خالف ملة الاسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده . وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة ، مات مصرّاً عليها دخل الجنة أولا وإن كان صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة فان عفى عنه دخل الجنة أولا وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة(*) اهـ . قلت : هذا قول أهل السنة والجماعة لا اختلاف بينهم في ذلك ، وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك ، لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد ، ثم قال ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فخصص وقيد فيما دون الشرك ، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه فلا يرجى له معه نجاة ، ان لم يتب منه قبل الوفاة

(٢) قوله « وقال الخليل عليه السلام ﴿ واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ﴾ أي ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، والخلة أخص من المحبة ، ولهذا اختص بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلي الله عليهما وسلم » واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ وهذا أيضا يخيف العبد ، فاذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله

(*) في عبارة النووي هذه خلل في نسخ الحاشية المطبوعة .

وفي الحديث «أخوَفُ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغر» فسُئل عنه فقال «الرياء [1]»

الله أمة وحده وابتلاه بكلمات فأتمهن وقال ﴿ وابراهيم الذي وفى ﴾ وأمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه ، وكسر الأصنام واشتدّ نكيره على أهل الشرك . ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته . وما أحسن ما قال ابراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد ابراهيم ؟ فهذا أمر لا يؤمَن من الوقوع فيه وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة ، فاتخذت الأوثان وعبدت ، فالذي خافه الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات بأنواعها واتخذ ذلك ديناً ، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم . فما أشبه ما وقع في آخر هذه الامة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم ، بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الآلهية من شركهم في الربوبية مما يطول عده، فذكر عليه السلام السبب الذي أوجب الخوف عليه وعلى ذريته بقوله ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده ، فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه ، والوعيد على فعله ، والثواب على تركه . وقد هلك من هلك باعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه ، نسأل الله الثبات على الاسلام والاستقامة على ذلك الى أن نلقى الله على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه ﴿ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴾ . وقال تعالى ﴿ إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ رد أمرهم إلى الله كما رد عيسى عليه السلام ، وقد بين الله تعالى فيما أنزله على نبيه محمد ﷺ حكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفر لهم فلا معارضة ، وقد بين حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز ﴿الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾

(١) وقوله في الحديث لأصحابه ﷺ « أخوف ما أخاف عليكم الشرك

وعن عبد الله ابن مسعود[1] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مَن مات وهو يدعو لله نِدّاً دخلَ النار » رواه البخاري

الأصغر » فسئل عنه فقال « الرياء » . وهذا الحديث رواه الامام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد* فاذا كان يخافه ﷺ على أصحابه الذين وحدوا الله بالعبادة ورغبوا اليه والى ما أمرهم به من طاعته فهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا ما دعاهم اليه نبيهم ، وما أنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك ، فكيف لا يخاف من لا نسبة له اليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك ، وقد أخبر ﷺ عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره « حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان » وقد جرى ما أخبر به ﷺ وعمت به البلوى في أكثر الأقطار حتى اتخذوه دينا مع ظهور الآيات المحكمات ، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه كما قال تعالى ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ وقال ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به﴾ وهذا هو تحقيق التوحيد كما تقدم في الباب قبله . ثم قال تعالى محذراً عباده من الشرك ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ ومن لم تخوفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه .

(١) قوله : وعن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار » رواه البخاري (*) . وهذا

(*) محمود بن لبيد هذا قال المنذري رأى النبي ﷺ ولم يصح له منه سماع فيما أري وذكر ابن ابي حاتم ان البخاري قال له صحبة ورجحه ابن عبد البر والحافظ ابن حجر مات سنة ست أو سبع وتسعين انتهى من فتح المجيد.

(*) هو الامام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبه الجعفي مولاهم الحافظ الكبير صاحب الصحيح والتاريخ والأدب المفرد وغير ذلك من مصنفاته ، روى عن الامام أحمد بن حنبل والحميدي وابن المديني وطبقتهم وروى عنه مسلم والنسائي والترمذي والفربري راوي الصحيح ولد سنة اربع وتسعين ومائة ومات سنة ست وخمسين ومائتين . اهـ. من فتح المجيد .

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه – أنَّ رسول الله ﷺ قال « مَن لقيَ اللهَ لا يُشركُ به شيئا دخل الجنَّة ، ومن لقيَه يُشرِك به شيئا دخلَ النار (١) » .

الحديث فيه التحذير من الشرك أيضا والتخويف منه . والند المثل والشبيه ، فمن دعا ميتا أو غائبا وأقبل اليه بوجهه وقلبه رغبة اليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ، ولهذا حرم الله تعالى اتخاذ الشفعاء وأنكره على من فعل ذلك أشد الانكار ، لكونه ينافي الإخلاص الذي هو إقبال القلب والوجه على الله في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به ، ومن المعلوم أنه اذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالى [الى غيره] وذلك ينافي الاخلاص ، ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى .

(١) قوله : ولمسلم (*) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » . قوله « من لقي الله لا يشرك به شيئا » هذا هو الإخلاص كما تقدم . وقوله « ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » هذا هو الشرك فمن لقي الله بالشرك دخل النار قل أو كثر . أما الشرك الأكبر فلا عمل معه ، ويوجب الخلود في النار كما تقدم في معنى الآيات ، وأما الأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل ما شاء الله وشئت ، وقوله ما لي إلا الله وأنت ونحو ذلك فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات . قال بعض العلماء : اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم ، اذ من كذب رسل الله فقد كذب الله ، ومن كذب الله فهو مشرك . فـالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به اجمالا في الاجمالي ، وتفصيلا في التفصيلي اهـ .

(*) هو ابن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري صاحب الصحيح والعلل والوحدان وغير ذلك . روى عن أحمـد بن حنبل ويحي ابن معين وأبي خيثمة وابن ابي شيبة وطبقتهم وروى عن البخاري وروى عنه الترمذي وابراهيم بن محمد بن سفيان راوي الصحيح وغيرهما ولد سنة اربع ومائتين ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور . اـهـ من فتح المجيد .

٥ ـ باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إلٰهَ إلا الله

وقولِ الله تعالى ﴿ قُلْ هٰذه سَبيلي أَدعُو إلى الله علىٰ بَصِيرةٍ[1] انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أَنا من المشركين ﴾

---

(١) قوله : باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وقول الله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ . قال أبو جعفر ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هذه ﴾ الدعوة التي أدعو اليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والاوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿ سبيلي ﴾ وطريقتي ودعوتي ﴿ أدعو إلى الله ﴾ وحده لا شريك له ﴿ على بصيرة ﴾ بذلك ويقين علم مني به ﴿ أنا ، و ﴾ يدعو اليه على بصيرة أيضاً ﴿ من اتبعني ﴾ وصدقني وآمن بي ﴿ وسبحان الله ﴾ يقول تعالى ذكره : وقل تنزيهاً لله وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ يقول وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني . ا هـ . وهذه الآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلى الله تعالى ، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة ، وان كان من أتباعه على الانتساب والدعوى ، قاله العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد قال تعالى ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، اليه أدعو واليه مآب ﴾ وما زال النبي ﷺ وأصحابه يدعون إلى ما أمر الله به من الدعوة إلى توحيده في العبادة ، والنهي عن الشرك به ، ويجاهدون على ذلك . والآيات في الامر بذلك كثيرة جداً [كقوله تعالى ﴿ ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ وقوله ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ لما بعثَ مُعَاذاً إلى اليمن قال له « إنك تـأْتي قوما من أَهل الكتاب ، فليكنْ أَولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أَنْ لا إلَٰهَ إلَّا الله »[1] .

---

(١) قوله : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له « انك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله » الحديث . وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث من كان في اليمن من اليهود والنصارى اذ ذاك . قوله « فليكن أولَ ما تدعوهم اليه شهادةُ أن لا اله إلا الله » وكانوا يقولونها ، لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه ، فكان قولهم لا اله إلا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الامة فانهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الاموات والغائبين والطواغيت والمشاهد ، فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم ، وينفون ما أثبتته من الاخلاص كذلك ، وظنوا أن معناها القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الاشاعرة وغيرهم ، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون فلم يدخلهم في الاسلام كما قال تعالى ﴿ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون — إلى قوله — فأنى تسحرون ﴾ وقوله ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار — إلى قوله — ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴾ : وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير . وهذا التوحيد قد أقر به مشركو الامم وأقر به أهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد ﷺ ، فلم يدخلهم في الاسلام لانهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية وهو اخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه كما قال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ فهذا التوحيد هو أصل الاسلام ، وقال تعالى ﴿ إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبـــدوا الا إياه ذلك الدين القيم ولكن

وفي رواية : إلى أَنْ يوحِّدوا اللهَ ، فان هم أَطاعوكَ لذٰلك فـأَعلمْهم أَنَّ اللهَ افترضَ عليهم خمسَ صلَوَات في كل

أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وقال ﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ﴾ وقال تعالى ﴿ ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم ، وأن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير ﴾ وقال تعالى ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص ﴾ وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير ، وسنذكر بعض ذلك ان شاء الله تعالى في هذا التعليق . قوله « فليكن أول » منصوب على أنه خبر « يكن » مقدم و « شهادةُ » اسمها مؤخر ويجوز العكس ، وفيه دليل على أن توحيد العبادة هو أول واجب ، لأنه أساس الملة وأصل دين الاسلام . وأما قول المتكلمين ومن تبعهم : ان أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال. فذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلى توحيد العبادة ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ * قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك ؟ فاطر السموات والأرض ﴾ قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى : هذا يحتمل شيئين : (أحدهما) أفي وجوده شك ؟ فان الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الاقرار به ، فان الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، (والمعنى الثاني) أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة الا هو وحده لا شريك له ، فان غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى اه . قلت : وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الاول . وروى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا : ليس أحد الا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والارض ،=

(*) عبارة (فتح المجيد) وقال نوح (أن لا تعبدوا الا الله) تبين المراد وقد غفل عن ذلك من وضع (اي) بدل (ان) في (ان لا تعبدوا الا الله)

يوم وليلة[1] ، فان هم أطاعوكَ لذٰلك فاعلمْهم أنَّ اللهَ افترضَ عليهم صَدَقةً تُؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم[2] ، فان هم أطاعوكَ لذٰلك فايّاك وكرائمَ

=فهذا ايمانهم . وعن عكرمة أيضاً : تسألهم من خلق السموات والارض ؟ فيقولون : الله . فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره ، و [قد] تقدم أنَّ « لا اله الا الله » قد قيدت في الكتاب والسنة بقيود ثقال ، منها العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والقبول والانقياد والكفر بما يعبد من دون الله ، فاذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة ، وان لم تجتمع هذه لم تنفعه ، والناس متفاوتون في العلم بها والعمل : فمنهم من ينفعه قولها ، ومنهم من لا ينفعه كما لا يخفى .

(١) قوله « فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة » فيه دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة الا إذا أسلم بتركه الشرك باطناً وظاهراً ، لأن الاسلام شرط لصحة العبادة كما قال النووي رحمه الله ما معناه : إنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الاسلام ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها ، ويزاد في عذابهم في الآخرة ، والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه ، وهذا قول الأكثرين .

(٢) قوله « فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » . فيه أن الزكاة لا تنفع إلا من وحد الله ، وصلى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وواجباتها ، والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى . ويدل على هذه الجملة قوله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ﴾ فمن أتى بهذه الأمور أتى ببقية الأركان لقوة الداعي إلى ذلك ، لأن ذلك يقتضي الاتيان بها لزوماً قال تعالى ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ قال أنس في الآية : توبتهم خلع الأوثان وعبادتهم ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وعن ابن مسعود مرفوعاً « أمرتم بإقام=

أَموالهم[١] ، واتَّقِ دعوةَ المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حِجابٌ » أَخرجاه[٢] . ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه[٣] أَنَّ رسول الله ﷺ قال يومَ خَيْبَر « لأُعطينَّ الرايةَ غداً رَجُلا يُحبُّ اللهَ ورسولَه ويُحبُّه اللهُ ورسولُه يفتحُ الله على يديه[٤] » فبات الناسُ يَدُوكونَ ليلتهم ، أَيُّهم

=الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلا صلاة له » وقال ابن زيد : أبى الله أن تقبل الصلاة إلا بالزكاة ، وفيه بيان مصرف الزكاة .

(١) قوله «فان هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم» تحذير له من أن يتجاوز ما شرعه الله ورسوله في الزكاة وهو أخذها من أوساط المال ، لأن ذلك سبب لإخراجها بطيب نفس ونية صحيحة ، وكل ما زاد على المشروع فلا خير فيه ، وهذا أصل ينبغي التفطن له .

(٢) قوله « واتق دعوة المظلوم » يدل على أن العامل اذا زاد على المشروع صار ظالماً لمن أخذ ذلك منه ، ودعوة المظلوم مقبولة ليس بينها وبين الله حجاب يمنع قبولها . وفيه التحذير من الظلم مطلقاً ، فعلى العامل أن يتحرى العدل فيما استعمل فيه ، فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق ، ولا يحابي بترك شيء منه ، فعليه أن يقصد العدل من الطرفين . والله أعلم .

(٣) قوله « عن سهل بن سعد » أي ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي أبو العباس ، صحابي شهير ، وأبوه صحابي أيضاً ، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة .

(٤) قوله : أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » الحديث فيه البشارة بالفتح ، وهو علم من أعلام النبوة ، وقد وقع كما أخبر رسول الله ﷺ . قوله « يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » قال شيخ الاسلام : ليس هذا الوصف مختصاً بعلي ولا بالأئمة ، فان الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله . لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب=

يُعطاها . فلما أَصبحوا غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أَن يُعطاها ، فقال « أَينَ عليٌّ بنُ أَبي طالب[١] ؟ » فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأَرسلوا إِليه[٢] فأُتيَ به فبصق في عَينيه ودعا له ، فبرأَ كأَنْ لم يكن به وجع[٣] ،

=الذين لايتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج ، لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم ، فان الخوارج تقول في علي مثل ذلك ، لكن هذا باطل ، فان الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله انه يموت كافراً . وفيه إثبات صفة المحبة لله خلافاً للجهمية ومن أخذ عنهم ، وفيه فضيلة أخرى لعلي رضي الله عنه بما خصه به من إعطاء الراية ودعوته أهل خيبر إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا ، وقد جرى له رضي الله عنه في قتالهم كرامات مذكورة في السير والمغازي . وفيه مشروعية الدعوة إلى الاسلام الذي أساسه شهادة أن لا إله إلا الله لقوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ الآية .

(١) قوله « فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه » . قال المصنف رحمه الله تعالى : فيه الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى .

(٢) قوله « فأرسلوا اليه » أي النبي ﷺ أرسل اليه من يأتيه به ، وفي صحيح مسلم أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وعن اياس بن سلمة عن أبيه أن الذي جاء به سلمة رضي الله عنه .

(٣) قوله : « فبصق في عينيه » أي تفل . قوله « ودعا له فبرأ » هو بفتح الراء والهمزة ، أي عوفي في الحال عافية كاملة ، وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث : فدعا فاستجيب له عليه السلام ، وفيه علم من أعلام النبوة أيضاً ، وذلك كله بالله ومن الله وحده ، وهو الذي يملك الضرّ والنفع ، والعطاء والمنع ، لا إله غيره ولا رب سواه .

فأعطاه الرايةَ فقال « انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتهم (١) . ثم ادْعُهم إلى الاسلام (٢)، وأَخبرْهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى (٣) فيه ،

(١) قوله «انفذ» هو بضم (الهمزة والفاء)،قوله « على رسلك » أمره أن يسير اليهم بأدب وأناة ، « حتى تنزل بساحتهم » الساحة هي ما قرب من حصونهم .

(٢) قوله « ثم ادعهم إلى الاسلام » هذا هو شاهد الترجمة ، وهكذا ينبغي لأهل الاسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الاسلام والدخول فيه ، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم ، قال شيخ الإسلام : دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده ، فأصله في القلب ، والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه . فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً ، وأما الايمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته .

(٣) قوله « وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه » مما أمر به وشرعه من حقوق « لا إله إلا الله » وهذا يدل على أن الأعمال من الإيمان ، خلافاً للأشاعرة والمرجئة في قولهم إنه القول ، وزعموا أن الإيمان هو مجرد التصديق ، وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة ، لأن الدين ما أمر الله به فعلاً وما نهى عنه تركاً ، وفيه الرد على المشركين المستدلين على الشرك بكرامات الأولياء لدلالتها على فضلهم ، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره [وله من السابقة والجهاد والفضائل ما ليس لغيره] وقد خد الأخاديد وأضرمها بالنار وقذف فيها من غلا فيه أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم ، فصار من أشد الصحابة رضي الله عنه بعداً عن الشرك وشدة على من أشرك حتى أحرقهم بالنار . وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ما أعطي من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه . وهما أفضل أهل الكرامات فما زادهم ذلك إلا قوة في التوحيد وشدة على أهل الشرك والتنديد ، كما

فوالله لأَنْ يهديَ اللهُ بكَ رَجُلا واحدا خيرٌ لك من حُمْر النَّعَمِ (١) ». يَدُوكون : أي يخوضون (٢) .

=جرى لعمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس وتعمية قبر دانيال لما وجده الصحابة في بيت مال الهرمزان ، كما أن المعجزات إنما زادت الرسل قوة في الدعوة إلى التوحيد وشدة على أهل الشرك والانكار عليهم وجهادهم ، لكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه ما قد يلتبس على الجهال الذين تلبسوا بالشرك ويظنون أن ذلك كرامات ، وهي من مكر الشيطان واغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ ، فكذلك يجب على كل أحد أن يطلب الحق من القرآن بتدبره فانه الصراط المستقيم ، ولا يلتفت إلى ما زخرفته الشياطين كما اغترّ به من اغترّ في هذه الأمة ومن قبلهم.(*)

(١) قوله « فوالله » فيه جواز حلف المفتي على ما أفتى به . قوله « لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » حمر النعم بسكون الميم الإبل الحمر وهي أنفس الأموال عند العرب . وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته ، ليحصل للداعي إلى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى ، فلا ينبغي التفريط في هذه المطالب العالية . وبالله التوفيق .

(٢) قوله « يدوكون ، أي يخوضون » بين المصنف رحمه الله تعالى معنى هذه اللفظة بأن المراد خوض السامعين في هذا الخير وتمني حصوله [والله أعلم] .

(*) في نسخة ما نصه قوله وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، من أداء الفرائض على الوجه الشرعي ، والنهي عن تعدي الحدود التي حدها الله بين الحلال والحرام، وذلك من الايمان [والأعمال كلها من مسمى الإيمان] فالحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرّمه الله ، والدين ما شرعه الله ، فاذا أخذ بالاسلام الذي هو التوحيد والاخلاص وأحل ما أحله الله تعالى وحرم ما حرمه الله تعالى وأمر بذلك وجاهد عليه فقد قام بما وجب عليه وبالله التوفيق .

٦ ـ باب

تفسير التوحيد : وشهادةِ أَنْ لا إله إلا الله [١]

وقولِ الله تعالى ﴿ أُولٰئِكَ الذينَ يَدْعون يَبْتغون إلى ربِّهِم الوسيلةَ [٢] أيُّهم أقربُ ﴾ الآية ،

---

(١) قوله « باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله » [قوله (وشهادة ان لا إله إلا الله]) من عطف الدال على المدلول، لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة ، وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث ، لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك واقامة الحجة على من غالط في معنى « لا إله إلا الله » من أهل الجهل والالحاد .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ أي أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعزير فهؤلاء دينهم التوحيد وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله ﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر ، وترك ما نهاهم عنه . وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وأوجب عليهم العمل به والدعوة اليه ، وهذا الذي يقربهم إلى الله أي إلى عفوه ورضاه ، ووصف ذلك بقوله ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ فلا يرجون أحداً سواه ولا يخافون غيره ، وذلك هو توحيده ، لأن ذلك يمنعهم من الشرك ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه ، والداعي لهم والحالة هذه قد عكس الأمر وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله ففيه معنى قوله ﴿ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ وقوله ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وفيه الرد على من ادعى أن شرك المشركين انما هو بعبادة الأصنام ، وتبين بهذه الآية أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم ،

ن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الاخلاص . فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد . فانها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه والعزير ، فهم المعنيون بقوله ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلاً ﴾ ثم بيّن تعالى أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه فقال ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ وقدم المعمول لأنه يفيد الحصر ، يعني يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا إلى غيره ، وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله ، وخلق الخلق لأجله . ومن التوسل اليه التوسل بأسمائه وصفاته كما قال تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام » ، وقوله « اللهم إني أسألك بانك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يشبها شرك ، فالتوسل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه ، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزه نفسه عنه بقوله ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ وقوله ﴿ سبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ وقوله في الإنكار على من اتخذ الشفعاء ﴿ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير ، يأمر عباده باخلاص العبادة له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه ، ويعظم عقوبته ، كما قد جرى على الأمم المكذبة للرسل فيما جاءوهم به من التوحيد والنهي عن الشرك [فلم يقبلوا] ، فأوقع الله تعالى بهم ما أوقع كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم فانهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسكوا بالشرك وقالوا لنوح ﴿ ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ وقالوا لهود ﴿ ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ﴾ الآيات ، وقالوا لصالح ﴿ قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾ وقالوا لشعيب ﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ ، فتدبر ما قص

وقولِه ﴿ وإذ قال إبراهيمُ لأَبيهِ وقومِه إنني بَراءٌ مما تعبُدون إلَّا الذي فَطَرني ﴾ الآية[1] ، وقولِه ﴿ اتَّخَذوا أَحبارَهم ورُهبانَهم أرْباباً مِن دونِ الله ﴾[2] الآية

الله تعالى في كتابه مما دعت اليه الرسل وما اوقع بمن عصاهم فان الله تعالى أقام به الحجة على كل مشرك إلى يوم القيامة . وأما ما ورد في معنى الآية عن ابن مسعود قال: [ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وفي رواية] كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم . قلت : وهذا لا يخالف ما تقدم ، لأن هذه الآية حجة على كل من دعا مع الله ولياً من الأولين والآخرين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الآية ، وهذه الأقوال كلها حق ، فان الآية تعم من كان معبوده عابداً لله ، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر .

(١) وقوله ﴿ وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فانه سيهدين ﴾ الآية . الكلمة هي لا إله إلا الله باجماع أهل العلم ، وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي أريد [بها ووضعت له] ، فعبر عن المنفي بها بقوله ﴿ انني براء مما تعبدون ﴾ وعبر عما أثبتته بقوله ﴿ إلا الذي فطرني ﴾ فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك ، فما أحسن هذا التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه . قال العماد بن كثير في قوله تعالى ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أي هذه الكلمة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي لا إله إلا الله جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي اليها ، قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ : يعني « لا إله إلا الله » لا يزال في ذريته من يقولها .

(٢) وقوله تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ الأحبار هم العلماء ، والرهبان هم العباد . وهذه الآية قد فسرها رسول

وقولِه ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْداداً يُحبُّونهم كحبِّ الله[1] الآية .

الله ﷺ لعديّ بن حاتم ، وذلك أنه لما جاء مسلماً دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية قال فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، قال « بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » رواه أحمد والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق ، قال السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ولهذا قال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فصار ذلك عبادتهم وصاروا به لهم أرباباً من دون الله ، وقد قال تعالى ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ ؟ وقوله ﴿ والمسيح بن مريم ﴾ أي اتخذوه رباً بعبادتهم له من دون الله وقد قال تعالى ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانك ﴾ إلى قوله ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى « لا إله إلا الله » وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة ، وقد عمت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة المفضلة ، لما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبنيت عليها المساجد ، وبنيت لها المشاهد ، فاتسع الأمر وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة ، فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير ، وقد قال ﷺ « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس » وفي رواية « يصلحون ما أفسد الناس » .

(١) قوله ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب

الله ﴾ الآية ، الأنداد : الأمثال والنظراء كما قال العماد بن كثير وغيره من المفسرين ، فكل من صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبة اليه أو رهبة منه فقد اتخذه ندا لله لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى*: فتوحيد المحبوب أن لا يعدد محبوبه، أي مع الله بعبادته له. وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى لا يبذلها له . فهذا الحب وان سمي عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه ، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن لا تكون محبته لغير الله ، فلا يحب إلا لله ، كما في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه » الحديث ، ومحبة رسوله هي من محبته . ومحبة المرء ان كانت لله فهي من محبته ، وان كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها . ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى

نص المخطوطة هنا :

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ولهذا من اشرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان مشركاً أشركاً لا يغفره الله كما قال تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبّاً لله) الآية والصحيح ان معنى الآية ان الذين آمنوا اشد حبـاً لله من اهل الأنداد لأندادهم كما تقدم ان محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق اصلا كما لا يماثل محبوبهم غيره . قلت وهو قول مجاهد قال في الكافية الشافية

وحياة قلب العبد في شيئين من ... يرزقهما يحيي مدى الأزمـــان
في هذه الدنيا وفي الأخرى يكو ... ن الحي ذا الرضوان والاحسان
ذكر الإله وحبه من غير إشر ... اك به وهمـــا فممتنعان
من صاحب التعطيل حقاً كامتنا ... ع الطائر المقصوص من طيران

قال شيخ الاسلام بن تيميه رحمه الله ما معناه فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة أو تفريج كربة لزم ان يكون محباله ومحبته هي الأصل في ذلك إنتهى قلت فمن أحب مع الله غيره لم ينف ما نفته لا اله الا الله من الشرك ولم يثبت ماأثبتته من التوحيد بل قد جعل مع الله شريكا في الهيته وقد تبين ان الإلهية هي العبادة فنفيها عما سوى الله واثباتها لله وحده بجميع أنواعها هو معنى لا اله إلا الله كما تقدم بيانه) انتهي نص المخطوطة وهو أوجز من نص المطبوعة .

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا اللهُ وكفرَ بما يُعبَد من دون الله حرُم مالُه ودمُه ، وحِسابُه على الله عز وجل[1] » .

= محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لالقائه في النار أو أشد ، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة ، فان الإنسان لا يقدم على محبة نفسه شيئاً ، فاذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر كان أحب اليه من نفسه، وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق من محبة محبوبهم ، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به ، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد ، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والاجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً ، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان ، ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركاً لا يغفره الله كما قال تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ والصحيح أن معنى الآية أن الذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلاً كما لا يماثل محبوبهم غيره ، وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته ، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته . انتهى] .

(١) قال : في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل » . قوله « في الصحيح » أي صحيح مسلم ، عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ ، فذكره . وأبو مالك اسمه سعد بن طارق ، كوفي ثقة مات في حدود الأربعين ومائة .

قوله [« من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله » اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث : (الأول) قول لا إله إلا الله عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث ، (والثاني) الكفر بما يعبد من دون الله . لكن ذكر في هذا الحديث « وكفر » تأكيداً لما دلت عليه لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد] .

قوله «حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» فيه دليل أنه لا يحرم ماله ودمه إذا قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، فان قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدمه وماله حلال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به، ولم ينفه كما نفته لا إله إلا الله، فتأمل هذا الموضع فانه عظيم النفع قال شيخنا : وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما أجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع . انتهى. قوله «وحسابه على الله عز وجل» أي الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، فان كان صادقاً جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقاً عذبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر .

هـــذا نص الشرح في النسخ المطبوعه ، أما المخطوطة فنصها ،
أبو مالك اسمه سعد ابن طارق وأبوه طارق بن أشيم بالمعجمة والمثناه التحتية وزن احمر بن مسعود الاشجعي صحابي له احاديث . وفي مسند الإمام أحمد عن أبي مالك قال — وسمعته يقول للقوم (من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه . وحسابه على الله عز وجل) وهذا الحديث الصحيح هو معنى قوله تعالى ﴿ ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ (وهي لا إله إلا الله) والطاغوت الشيطان وما أمر به من عبادة غير الله قاله العماد بن كثير . وقال العلامة بن القيم : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فمن لم يكفر بالطاغوت لم يقل لا إله إلا الله قولاً ينفع لأنه لم يستمسك بها . وقد تضمنت الجملة الأولى من (لا إله إلا الله) نفي الطاغوت بلا النافية لأنها نفت الإلهية عن كل ما سوى الله وهذا هو الكفر بالطاغوت اذا قاله الإنسان عن علم ويقين كما تقدم بيانه. وقوله ﴿ويؤمن بالله﴾ هو معنى (الا الله) لأن الإيمان هو الاخلاص كما قال تعالى ﴿ الا لله الدين الخالص ﴾ وقال ﴿ فادعوه مخلصين له الدين ﴾ ونحو هذه الآيات يبين فيها أصل الإيمان والإسلام وهو نفي الشرك وإخلاص العبادة لله وحده فدلت هذه الكلمة على نفي الشرك والبراءة منه واخلاص العبادة لله وحده كما تقدم في قول الخليل عليه السلام « إنني براء مما تعبدون الا الذي فطرني ﴾ ومعنى هذه الكلمة هو الذي دعت إليه

الرسل من أولهم إلى آخرهم كما تقدم في الآيات التي في اول الكتاب وغيرها وقد اشتبه معنى هذه الكلمة العظيمة التي هي الفارقة بين الكفر والإيمان فظن الأكثر انها دلت على توحيد الربوبية وانه هو معناها كالأشعري وغيره من المتكلمين قالوا إن الإله هو القادر على الإختراع وهذا التوحيد قد اقر به المشركون من العرب وغيرهم كما قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ وقال تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ﴾ إلى قوله ﴿ ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ . . وقوله ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ﴾ الآيات فلم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام لأنهم جحدوا توحيد العبادة وهو توحيد القصد والطلب كما قال تعالى في دعوة الرسل ﴿ ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ وقال ﴿ وإلى عاد اخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ فأجابوه بقولهم ﴿ اجئتنا لنعبد الله وحده ﴾ وقال ﴿ واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ان لا تعبدوا الا الله ﴾ وقال ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون ﴾ وقال ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه ﴾ وقال ﴿ قل انما أمرت أن اعبد الله ولا اشرك به ﴾ والآيات في بيان هذا التوحيد الذي قد جحده الأكثرون اكثر من ان تحصر. وفي حديث معاذ ﴿ قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ﴾ وقد تقدم الكلام عليه وهذا هو التوحيد الذي دعا إليه رسول الله ﷺ وجاهد الخلق عليه وقاتل من لم يقربه وسبي ذراريهم ونساءهم واستمر الجهاد عليه في القرون الثلاثة حتى حدث من الشرك ما حدث بالغلو في ارباب القبور وبناء المساجد عليها والمشاهد فعمت البلوى بهذا فأخذوا الشرك بدلاً عن التوحيد فأنساهم ما وقعوا فيه من ذلك ما خلقوا له من التوحيد ودعوا إليه ولهذا جحده من جحده من هذه الأمة اتباعاً لسنة من قبلهم من اعداء الرسل فالحمد لله على بيانه بعد خفائه ، فيا لها نعمة ما أجلها لمن عرفه وقبله ، ودان به واحبه ودعا اليه . وبالله التوفيق ويا خسارة من انكره وعادى من دان به كحال الأكثرين من الأمم ومن بعدهم من هذه الأمة نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب)(١) .

٧ ـ باب مِن الشرك لُبسُ الحَلْقة والخَيط ونحوِهما لرفع البلاء أو دفعه(٢) .

وقولِ الله تعالى ﴿ قل أفرأيتم ما تَدْعون من دون الله إن أَرادنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هل هنَّ كاشفاتُ ضرِّه ﴾ الآية(٣) .

---

(١) وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب فقد ذكر رحمه الله تعالى ما يبين التوحيد وما ينافيه وما يقرب من الشرك وما يوصل إليه من الوسائل ، وبيان ما كان عليه السلف من بعدهم عن الشرك في العبادة وشدة إنكارهم له وجهادهم على ذلك ، وقد جمع هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد مالا يعذر أحد عن معرفته وطلبه باقبال وتدبر ، وكذلك الرد على أهل الأهواء جميعهم ، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع . فتدبره تجد ذلك بينا ، وسيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى .

(٢) قوله : « باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه » . أي لرفعه إذا نزل ودفعه قبل أن ينزل . يعني إذا كان هذا هو القصد فتعلق قلبه به في دفع ضر مما قد نزل ومما لم ينزل قد صرحت الأحاديث بأن هذا من الشرك بالله .

(٣) : قوله : وقول الله تعالى ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ قال مقاتل : فسألهم النبي ﷺ فسكتوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها . قلت : فاذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده ، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده لزوماً لا محيد لهم عنه . وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجّه في الله فقال ﴿ أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ فأقام تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك ، وهذا في القرآن كثير كقوله

عن عِمْرانَ بنِ حُصَين رضي اللهُ عنه أَن النبيَّ ﷺ رأَى رجلا في يده حَلْقة من صُفْر فقال « ما هذه » ؟ قال : من الواهنة . فقال « انزِعْها فانها لا تزيدُك إلا وَهْناً ، فانك لو مُتَّ وهي عليك ما أَفلحتَ أَبداً » رواه أَحمد بسند لا بأْس به (١)

تعالى ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ﴾ ، وقال تعالى ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ ، وقال ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ ذكر العماد بن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية (*) ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعاً « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الأقلام . واعمل لله بالشكر في اليقين ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

(١) قوله « عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال : ما هذه ؟ فقال : من الواهنة ، فقال : انزعها فانها لا تزيدك إلا وهناً ، فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً . رواه أحمد

(*) اي قول الله تعالى « قل افرأيتم ما تدعون من دون الله » الاية .

وله عن عُقبة بن عامر رضي اللهُ عنه مرفوعا « من تعلَّق تميمةً فلا أَتمَّ اللهُ له ، ومن تعلَّق وَدَعة فلا وَدَعَ اللهُ له » .

بسند لا بأس به » . قوله « عمران بن حصين » أي ابن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد بنون وجيم مصغر ، صحابي ابن صحابي أسلم عام خيبر ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة . قوله « رأى رجلاً » في رواية الحاكم : دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر فقال « ما هذه » ؟ الحديث . فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث . قوله « ما هذه»؟ الظاهر أنه للانكار عليه . قوله « من الواهنة » قال أبو السعادات : الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها ، وقيل هو مرض يأخذ في العضد ، وهي تأخذ الرجال دون النساء . وإنما نهاه عنها لكونه يظن أنها تمنع عنه هذا الداء أو ترفعه ، فأمره النبي ﷺ بنزعها لذلك وأخبر أنها لا تزيده إلا وهناً ، فان المشرك يعامل بنقيض قصده لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه ، فاذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أطم وأعظم ؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل . قال المصنف رحمه الله تعالى : فيه شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ، وأنه لم يعذر بالجهالة لقوله « فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً » والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة . قوله « رواه أحمد بسند لا بأس به » هو الامام أحمد بن محمد ابن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي إمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه والحديث وأشدهم ورعاً ، وهو الذي يقول فيه بعض أهل السنة : عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، أتته الدنيا فأباها ، والشبه فنفاها . روى عن الشافعي ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى القطان وابن عيينة وعبد الرزاق وخلق لا يحصون . مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة رحمه الله تعالى .

(١) قوله : وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً « من تعلق تميمة فلا اتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية من تعلق تميمه فقد أشرك » . عقبة بن عامر صحابي مشهور فقيه فاضل ولي إمارة مصر لمعاوية

وفي رواية (*) « من تعلق تميمة فقد أشرك » ولابن أبي حاتم عن حُذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلا في يده خيطٌ من الحُمَّى فقطعه[1]

ثلاث سنين ومات قريباً من الستين . وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه ، وهذا أيضاً ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله ، لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله كما تقدم في قوله تعالى ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك ، وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم ، فاذا كان هذا قد خفي على بعض الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبوة فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب بعد ما حدث من البدع والشرك ، كما في الأحاديث الصحيحة وتقدمت الإشارة إلى ذلك . وهذا مما يبين معنى لا إله إلا الله أيضاً فانها نفت كل الشرك قليله وكثيره كما قال تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ . قوله « فلا أتم الله له » دعاء عليه ، وكذلك قوله « فلا ودع الله له » أي لا جعله في دعة وسكون .

(١) قوله :(ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه) أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ . ابن أبي حاتم هو الامام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم محمد بن ادريس المرادي التميمي الحنظلي الحافظ صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرهما مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . وحذيفة هو ابن اليمان واسم اليمان حسيل بمهملتين مصغر ، ويقال حسل بكسر ثم سكون ، العبسي بالموحدة ، حليف الأنصار صحابي جليل من=

(*) مراد المصنف رحمة الله عليه بقوله هنا وفي رواية انه في حديث آخر رواه احمد أيضاً لا ان هذا الحديث الذي يذكره رواية لبعض الأحاديث المذكورة افاد ذلك الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد .

=السابقين ويقال له صاحب السر ، وأبوه صحابي أيضاً . مات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين . قوله : رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ . فيه دليل على أن هذا شرك ، وأن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر لدخوله في الشرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عموماً وخصوصاً ، لما قد عرفت أنه ينافي كمال الاخلاص . إذا كان مثل هذا وقد خافه النبي ﷺ على الصحابة كما تقدم في قوله « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فإذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضلة فكيف يؤمَن أن يقع ما هو أعظم منه ؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدم التنبيه عليه ، حتى أن كثيراً من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم على من أنكر الشرك الأكبر فصاروا هم والصحابة رضي الله عنهم في طرفي نقيض ، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك ، وهؤلاء ينكرون على من أنكر الشرك الأكبر ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة .

وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بعثوا به من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة لله وحده ، والنهي عن الشرك به . وقد بعث الله تعالى خاتم رسله محمداً ﷺ بذلك كما بعث به من قبله ، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا اليه رسول الله ﷺ مشركي العرب وغيرهم ، فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشرك غاية النصرة ، وأنكروا التوحيد الذي بعث به غاية الانكار ، فانه ﷺ لما قال لقريش « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» عرفوا معناها الذي وضعت له وأريد منها فقالوا ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ ، وفي صحيح البخاري وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ قال له : فماذا يأمركم ؟ قلت : يقول « اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم » ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة .

٨ ـ باب

ما جاءَ في الرُّقى والتَّمائم(١)

في الصحيح عن أَبي بَشير الانصاري رضي الله عنه أَنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أَسفاره فأَرسل رسولا أَن لا يَبقينَّ في رقبة بعير قلادةٌ من وَتَر أَو قلادة إلا قُطعت(٢) .

---

(١) قوله « باب ما جاء في الرقى والتمائم » أي من النهي عما لا يجوز من ذلك .

(٢) قوله « في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت » هذا الحديث في الصحيحين واسم أبي بشير قيس بن عبيد قاله ابن سعد . وقال ابن عبد البر لا يوقف له على اسم صحيح ، وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين ويقال إنه جاوز المائة . قوله « فأرسل رسولاً » هو زيد بن حارثة ، روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، قاله الحافظ . قوله « أن لا يبقين» بفتح الياء والقاف ، ويحتمل ان يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف ، والوتر بفتحتين واحد أوتار القوس ، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم بهذا أنه يدفع عن الدابة العين ، ولهذا أمر ﷺ بقطع الأوتار التي علقت على الأبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها . قوله « أو قلادة إلا قطعت » يحتمل أن ذلك شك من الراوي ، ولابي داود « ولا قلادة » بغير شك فعلى هذه الرواية تكون أو بمعنى الواو ، قال البغوي في شرح السنة : تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين ، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليهاالعوذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم=

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرُّقى والتمائم والتِّوَلَة شِرك » رواه أحمد وأبو داود[1] . وعن عبد الله بن عُكَيم مرفوعا « من تعلَّق شيئاً وُكل اليه » رواه أحمد والترمذي[2] .

=أن الأوتار لاترد من أمر الله شيئاً ، قال أبو عبيد : كانوا يقلدون الإبل أوتاراً لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي ﷺ بازالتها اعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً .

(١) قوله : وعن ابن مسعود رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرقي والتمائم والتولة شرك ، رواه أحمد وأبو داود ، ولفظ أبي داود. عن زينب امرأة عبدالله ابن مسعود أن عبدالله رأى في عنقي خيطاً فقال : ما هذا ؟ قلت خيط رقي لي فيه . قالت فأخذه فقطعه ثم قال : انتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك ! سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » قال المصنف رحمه الله تعالى : لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه . والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وأن خفيت فقد نهى عنها رسول الله ﷺ وأصحابه لكمال علمهم بما دلت عليه « لا إله إلا الله » من نفي الشرك قليله وكثيره لتعلق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع ، وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة ، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه ، وفيه ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره وان كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر ، وقد تقدم دليله في الباب الذي قبل هذا .

(٢) قوله : عن عبدالله بن عكيم مرفوعاً « من تعاق شيئاً وكل اليه » رواه أحمد والترمذي . وعبدالله بن عكيم بضم المهملة مصغر ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي . قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة=

التمائم : شيء يعلق على الأولاد عن العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه . والرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة . والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

=وكان ثقة . قوله « من تعلق شيئاً وكل اليه » التعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل . وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه كما تقدم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله ، وهو ينافي قوله تعالى ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فان كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد ، وإن كان من الشرك الأكبر كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك فهو كفر بالله ، وخروج من دين الإسلام ، ولا يصح معه قول ولا عمل . قوله « وكل اليه » أي وكله الله اليه ، إلى ما علق قلبه به من دون الله ومن وكله الله إلى غيره ضل وهلك ، قال الامام أحمد : حدثنا هاشم ابن قاسم حدثنا أبو سعيد المؤدب حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال : لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت له حدثني بحديث أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز ، قال : نعم ، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام « يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجاً ، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء=

وروى الإمام أَحمد عن رُوَيفع قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا رويفعُ ، لعلَّ الحياة تطول بك ، فأَخبرِ الناسَ أَنَّ من عَقَدَ لحيتَه ، أَو تقلَّد وَتَراً ، أَو استنجى برَجِيع دابَّة أَو عظم ، فان محمداً بريءٌ منه »[1] . وعن

=من يده وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لاأبالي بأي واد هلك » . وشاهد هذا في القرآن [كما قال تعالى ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾] فتدبر.

(١) قوله : روى الإمام أحمد عن رويفع قال قال لي رسول الله ﷺ « يا رويفع ، لعل الحياة تطول بك ، فاخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمداً برىء منه » . رويفع هو ابن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري نزل مصر وولى برقة . له ثمانية أحاديث . قال عبد الغني ولي طرابلس فافتتح أفريقية سنة سبع وأربعين وقال ابن يونس توفي ببرقة سنة ست وخمسين . قوله « لعل الحياة تطول بك » فقد طالت حياته رضي الله عنه كما أخبر النبي ﷺ . قوله « فأخبر الناس أن من عقد لحيته » قال الخطابي أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين : (أحدهما) ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا يعقدون لحاهم وذلك من زي بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها ، قال أبو السعادات تكبراً وعجبا . (ثانيهما) أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد . اه . قلت : ويشبه هذا ما يفعله كثير من فتل أطراف الشارب فيترك أطرافه لذلك وهي بعضه ، وفي حديث زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال صحيح ، وفي الصحيح « خالفوا المشركين ، احفوا الشوارب وأعفوا اللحى » وذلك يدل على الوجوب ، وذكر ابن حزم الاجماع على أنه فرض ، فيتعين النهي عنه لذلك . قوله « أو تقلد وتراً » فيه مع ما تقدم أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتعليقه على الدواب وغيرها . قوله « أو أستنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه » هذا دليل على أن هذا والذي قبله من الكبائر لأن قوله إنا=

سعيد بن جُبير قال « من قَطع تميمةً من إنسان كَان كعَدْل رَقبة » رواه وكيع [1] . وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائمَ كلها ، من القرآن وغير القرآن [2] .

=بريء منه يدل على ذلك . وقال النووي رحمه الله تعالى : أي بريء من فعله فهذا التأويل بعيد لعود الضمير إلى من ، وقد ورد النهي عن الاستنجاء بالروث والعظام في أحاديث صحيحة كما لا يخفى ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا « لا تستنجوا بالروث والعظام فانه زاد إخوانكم من الجن » ولما روى ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة [مرفوعا] نهى أن يستنجي بعظم أو روث وقال « انهما لا يطهران » ، وعنه لا يجزي الاستنجاء بهما كما هو ظاهر مذهب أحمد .

(١) قوله : وعن سعيد بن جبير قال : « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة » . رواه وكيع . هذا عند أهل العلم له حكم الرفع ، لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي فيكون هذا مرسلاً لأن سعيداً تابعي ، فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم والترغيب في قطعها وأن ذلك مما يجب ، وفيه مع ما تقدم أنه شرك ، وبيان حال السلف رضي الله عنهم من تعظيم الشرك قليله وكثيره والنهي عنه ، فلما اشتدت غربة الاسلام في أواخر هذه الأمة صار انكار هذا وما هو أعظم منه أعظم المنكرات حتى عند من ينتسب إلى العلم كما لا يخفى ، ووكيع هو ابن الجراح بن وكيع الكوفي ثقة امام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره روى عنه الامام أحمد وطبقته . مات سنة سبع وتسعين ومائة .

(٢) قوله : وله عن ابراهيم قال « كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن » ابراهيم هو الامام ابراهيم بن يزيد النخعي الكوفي يكنى أبا عمران ثقة من كبار الفقهاء مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنة أو نحوها . وقوله « كانوا يكرهون » أراد أصحاب عبدالله بن مسعود كعلقمة والاسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع ابن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم وهم من سادات التابعين في زمانهم كانوا=

٩ ـ باب

من تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما(١)

وقولِ الله تعالى ﴿أَفرأَيْتُم اللاتَ والعُزَّى﴾ الآيات(٢)(*)

=يطلقون الكراهة على المحرم ، وهذا القول الصحيح لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب . وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لأمور ثلاثة (منها) دخوله في عموم المنهي عنه (ومنها) كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن فيفضي إلى عدم انكارها (الثالث) ان تعليق القرآن يكون سبباً في امتهانه فانه من علقه فلابد أن يدخل به الخلاء ونحوه. قال المصنف رحمه الله تعالى : والرقى هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة . والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ، قال الحافظ التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر . والله أعلم.

(١) قوله « باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما » كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك . و « من » اسم شرط والجواب محذوف تقديره فقد أشرك بالله .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ الآيات . هذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز . فاللات لأهل الطائف ومن حولهم من العرب ، والعزّى لقريش وبني كنانة ، ومناة لبني هلال . وقال ابن هشام كانت لهذيل وخزاعة ، واللات بتخفيف التاء في قراءة الجمهور ، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورويس عن يعقوب بتشديد التاء ، فعلى الأولى قال الأعمش سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، وقال=

(*) هكذا ثبت في خط المصنف (الآيات) يعني إلى قوله تعالى (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) انتهى من كتاب تيسير العزيز الحميد .

عن أَبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين ونحن حُدَثاء عهدٍ بكفر ، وللمشركين سِدْرةٌ يعكُفون عندها ويَنوطون بها أَسلحتهم ، يقال لها ذاتُ أَنْواط ، فمررنا بسِدرة فقلنا : يا رسولَ الله اجعلْ لنا ذاتَ أَنواط كما لهم ذاتُ أَنواط ، فقال رسول الله ﷺ «اللهُ أَكبر . إِنها السُّنَن قلتم والذي نفسي بيده كما

=ابن كثير : اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون بها على من عاداهم من أحياء العرب بعد قريش قاله ابن هشام ، وعلى الثانية قال ابن عباس كان رجلاً يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره ذكره البخاري . قلت : ولا منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره من عبادتهم الصخرة التي كان يلت السويق عليها باسمه وعبادة قبره لما مات . وأما العزى قال ابن جرير كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله ﷺ « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . ومناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزى انما كان بالتفات القلوب رغبة اليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر فصارت أوثاناً تعبد من دون الله . وذلك من شدة ضلال أهل الكفر وفساد عقولهم كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)(*) فصار عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين ، وقد جري ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمة .

(١) قوله : عن أبي واقد الليثي قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ

(*) في النسخ المطبوعة الاستدلال بهذه الآية . وفي المخطوطة الاستدلال بآية أخري هي قوله تعالي (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا) .

قالتْ بنو اسرائيلَ لموسى ﴿ اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ﴾ لتركبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم » . رواه الترمذي وصححه[1] .

= إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر ، انها السنن ، قلتم — والذي نفسي بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿ أجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي وصححه . قوله « عن أبي واقد » هو صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة . قوله « خرجنا مع رسول الله ﷺ » يشير إلى أهل مكة ممن إسلامه قريب إذ ذاك . قوله « إلى حنين » هو اسم واد بشرقيّ مكة معروف قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن كما قال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ والوقعة مشهورة عند أهل المغازي والسير وغيرهم وما جرى فيها من النصر وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم كما في الآية الكريمة ﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾.قوله «ونحن حدثاء عهد بكفر» يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريباً ، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث ، بخلاف من تقدم اسلامه . قوله « وللمشركين سدرة يعكفون عندها » عبادة لها وتعظيماً وتبركاً ، لما كانوا يعتقدون فيها من البركة . قوله « يقال لها ذات أنواط » هو برفع التاء كما لا يخفى . قوله « ينوطون بها أسلحتهم » أي يعلقونها . قوله « فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم — أي للمشركين — ذات أنواط » ، ظنوا أن النبي ﷺ لوقال(*)لهم ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة لمن اعتقدها فيها . وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط . قوله « فقال النبي ﷺ : الله أكبر » تعظيماً لله تعالى=

(*) في المخطوطة (جعل) وهو أنسب .

١٠ ـ باب

ما جاءَ في الذبح لغير الله

وقولِ الله تعالى ﴿ قُلْ إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومَحْيَايَ ومَماتي للهِ ربِّ العالمين لا شَريكَ له ﴾ الآية [1] وقوله

=عن أن يجعل له شريك في عبادته التي هي حقه على عباده كما قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ﴾ وقال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾ وهو الاخلاص ، والشرك ينافي ذلك ، وتقدم معنى الحنيف . وتضمنت هاتان الآيتان وما في معناهما التوحيد الذي دلت عليه « لا إله إلا الله » نفياً وإثباتاً كما تقدم بيانه ، فمن التفت قلبه لغير الله لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك ، والقرآن كله في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل دين الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه . قوله « السنن » بضم السين أي الطرق يشير إلى الطرق التي تخالف دينه الذي شرعه تعالى لعباده . قوله « قلتم والذي نفسي بيده » حلف النبي ﷺ على ذلك تأكيداً لهذا الخبر وتعظيماً له كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ وان لم يسموها آلهة ، أخبر أن التبرك بالأشجار يجعلها آلهة ، وان لم يسموها آلهة ، ولذلك شبه قولهم هذا بقول بني اسرائيل لموسى ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ فظهر بهذا الحديث أن التعلق على الأشجار والأحجار وغيرها لطلب البركة بها شرك في العبادة كشرك عبادة الأصنام . قوله « لتركبن سنن من كان قبلكم » أي اليهود والنصارى ، وقد وقع كما أخبر به النبي ﷺ في هذه الأمة ، فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا ، كما هو [مذكور] في الأحاديث الصحيحة كحديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » ؟ وهو في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي رواية « ومن الناس إلا أولئك » ؟

(١) قوله « باب ما جاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى ﴿ قل إن

﴿ فَصَلِّ لربِّكَ وانحرْ[1] ﴾ .

صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ الآية. قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمر الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى . انتهى . فالصلوات الخمس هي أعظم فرائض الاسلام بعد الشهادتين . وقوله ﴿ صلاتي ﴾ يشمل الفرائض والنوافل ، والصلوات كلها عبادة ، وقد اشتملت على نوعي الدعاء — دعاء المسألة ودعاء العبادة — فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة ، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة ، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة لأنها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعاً . قرره شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما الله تعالى بهذا المعنى . قوله ﴿ ونسكي ﴾ قال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير : « نسكي » ذبحي ، وكذلك قال الضحاك . قوله ﴿ ومحياي ومماتي ﴾ أي ما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح ﴿ لله رب العالمين ﴾ خالصاً لوجهه ﴿ لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ أي من هذه الأمة ، وهذا قول أئمة التفسير ، والمقصود أن هذه الآية دلت على أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كائناً من كان فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد وقع فيما نفاه تعالى من الشرك بقوله ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ . والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد في العبادة وبيانه ونفي الشرك والبراءة منه .

(١) قوله ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال شيخ الاسلام : أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته ، عكس أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر ، ولهذا جمع بينهما في قوله ﴿ قل إن

عن عليّ رضي الله عنه قال : حدَّثني رسولُ اللهِ ﷺ بـأربع كلمات : « لَعَنَ اللهُ من ذَبَح لغير الله ، لعَن اللهُ من لَعن والدَيْه ، لعَن اللهُ من آوىٰ محدِثا ، لعَن اللهُ من غَيَّرَ مَنارَ الارض » رواه مسلم[1] . وعن طارق بن

صلاتي ونسكي ﴾ الآية ا هـ . وقد قال تعالى ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ الآية .

(١) قوله : عن علي رضي الله عنه قال « حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم . وعلي بن ابي طالب هو الامـــام أبو الحسن الهاشمي ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما كان من أسبق السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ومناقبه مشهورة رضي الله عنه ، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين . قال أبو السعادات : أصل اللعن الطرد والابعاد من الله . قوله « من ذبح لغير الله » قال شيخ الاسلام : قوله ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ ظاهره انه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا ، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فاذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى ، فان العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله(*) ، فعلى هذا لو ذبح لغير الله متقرباً اليه=

(*) أي من الاستعانة بمجرد ذكر اسم غير الله في فواتح الأمور كما يظهر من مراجعة العبارة في (اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام بن تيميه ، ص ٢٥٩ وفي (تيسير العزيز الحميد) للعلامة سليمان بن عبدالله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص ١٥٧ و ١٥٨ .

شهاب أَن رسول الله ﷺ قال « دخل الجنةَ رجلٌ في ذُباب ودخل النارَ رجلٌ في ذُبابٍ » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله[1] ؟ قال « مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا

=يحرم وان قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال الخ ، [قلت] ومن ذلك الذبح للجن . قوله « لعن الله من لعن والديه » يعني أباه وأمه وان علوا ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال « نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » . قوله « لعن الله من آوى محدثاً » وهو بفتح الهمزة ممدودة أي ضمه اليه وحماه ، وأما محدثاً فقال أبو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول ، فمعنى الكسر من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه ، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه ، ويكون معنى الايواء فيه الرضى به والنصر ، فانه إذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه ، فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم . قوله « لعن الله من غير منار الأرض » بفتح الميم علامات حدودها ، وهي التي توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور ، قال في النهاية أي معالمها وحدودها . قلت : وذلك بأن يرفع ما جعل علامة على تمييز حقه من حق شريكه فيأخذ من حق شريكه بعضه فهذا ظلم عظيم ، وفي الحديث « من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » . فما أجهل أكثر الخلق حتى وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرهم في دنياهم وأخراهم ، وذلك لضعف الايمان بالمعاد والحساب على الأعمال والجنة والنار ، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

(١) قوله : عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » قالوا : وكيف ذلك يا رسول=

يجوزُه أَحدٌ حتى يقرِّب له شيئاً ، فقالوا لأَحدهما : قرِّبْ . قال : ليس عندي شيء أَقرِّبُ . قالوا له : قرِّبْ ولو ذبابا . فقرَّبَ ذُبابا ، فخلوا سبيله ، فدخل النار[1] . وقالوا للاخر قرِّبْ . فقال : ما كنت لأُقرِّب

=الله ؟ قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما قرب قال ليس عندي شيء أقرِّب ، قالوا له قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار ، وقالوا للآخر قرب ، فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة . رواه أحمد، قوله « عن طارق بن شهاب » البجلي الأحمسي ابو عبدالله قال أبو داود : رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً . قال الحافظ : إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي ، وإذا ثبت انه لم يسمع منه شيئاً فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : قال الامام احمد رحمه الله تعالى : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال « دخل الجنة رجل في ذباب » الحديث . قوله « في ذباب » أي من أجله . قوله « قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ » كأنهم والله أعلم تقالوا هذا العمل وهو تقريب الذباب للصنم فبين لهم النبي ﷺ أن من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار .

(١) قوله « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا : لأحدهما قرب ، فقال ليس عندي شيء أقرب ، قالوا له قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار » لأنه قصد غير الله بقلبه و انقاد بعمله فوجبت له النار ، ففيه معنى حديث مسلم الذي تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعاً « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة. ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » ، فاذا كان هذا فيمن قرب للصنم ذباباً فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله من ميت او غائب او طاغوت او مشهد او شجر او حجر او=

لأَحدٍ شيئاً دُونَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنةَ » رواه أَحمد (*) (١) .

١١ ـ باب

لا يُذْبَح للهِ بمكانٍ يُذْبَحُ فيه لغيرِ اللهِ (٢)

وقولِ اللهِ تعالى ﴿ لا تَقُم فيه أَبدا ﴾ الآية (٣) .

=غير ذلك ؟ وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه ، وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله ، وقد عمت البلوى بهذا وما هو أعظم منه .

(١) قوله « وقالوا للآخر : قرِّب ، قال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة » . ففيه معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان ونفرتهم عنه وصلابتهم في الاخلاص كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي ان شاء الله تعالى « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » وفيه «وأن يكره أن يعود في الكفربعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » وفيه تفاوت الناس في الإيمان ، لأن هذا الرجل الذي قرب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبل ما فعله مع هذا الصنم كما هو ظاهر الحديث . والله أعلم .

(٢) قوله « باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله » . أشار رحمه الله تعالى إلى ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلى التوحيد من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم ويتخذون للذبح لهم مكاناً مخصوصاً في دورهم ، فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الاسلامية ، فلله الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي إلى توحيد رب العباد .

(٣) قوله « وقول الله تعالى ﴿لاتقم فيه أبداً﴾ الآية ، أيمسجد الضرار=

(*) هو في كتاب الزهد ص ١٥ طبعه مطبعة ام القرى .

عن ثابت بن الضَّحّاك رضي الله عنه قال : نَذَرَ رجلٌ أَن يَنْحَرَ إبلا ببُوانَة فسأَل النبي ﷺ فقال : « هل كان فيها وَثَنٌ من أَوثان الجاهلية يُعْبَد » ؟ قالوا : لا . قال « فهل كان فيها عيدٌ من أَعيادهم » ؟ قالوا : لا (١) ،

=المذكور في قوله ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾ وهو مسجد قباء فقد أسس على التقوى من أول يوم قدم فيه ﷺ المدينة مهاجراً وكان أهل مسجد الضرار قد بنوه قبل خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك فأتوه فسألوه أن يصلي فيه وذكروا له أنهم انما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال « إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله » فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه نزل الوحي بخبر المسجد ، فبعث اليه وهدمه قبل قدومه إلى المدينة صلوات الله وسلامه عليه ، وانزل الله فيه هذه الآيات ، ووجه مطابقة الآية للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به صار محل غضب فنهى الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة وخرج [لوجود العلة المانعة] مخرج الخصوص والنهي عام وما كان مثله من الأمكنة ، [مما اعد للمعصية وخص بفعلها فيه] فانه يعطي حكمه لأن المعصية صيرته محلا خبيثاً وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه . ويقابل ذلك المساجد [فإن الله شرفها لما بنيت لطاعته والصلاة فيها جمعة وجماعة] وهي أشرف بقاع الأرض قال تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ﴾ الآية فما أحسن هذا القياس ، ويأتي تقريره في الحديث في الباب ان شاء الله تعالى .

(١) قوله : عن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة=

....

=فسأل النبي ﷺ فقال « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد » ؟ قالوا : لا ، قال « فهل كان فيها عيد من أعيادهم »؟ قالوا : لا . فقال رسول الله ﷺ «أوف بنذرك، فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم». رواه أبو داود واسناده على شرطهما . قوله « عن ثابت بن الضحاك » أي ابن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره ، مات سنة أربع وستين . قوله « ببوانة » بضم الباء وقيل بفتحها قال البغوي موضع في أسفل مكة دون يلملم . قال أبو السعادات هضبة من وراء ينبع . قوله « فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد » ؟ فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وهو شاهد الترجمة . قوله « فهل كان فيها عيد من أعيادهم » ؟ قال شيخ الاسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحوه ، والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية . فالعيد يجمع أموراً : منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات أو العادات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه ، وقد يكون مطلقاً ، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً . فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة «إن هذا اليوم جعله الله للمسلمين عيداً » والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنه : شهدت العيد مع رسول الله ﷺ ، والمكان كقول النبي ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً ، وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي ﷺ « دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيداً » انتهى وقد أحدث هؤلاء المشركون أعياداً عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها عيداً كمولد البدوي في مصر وغيره ، بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة ، قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه استفصال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله . قلت : وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلا للعبادة لكونها صارت محلا لما حرم الله من الشرك والمعاصي . والحديث وان كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله [اذ لا فرق] فلا تفعل في=

فقال رسول الله ﷺ « أَوفِ بنَذْرِك ، فانه لا وَفاءَ لنذرٍ في معصية الله ، ولا فيما لا يَملِكُ ابنُ آدم » رواه أبو داود ، واسناده على شرطهما (١)

١٢ ـ باب مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ يُوفُونَ بالنَّذْر ﴾(٢) وقوله ﴿ وما

=هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلا لما يسخط الله تعالى ، فبهذا صار الحديث شاهداً للترجمة ، والمصنف رحمه الله تعالى لم يرد التخصيص بالذبح وانما ذكر الذبح كالمثال ، وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجداً ، والجواب والله أعلم أنه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة لكان يخشى أن تفتتن به قلوب الجهال فيرجع إلى جعله وثناً كما كان يفعل فيه أولا فجعله مسجداً والحالة هذه ينسى ما كان يفعل فيه ويذهب فيه أثر الشرك بالكلية فاختص هذا المحل لهذه العلة وهي قوة المعارض . والله أعلم .

(١) قوله « أوف بنذرك » وذلك لعدم المانع . قوله « فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله » فالحديث دل على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لا يجوز أن يعبد الله فيها ، ونذر ذلك معصية لا يجوز الوفاء به . قوله « ولا فيما لا يملك ابن آدم » قال في شرح المصابيح : يعني إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان ونحو ذلك . فأما إذا التزم في الذمة شيئا بأن قال : إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق رقبة ، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها ، فإذا شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته . قوله « رواه أبو داود واسناده على شرطهما » أي البخاري ومسلم ، وأبو داود اسمه سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الازدي السجستاني صاحب الامام أحمد بن حنبل ومصنف السنن والمراسيل وغيرها ، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء ، مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى .

(٢) قوله « باب من الشرك النذر لغير الله وقول الله تعالى ﴿ يوفون

أَنْفَقْتُم مِنْ نَفَقَةٍ أَو نَذَرْتُمْ من نَذْرٍ فإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُه ﴾[1]

=بالنذر﴾ الآية . قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : أي يتعبدون الله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر .

(١) قوله ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ﴾ . قال ابن كثير يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقــات والمنذورات ، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأما النذر لغير الله — كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك — فهو شرك. وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنا لتنوّر به ويقول إنها تقبل النذر كما يقوله بعض المشركين : فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به ، وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فان فيهم شبهاً من السدنة التي كانت عند العزّى ومناة يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ ، فالنذر لاولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية ، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها . إنتهى . وذلك لأن الناذر لله وحده قد علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة ، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله ، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركا بالله لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب ، فقد جعله شريكا لله في العبادة فيكون قد أثبت ما نفته « لا إله إلا الله » من إلهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص ، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته « لا إله إلا الله » فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد ، وهذا معنى قول شيخنا رحمه الله : وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب . فكل شرك وقع أوقد يقع فهو ينافي كلمة الاخلاص=

=وما تضمنته من التوحيد . قال الرافعي(*) في شرح المنهاج : وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ ، أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة [من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة] أو المشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه أو بنيت على اسمه ، فهذا النذر باطل غير منعقد ، فان معتقدهم أن لهذه الأماكن ، خصوصيات ، ويرون انها مما يدفع به البلاء ، ويستجلب به النعماء ، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء ، حتى انهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند اليها عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون : القبر الفلاني يقبل النذر . يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر ابراهيم الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فان الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر الا تبركا وتعظيما ظاناً أن ذلك قربة ، فهذا مما لا ريب في بطلانه ، والايقاد المذكور محرَّم سواء انتفع به منتفع أم لا . وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار : النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد ، كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول : يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لا يجوز ، لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق . ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئا . ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله عز وجل واعتقاد ذلك كفر – إلى أن قال – إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين نقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق ونقله المرشدي في

(*) في تيسير العزيز الحميد (الاذرعي) بدل الرافعي.

وفي الصحيح عن عائشةَ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، ومَنْ نَذَرَ أَن يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِه(١) » .

تذكرته وغيرهما عنه وزاد : وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء : فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله تعالى فيكون باطلا ، وفي التنزيل ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ﴾ والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره . انتهى .

(١) قوله : وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » . قوله « في الصحيح » أي صحيح البخاري . قوله « عن عائشة » هي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنه وأعلم النساء بحديث رسول الله ﷺ ، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت سبع ودخل بها وهي ابنة تسع وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف ، بل لا يقال خديجة أفضل ولا عائشة أفضل . والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلى الإيمان بالنبي ﷺ وتأييده في تلك الحال التي بدىء بالوحي فيها كما في صحيح البخاري وغيره فما زالت كذلك حتى توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة ، ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة، لعلمها بأحوال النبي ﷺ ونزول القرآن بالأحكام وبيان الحلال والحرام ، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ يرجعون اليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عن أصحابه وأزواجه ، وتوفيت سنة سبع وخمسين رضي الله عنها . قوله « من نذر أن يطيع الله فليطعه » لأنه نذره لله خالصاً فوجب عليه الوفاء به فصار عبادة ، وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كإن شفى الله مريضي فعليّ أن أتصدق بكذا ونحو ذلك، وجب=

١٣ ـ باب

مِنَ الشِّرْكِ الاستعاذةُ بغير اللهِ (١)

وقول الله تعالى ﴿ وأَنَّهُ كان رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ برجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ (٢) .

=عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله ، إلا أن أبا حنيفة قال : لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم ، ونحوه وأما ما ليس كذلك فلا يوجب عليه الوفاء به . قوله « ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » زاد الطحاوي « وليكفر عن يمينه » . وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية ، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين ؟ على قولين هما روايتان عن أحمد إحداهما تجب وهو المذهب ، وروى عن ابن مسعود وابن عباس ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه .

(١) قوله « باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى » . الاستعاذة الالتجاء والاعتصام ، فالعائذ قد هرب إلى ربه والتجأ اليه مما يخافه عموماً وخصوصاً ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار اليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة . انتهى . وقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع كقوله ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾(*) وقال ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وفي المعوّذتين وغير ذلك ، فهي عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادة .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى=

(*) سورة الأعراف آية ٢٠٠ وفي سورة فصلت آية ٣٦ (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) وهي التي في المخطوطة .

وعن خَوْلَةَ بنتِ حَكيم رضي الله عنها قالتْ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا فقال : أَعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شرِّ ما خَلَقَ ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يَرْحَلَ مِنْ مَنزِله ذٰلك » . رواه مسلم [١] .

=في تفسيره : هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادي ، فزادهم ذلك إثماً . وقال بعضهم : فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بعزيزهم جراءة عليهم ، وازدادوا هم بذلك إثماً . وقال مجاهد : فازداد الكفار طغياناً . وقال ابن زيد : وزادهم الجن خوفاً . وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله ، وقال ملا على قاري الحنفي رحمه الله : لا تجوز الاستعاذة بالجن ، فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية ، وقال تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعا : يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ﴾ الآية ، فاستمتاع الانسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات ، واستمتاع الجني بالانسي تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه له . انتهى ملخصا . قال المصنف رحمه الله تعالى « وفيه أن كون الشيء تحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك » .

(١) قوله : وعن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » رواه مسلم . خولة بنت حكيم ابن أمية السلمية يقال لها ام شريك ، ويقال انها هي الواهبة ، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون ، قال ابن عبد البر : وكانت صالحة فاضلة . قوله « أعوذ بكلمات الله التامات » شرع الله لأهل الاسلام أن يستعيذوا به بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . فشرع الله تعالى للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته . قال القرطبي رحمه الله تعالى : قيل معناه=

١٤ ـ باب

مِنَ الشِّرْكِ أَن يَستغيثَ بغيرِ اللهِ أَو يَدْعُوَ غيرَه (١)

وقولِ اللهِ تعالى ﴿ ولاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ

=الكاملات التي لايلحقها نقص ولاعيب كما يلحق كلام البشر وقيل معناه الكافية الشافية وقيل الكلمات هنا هي القرآن فان الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء ، وهذا الأمر على جهة الارشاد إلى ما يدفع به الأذى ، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يَصدُق اللهَ في التجائه اليه ، ويتوكل في ذلك عليه ، ويحضر ذلك في قلبه . فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق ، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق قالوا لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك ، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذالتي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب اليه بما يحب فقد عبده ، وان لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداماً ، وصدق ، هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، ولذلك يخدمه الشيطان ، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فان الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما هو يفعل به . قوله « من شر ما خلق » قال ابن القيم : من كل شر ، في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسيا كان أو جنياً أو هامة أو دابة أو ريحاً أو صاعقة أو أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة ، و « ما » ههنا موصولة ليس إلا ، وليس المراد بها العموم الاطلاقي ، بل المراد التقييدي الوصفي ، والمعنى : من شر كل مخلوق فيه شر ، لا من شر كل ما خلقه الله ، فان الجنة والأنبياء والملائكة ليس فيهم شر ، والشر يقال على شيئين : على الألم ، وعلى ما يفضي اليه .

(١) قوله « باب من الشرك أن يستغيث بغير الله تعالى أو يدعو غيره » قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة=

ولا يَضُرُّكَ ، فانْ فَعلتَ فانَّكَ إذاً من الظالمين [١] ، وان يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٌّ فلا كاشِفَ لَهُ إلَّا هُوَ ﴾ الآية [٢] .

=الشدة، كالاستّنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون اه . قلت: فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق : يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث ، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب والسؤال من غير المستغيث . وقد نهى تعالى عن دعاء غيره الأخص منه والأعم في كتابه كما يأتي بيانه [قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)] فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوة الأموات والغائبين فهو من الشرك الذي لا يغفره الله ، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر .

(١) قوله تعالى ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذاً من الظالمين ﴾ في هذه الآية النهي عن أن يدعى أحد من دونه تعالى ، وأخبر تعالى أن غيْره لا يضر ولا ينفع . قوله ﴿ فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ والظلم في هذه الآية هو الشرك كما قال تعالى عن لقمان ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

(٢) قوله ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ هذا في حق المستغيث ، أخبر تعالى أنه [لا يكشف ضره إلا الله وحده دون ما سواه مطلقا وقوله (وان يردك بخير فلاراد لفضله) وهذا في حق كل طالب وراغب أخبر تعالى انه] هو الذي يتفضل على من سأله ، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئا من فضل الله عليه ، فهو المعطي والمانع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عباس وفيه « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » . فمن تدبر هذه الآية وما في معناها علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم ، والشرك الذي لا يغفره الله ، وأنهم قد أثبتوا ما نفته لا إله إلا الله من الشرك في الإلهية ، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص كما قال تعالى ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص ﴾ والدين هو طاعة الله=

وقولِه ﴿ فابْتَغُوا عندَ اللهِ الرِّزْقَ واعْبُدوه ﴾ الآية . وقولِه ﴿ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَنْ لا يَستَجِيبُ له إلىٰ يَوْمِ القيامَة ﴾ الآيتين[1]

=فيما أمر به وشرعه ونهى عنه وحرَّمه ، وأعظم ما أمر به التوحيد والاخلاص وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته ، وأرسل بذلك رسله ، وأنزل به كتبه ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ، وأعظم ما نهى عنه الشرك به في ربوبيته وإلهيته .

(١) قوله ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ ، فهذه الآية تبين وتوضح ما تقرر في الآية قبلها ، فأخبر تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دونه كائناً من كان ، وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب ، أو ممن لا يقدر على الاستجابة مطلقاً من طاغوت ووثن ، فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران . ثم قال تعالى ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ كما قال تعالى في آية يونس ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم – إلى قوله – فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ، ان كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ ثم قال ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [وقال تعالى (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون)] فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده فيتبرأ منه المدعو ومن عبادته . وينكر ذلك عليه أشد الانكار وقد صار المدعو للداعي عدواً . ثم أخبر تعالى أن ذلك الدعاء عبادة بقوله ﴿ وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ فدلت أيضاً على أن دعاء غير الله عبادة له وأن الداعي له في غاية الضلال . وقد وقع من هذا الشرك في آخر هذه الأمة ما عم وطم ، حتى أظهر الله من يبينه بعد أن كان مجهولا عند الخاصة والعامة ، إلا من شاء الله تعالى ، وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان ، لكن القلوب انصرفت=

وقوله ﴿ أَمْ مَنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعاهُ ويَكْشِفُ السُّوء ﴾[1]

وروَى[2] الطَّبَرَانيُّ باسناده(*) أَنه كان في زمن النبي ﷺ مُنافقٌ يؤْذِي المؤمنين فقال بعضُهم : قوموا بنا نَسْتغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبيُّ ﷺ « إنَّه

=إلى ما زين لها الشيطان ، كما جرى للأمم مع الأنبياء والمرسلين لما دعوهم إلى توحيد الله ، جرى لهم من شدة العداوة ما ذكره الله تعالى كما قال تعالي ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون . أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾ . ويشبه هذه الآية في المعنى قوله ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير ﴾ أخبر تعالى أن ذلك الدعاء شرك بالله ، وأنه لا يغفره لمن لقيه به . فتدبر هذه الآيات وما في معناها كقوله ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً — قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ﴾ وهو في القرآن أكثر من أن يستقصى .

(١) قوله ﴿ أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، أإله مع الله؟ ﴾وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم كما قال تعالى ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ أخبر تعالى أنهم يخلصون الدعاء له اذا وقعوا في شدة . قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى : يقول تعالى ﴿ أإله مع الله ﴾ يفعل هذه الأشياء بكم ، وينعم بهذه النعم عليكم ؟ وقوله ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ يقول تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون ، وتعتبرون حجج الله عليكم يسيراً ، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته .

(٢) قوله : وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق

(*) بيض المصنف لاسم الراوي هنا وهو عبادة بن الصامت أفاده الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد .

لا يُسْتَغاثُ بي ، وإنَّما يُسْتَغَاثُ باللهِ » .

١٥ ـ باب [١]

قول الله تعالى ﴿أَيُشْرِكونَ ما لَا يَخلُقُ شيئاً وهُم

يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله » . الطبراني هو الامام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها ، روى عن النسائي وإسحق بن إبراهيم الدبري وخلق كثير ، مات سنة ستين وثلاثمائة ، روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . قوله « فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق » قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم منه . قلت : فلعله أراد أن النبي ﷺ كان يترك المنافقين أن يفعل بهم ما يستحقونه مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافق ، وفي السنة ما يدل على ذلك كما فعل مع ابن أبيّ وغيره . وقيل : إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد ، وسداً لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعاً مخافة أن يقع من امته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع ولا يستجيب ، من الأموات والغائبين والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك ، وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى كما تقدم ذكره ، حتى انهم أشركوهم مع الله في ربوبيته وتدبير أمر خلقه ، كما أشركوهم معه في إلهيته وعبوديته ، والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها . والله أعلم .

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يُخلقون . ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ ، وهذا مما احتج به تعالى على المشركين لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة =

يُخلَقون ، ولا يَسْتَطِيعون لهم نَصْراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ وقولِهِ ﴿ والَّذِين تَدْعُونَ مِنْ دُونِه ما يَمْلِكونَ من قِطْمِير ﴾ الآية [1] .

لأنهم مخلوقون فلا يصح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خلقه وعبيده ، وأخبر أنهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصراً أي لمن سألهم النصرة ﴿ ولا أنفسهم ينصرون ﴾ فاذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأنْ لا ينصر غيره من باب الأولى ، فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين ، وهو كونهم عبيداً لمن خلقهم لعبادته والعبد لا يكون معبوداً . الدليل الثاني أنه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم ، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم . فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم .

(١) قوله ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم — إلى قوله — ولا ينبئك مثل خبير ﴾ . ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك ﴾ يخبر الخبير أن الملك لله وحده ، والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره ، ولهذا قال ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ فان من كانت هذه صفته لا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سواه تعالى وتقدس ، بل يجب إخلاص الدعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة . وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئاً ، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ، ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم ، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم ، أي ينكرونه ويتبرأون ممن فعله معهم ، فهذا الذي أخبر به الخبير ﴿ الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ ، وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به ، وأنه لا يغفره لمن لقيه به . فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع ، بل قالوا إن الميت يسمع ، ومع سماعه ينفع . فتركوا الإسلام والإيمان رأساً كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة .

وفي الصحيح عن أنس قال : شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُه فقال « كيفَ يُفْلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهم » فنزلت ﴿ ليس لكَ من الأَمْرِ شيء ﴾ . وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنه سمَع رسولَ الله ﷺ يقول إذا رفع رأْسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر « اللهمَّ الْعَنْ فلانا وفلانا » بعد ما يقول« سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه ربَّنا ولك الحمد » فأَنزل الله : ﴿ ليس لكَ من الأَمر شيء ﴾ الآية وفيه في رواية : يَدْعُو على صَفْوانَ ابن أُمَيَّةَ وسُهَيْل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت ﴿ ليس لكَ من الأَمر شيء ﴾ [1] .

=(١) قوله : في الصحيح عن أنس قال : شُج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رَبَاعِيَتُه فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ الآية . وفيه عن ابن عمر (*) انه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر « اللهم العن فلاناً وفلاناً » بعدما يقول « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » ، فأنزل الله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ ، وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم . قوله « في الصحيح » أي الصحيحين ، علقه البخاري عن حميد وثابت عن أنس ، ووصله أحمد والترمذي والشافعي(**) عن حميد عن أنس ، وقد قال تعالى ﴿ قل إن الأمر

(*) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابي جليل شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو في أول التي تليها . ا . هـ من فتح المجيد .

(**) كذا فيما لدي من نسخ الحاشية وفي (فتح المجيد) (النسائي) بدل الشافعي وهو الموافق لما في فتح الباري وتيسير العزيز الحميد .

وفيه عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل عليه﴿ وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقربين ﴾ ، فقال : « يا معشرَ قريش — أَو كلمةً نحوَها — اشترُوا أَنفُسَكم[1]

كله لله ﴾ وقال تعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ . والآيات في هذا المعنى كثيرة . والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئاً من العبادة ، ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾ . فالذي [قال الله تعالى في حقه صلوات الله وسلامه عليه] (ليس لك من الأمر شيء) وهو خيرة الله من خلقه ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى ، فهذا دينه ﷺ الذي بعث به وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم اليه كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإياك أن تتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به .

(١) قوله : وفيه عن أبي هريرة قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال : « يا معشر قريش — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً . ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً » . قوله « فيه » أي في صحيح البخاري ، واختلف في اسم أبي هريرة وصحح النووي أن اسمه عبد الرحمن بن صخر ، وهو دوسي من حفاظ الصحابة ، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره ، كما في صحيح البخاري عن وهب بن منبه عن أخيه سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب . مات سنة سبع — أو ثمان ، أو تسع — وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، وهذا الحديث له طرق كثيرة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها . قوله : قال « يا معشر=

لا أُغْني عنكم منَ اللهِ شيئاً (١) ، يا عباسُ بنَ عبدِ المطَّلبِ لا أُغْني عنكَ من اللهِ شيئاً ، يا صَفِيَّةُ عمةَ رسولِ اللهِ ﷺ لا أُغْني عنكِ من اللهِ شيئاً ، ويا فاطمةُ بنتَ محمد سَلِيني منْ مالي ما شئتِ لا أُغْني عنكِ من اللهِ شيئاً (٢) » .

=قريش» أو كلمة نحوها « اشتروا أنفسكم » أي بالإيمان بالله ورسوله واتباعه فيما جاءكم به مما أنزل عليه من توحيد الله في العبادة وترك ما كنتم تعبدونه من دونه من الأوثان والأصنام ، فانهم بذلك الشرك صاروا عبيداً لمن لا يضر ولا ينفع ، ولا يستجيب ولا يسمع إلا هو ، وهم وقد عرفوا أن ما كانوا يفعلونه من عبادة غير الله شرك بالله ، فإنهم كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فسبحان الله كيف جاز في عقولهم ، أن المملوك يكون شريكا لمالكه ، وقد قال تعالى ﴿ ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون. بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾ .

(١) قوله « لا أغني عنكم من الله شيئاً » هذا هو معنى ما تقدم من أنه تعالى هو المتصرف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم ، والعبد لا يعلم إلا ما علمه الله . ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، والبراءة من عبادة ما سواه كما قال تعالى ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ . والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين نذارة خاصة ، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئا ، وبلغهم ، وأعذر اليهم ، فأنذر قريشاً ببطونها ، وقبائل العرب في مواسمها ، وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه ، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به .

(٢) قوله « سليني من مالي ما شئت » لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ =

١٦ ـ باب

قولِ الله تعالى ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم قالوا ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا الحقَّ وهو العليُّ الكبير[١] ﴾ .

=وما كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في هذا الحديث. ولما مات أبو طالب – وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه – ولم ينكر ملة عبد المطلب من الشرك بالله وقال ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله ، فلم ينفعه حمايته النبي ﷺ من أن يكون من المشركين ، ولا الاعتراف بأن النبي ﷺ على الحق بدون البراءة من الشرك ، لأنه لم يبرأ من ملة أبيه ، فكل تعلق على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالا في الدنيا والآخرة ، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة كما قال تعالى ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكذلك الأحاديث . والله أعلم . وستأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى .

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ حتّى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ . قوله ﴿ حتّى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ أي زال عنها الفزع ، قاله ابن عباس وغيره . ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ وقال ابن جرير قال بعضهم : الذين فزع عن قلوبهم الملائكة ، قالوا وانما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي . قال ابن كثير : وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار ، وقال أبو حيان : تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله ﴿ حتّى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وأمر الله تعالى به سمعت كجر سلسلة=

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اذا قضى اللهُ الامرَ في السماءِ ضَرَبَتِ

=الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة، قال: وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى ، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار اليهم من أول قوله﴿ قل ادعوا الذين زعمتم ﴾ لم تتصل لههذه الآية بما قبلها .

وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بأمور أربعة : (الأول) أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله ، والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا ينفع ولا يضر ، فالله تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده . (الثاني) قوله ﴿ وما لهم فيهما من شرك ﴾ أي في السموات والأرض ، أي وما لهم شرك مثقال ذرة من السموات والأرض .(الثالث) قوله ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾ والظهير المعين ، فليس لله معين من خلقه ، بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لكمال غناه عنهم . وضرورتهم إلى ربهم فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم . (الرابع) قوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ فلا يشفع عنده أحد إلا إذا أذن له كما قال تعالى ﴿ ما من شفيع إلا من بعد اذنه ﴾ . وأخبر تعالى أن من اتخذ شفيعاً من دونه حرم من شفاعة الشفعاء ، قال تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ لأن اتخاذ الشفعاء شرك لقوله تعالى في حقهم ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ والمشرك منفية الشفاعة في حقه كما قال تعالى ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ وقال ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ وذلك أن متخذ الشفيع لا بد أن يرغب اليه ويدعوه ويرجوه ويخافه ويحبه لما يؤمله منه ، وهذه من أنواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله ، وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص .

(١) قوله : في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

الملائكةُ بـأَجْنِحَتِها خَضَعاناً لقولِه ، كأَنَّه سِلْسلةٌ على صَفْوان يَنْفُذُهم ذٰلك ﴿ حتَّى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم قالوا : ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : الحقَّ ، وهو العليُّ الكبير ﴾ فيسمعُها مُسْتَرِقُ السمع ، ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوقَ بعض ـ وصفه سفيان بكفِّه فحرفها وبَدَّدَ بينَ أَصابعه ـ فيسمعُ الكلمةَ فيُلْقيها إلى مَن تحتَه ، ثم يُلْقِيَها الآخَرُ إلى مَن تحتَه ، حتى يُلْقِيهَا على لسان الساحر أَو الكاهن ، فربَّما أَدركه الشِّهابُ قبل أَن يُلْقِيهَا ، وربَّما أَلْقاها قبلَ أَن يُدركه ، فيكذِبُ معها مائةَ كِذْبة ، فيقال : أَليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا* ؟ فيُصدَّقُ بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء » .

قال « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا=

(*) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد (قوله فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا) هكذا في نسخة بخط المصنف كالذي في صحيح البخاري سواء) وأما الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد فيقول (قوله (اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا) هكذا بيض المصنف في هذا الموضع ولفظ الحديث في الصحيح (فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا) .

ويحمل ذلك من هذين الامامين على اختلاف نسختيهما في ذلك .

وعنَ(١) النوّاس بن سمعانَ رضي الله عنه قال : قال

=قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الكاهن أو الساحر فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء». قوله «في الصحيح» أي صحيح البخاري ، ففي هذا الحديث أن من عرف الله تعالى ذل له تعظيما ومهابة وخوفاً ، لاسيما عند سماع كلامه تعالى ، لأن قوله « إذا قضى الله الأمر » أي بكلامه ووحيه إلى جبريل . وقوله « في السماء » يدل على العلو ، ففيه إثبات كلام الله وعلوه على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل . وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة على الجهمية والأشاعرة والكلابية وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته . قوله «خضعاناً» هو مصدر خضع . قوله «لقوله» صريح في أنهم سمعوا قوله وانه بصوت وان ذلك ينفذ جميع الملائكة أي يسمعونه كلهم . قوله ﴿ حتى إذا فزّع عن قلوبهم ﴾ أي زال عنها الفزع . قوله « فيسمعها مسترق السمع » أي الكلمة التي سمعتها الملائكة وتحدثوا بها . قوله « ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، وصفه سفيان» راوي الحديث – وهو ابن عيينة *– بكفه. قوله « فيسمع الكلمة » يعني مسترق السمع ، فيلقيها إلى من تحته من الشياطين ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن » الحديث . قوله « فيكذّب معها » أي الساحر أو الكاهن « مائة كذبة ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » لقبول النفوس للباطل .

(١) قوله : وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول =

(*) سفيان بن عيينة هو أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه امام حجة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله احدى وتسعون سنة ا هـ . من فتح المجيد .

رسول الله ﷺ « اذا أَراد اللهُ تعالى أَن يوحيَ بالأَمر تكلَّمَ بالوحي أَخذَتِ السمواٰتِ منه رْجفةٌ ـ أَو قال رِعْدةٌ شدَيدة ، خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أَهلُ السمواٰتِ صَعِقُوا وخَرُّوا لله سُجَّداً ، فيكونُ أَولَ من يرفع رأْسَه جبريلُ ، فيُكلِّمه اللهُ من وَحْيه بما أَراد ، ثمَّ يمرُّ جبريلُ على الملائكة كلَّما مرَّ بسماء سأَله ملائكتُها : ماذا قال ربنا يا جبريلُ ؟ فيقول جبريل : قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير ، فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ . فينتهي جبريل بالوحي إلى حيثُ أَمَرَهُ اللهُ عز وجل[1] (*) .

الله ﷺ « إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر – تكلم بالوحيأخذت السموات منه رجفة – أو قال رعدة – شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرّوا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل » رواه ابن أبي حاتم بسنده عن النواس بن سمعان – بكسر السين – ابن خالد الكلابي ويقال الأنصاري، صحابي=

(*) بيض المصنف رحمه الله بعد هذا ولعله اراد ان يكتب تمام الحديث ومن رواه وتمامه : ﴿ من السماء والأرض ﴾ . ورواه ابن جرير وابن خزيمة وابن ابي حاتم والطبراني . افاده العلامة الشيخ سليمان رحمه الله في تيسير العزيز الحميد .

١٧ ــ باب

الشفاعة (١)

وقولِ الله تعالى ﴿ وأَنْذِرْ به الذينَ يَخافُونَ أَنْ

ويقال إن أباه صحابي أيضاً . قوله « إذا أراد الله تعالى » فالإرادة صفة من صفات الله عز وجل ، وهي نوعان : شرعية وقدرية ، كما قال تعالى ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴾ الآية وقال ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ﴾ وقال ﴿ انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ونحو هذه الآيات . قوله « أن يوحي بالأمر » فيه بيان معنى ما تقدم في الحديث قبله من قوله « إذا قضى الله الأمر » . قوله « تكلم بالوحي » فيه التصريح بأنه يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل عليه السلام ، ففيه الرد على الأشاعرة في قولهم إن القرآن عبارة عن كلام الله . قوله « أخذت السموات منه رجفة ــ أو قال رعدة ــ شديدة خوفاً من الله عز وجل » في هذا معرفة عظمة الله ويوجب للعبد شدة الخوف منه تعالى ، وفيه إثبات العلو . قوله « فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرّوا لله سجداً » هيبة وتعظيما لربهم ، وخشية لما سمعوا من كلامه تعالى وتقدس . قوله « فيكون أول من يرفع رأسه جبريل » لأنه ملك الوحي عليه السلام . قوله « فيكلمه الله من وحيه بما أراد » فيه التصريح بأنه تعالى يوحي إلى جبريل بما أراده من أمره كما تقدم في أول الحديث ، قوله « ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها » وهذا أيضا من أدلة علو الرب تعالى وتقدس . قوله « ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال الحق وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل » وهذا دليل بأنه تعالى قال ويقول ، وأهل البدع من الجهمية ومن تلقى عنهم كالأشاعرة جحدوا ما أثبته الله تعالى في كتابه وأثبته رسوله ﷺ في سنته من علوه وكلامه وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة على ما يليق بجلال الله وعظمته . تشبيهات اختلقوها ما أنزل الله بها من سلطان .

(١) قوله « باب الشفاعة » . الشفاعة نوعان: شفاعة منفية في القرآن،=

يُحشَرُوا إلى ربِّهم ليس لهم مِن دُونه وليٌّ ولا شَفِيع(١) ﴾

=وهي الشفاعة للكافر والمشرك. قال تعالى ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ وقال تعالى ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ وقال ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ ونحو هذه الآيات كقوله ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ﴾ يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك ، وما لا يعلمه لا وجود له ، فنفى وقوع هذه الشفاعة ، وأخبر أنها شرك بقوله ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين اتخذو امن دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ إلى قوله ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعا يزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعّده عنه وعن رحمته ومغفرته ، لأنه جعل لله شريكا يرغب اليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحب الله تعالى أو أعظم . النوع الثاني : الشفاعة التي أثبتها القرآن ، وهي خالصة لأهل الإخلاص وقيدها تعالى بأمرين : (الأول) إذنه للشافع أن يشفع ، كما قال تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب ، فاذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له . (الأمر الثاني) رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ فالإذن بالشفاعة له بعد الرضاء كما في هذه الآية ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

(١) قوله : وقول الله تعالى ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ . الإنذار هو الإعلام بأسباب المخالفة والتحذير منها . قوله ﴿ به ﴾ أي القرآن ﴿ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا لهم شفيعاً بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده ، ولم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجون نفعه ويخافون ضرّه ، قال الفضيل بن عياض ليس كل خلقه عاتب ، إنما عاتب الذين يعقلون. قوله ﴿ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ قال الزجاج موضع ليس نصب على الحال كأنه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه يخافون .

وقولِهِ ﴿ قُلْ للهِ الشفاعةُ جميعا[1] ﴾ وقولِهِ ﴿ مَنْ ذا الذي يَشْفَعُ عندَهُ إلاَّ بإذنه[2] ﴾ وقولِه ﴿ وكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السمٰواتِ لا تُغْني شَفاعتُهم شيئاً إلَّا مِنْ بعدِ أَنْ يـأْذَنَ اللهُ لـمَنْ يَشاءُ ويَرْضى[3] ﴾

قوله ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة ، وتركوا التعلق على الشفعاء وغيرهم لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملا بدونه [لأنه طلب وسؤال من غير الله]

(١) قوله ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ دلت الآية على أن الشفاعة له سبحانه ، لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سبحانه وتعالى كما قال تعالى في الآية السابقة وقال تعالى ﴿ يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم ﴾ الآية فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه ، ولا تقع إلا ممن أذن له فيها . فتدبر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء . وقوله ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ يبطل التعلق على غيره سبحانه لانه الذي انفرد بملك كل شيء فليس لأحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده ، والإسلام هو أن تسلم قلبك (ووجهك) لله بالاخلاص ، كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ : فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به ؟ قال «الإسلام» قال : وما الاسلام؟ قال «أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله * وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة » . والآيات في بيـان الإخلاص كثيرة ، وهو أن لا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلها إلا لله وحده كما قال تعالى ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ فأمره تعالى بإخلاص الدعاء له وحده ، وأخبر أنه الدين الذي تصح معه الأعمال وتقبل . قال شيخ الاسلام : الاخلاص محبة الله ، وإرادة وجهه

(٢) قوله ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ تقدم معنى هذه الآية.

(٣) قوله ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من

(*) كذا في النسخ المطبوعة (إلى الله) وفي المخطوطة (لله)

وقولِه ﴿ قُلِ ادْعُوا الذينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ في السمٰواتِ ولا في الأَرض ﴾ الآيتين[1] .

=بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾فاذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم تعالى بقوله ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ (*) فظهر من هذه الآيـــات المحكمـــات مـــا يبين حقيقة الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره ، وقيد حصولها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها كما تقدم قريباً إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين ، فاختصت الشفاعة بأهل الاخلاص خاصة ، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات

(١) قوله ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ الآيتين قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله . ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ . فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ، ثم يقال له « ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع » وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها

(*) جواب (إذا) هنا هو [فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها] وقد ذكر في فتح المجيد.

قال أبو العباس(*): نفى الله عمّا سواه كلّ ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مِلْكٌ أو قِسطٌ منه ، أو يكون عونا لله ، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربّ كما قال ﴿ ولا يَشْفَعون إلَّا لِمَنِ ارتضى ﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبيّ ﷺ أنه « يأتي فيسجدُ لربه ويحمدُه ـ لا يبدأ بالشفاعة أولا ـ ثم يقال له : ارفع رأسَك ، وقل يُسْمَع ، وسَلْ تُعْطَ ، واشْفَعْ تُشَفَّع » . وقال له أبو هريرة : مَن أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال لا إله إلا اللهُ خالصاً من قلبه » . فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص باذن الله ، ولا تكونُ لمن أشركَ بالله . وحقيقتُه أن اللهَ سبحانه هو

= شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه رحمه الله تعالى ، وفيه تحقيق لأمر الشفاعة وجمع للأدلة . والله تعالى أعلم .

(*) هو شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه الإمام المشهور صاحب المصنفات شهرته وامامته في علوم الإسلام وتفننه تغني عن الأطناب في وصفه قال الحافظ الذهبي لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر مثله وما رأى بعينيه مثل نفسه وقال ابن دقيق العيد لما اجتمعت بابن تيميه رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وسبع مائة . انتهى من تيسير العزيز الحميد .

الذي يتفضَّلُ على أهل الإخلاص فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أَذِنَ له أن يَشْفع ليُكرِمَه ويَنال المقامَ المحمود . فالشفاعةُ التي نفاها القرآنُ ما كان فيها شرك ، ولهذا أَثبت الشفاعة بإذنه في مَواضع ، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

١٨ ـ باب

قولِ الله تعالى ﴿ إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية[١] .

في الصحيح[٢] عن ابن المسيَّب عن أبيه قال : لما حَضَرَتْ أبا طالبِ الوفاةُ جاءَه رسولُ الله ﷺ ، وعنده عبدُ الله بن أَبي اميَّة وأبو جهل ، فقال له « يا عمّ ، قل لا إله إلّا الله ، كلمةً أُحاجُّ لكَ بها عندَ الله » . فقالا له : أترغبُ عن ملَّة عبد المطَّلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ،

---

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى لرسوله ﷺ : إنك يا محمد لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالى ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وقال ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ قلت : والمنفي ههنا هداية التوفيق والقبول ، فان أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه . وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ فانها هداية الدلالة والبيان ، فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه .

(٢) قوله : في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا

فأَعادا ، فكان آخرَ ما قال هو على ملَّة عبد المطَّلب ، وأَبىٰ أَن يقول لا إله إلا الله . فقال النبيُّ ﷺ « لأَستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك » فأَنزل الله عز وجل ﴿ ما كانَ للنبيِّ والذين آمنوا أَن يَسْتغفِرُوا للمشركين ﴾ وأَنزل في أَبي طالب ﴿ إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحببتَ ، ولكن اللهَ يَهْدِي من يَشاء ﴾[1] .

طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له « يا عم ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله » . فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه رسول الله ﷺ فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبي ﷺ « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ». فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآية ، وأنزل في أبي طالب ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ . قوله «في الصحيح» أي الصحيحين . وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين ، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل، وقال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين ، وأبوه المسيب صحابي بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه ، وكذلك جده حزن صحابي استشهد باليمامة ، قوله « لما حضرتْ أبا طالب الوفاة » أي علاماتها ومقدماتها . قوله « جاءه رسول الله ﷺ » يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين فانهما من بني مخزوم وهو أيضاً مخزومي ، وكان الثلاثة إذ ذاك كفاراً ، فقتل أبو جهل على كفره وأسلم الآخران . قوله « يا عم ، قل لا إله إلا الله » أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دلت على نفي الشرك بالله واخلاص العبادة له وحده، فإنمن=

=قالها عن علم ويقين وقبول فقد أنكر الشرك وتبرأ منه، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، ولهذا عارضوا قول النبي ﷺ بقولهم : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ لأن ملة عبد المطلب الشرك بعبادة الأوثان كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك . قوله «كلمة» قال القرطبي بالنصب على أنه بدل من لا إله الا الله ، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف . قوله « أحاجّ لك بها عند الله » لأنه لو قالها في تلك الحال لقبلت منه ودخل بها في الاسلام . قوله « فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب » ؟ ذكراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين ، كقول فرعون لموسى ﴿ فما بال القرون الأولى ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ . قوله « فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا » فيه مضرة أصحاب السوء، والحذر من قربهم والاستماع لهم، ففيه معنى قول الناظم :

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

قوله « فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله » قال الحافظ هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب ، قال المصنف رحمه الله تعالى : وفيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه . قوله « فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » اللام لام القسم . قال النووي : فيه جواز الحلف من غير استحلاف . قال ابن فارس : مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً ، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام . قوله : فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ (هو خبر بمعنى النهي) والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ، فان الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله « فأنزل الله » بعد قوله « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » يفيد ذلك ، وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسباباً أخر فلا منافاة لأن الآية الواحدة قد يتعدد نزولها . وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم .

١٩ ـ باب

ما جاءَ أَنَّ سببَ كُفْر بني آدمَ وتركِهمْ دينَهم هو الغُلُوُّ في الصالحين(١) وقول الله عزّ وجل ﴿ يا أَهل الكتابِ لا تَغْلُوا فى دِينكم(٢) ﴾

(١) قوله « باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين » . قد أنذر ﷺ أمته من الغلو ، وأبلغ في الإنذار تحذيراً عما وقع من جهلة هذه الأمة كما سيأتي ذكره .

(٢) قوله ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ الآية ، الغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد ، أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله. والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ﷺ كما فعلت النصارى مع المسيح وأمه واليهود مع العزير ، وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الأمة نظماً ونثراً كما في كلام البوصيري والبرعي وغيرهما ، وفيما فعلوه من الغلوّ والشرك محادة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ، فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي ﷺ : أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا . فكره ذلك النبي ﷺ أشد الكراهة ؟ كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، وقول القائل : ما شاء الله وشئت . فقال « أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده » . قال شيخ الاسلام : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم ، قال : وعلي رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها ، واتفق الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء .

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿ وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً ﴾ قال : هٰذه أَسماءُ رجالٍ صالحينَ من قوم نُوح ، فلما هلكوا أَوحى الشيطانُ إلى قومهم أَن انْصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يَجلِسون فيها أَنصاباً وسمُّوها بأَسمائهم ، ففعلوا ، ولم تُعبَدْ . حتى اذا هَلكَ أُولٰئك ونُسيَ العلمُ ، عُبِدَتْ[1] .

وقال ابن القيم (*) : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوَّرُوا تماثيلَهم ، ثم طال عليهمُ الأَمَدُ فعَبَدُوهم .

---

(١) قوله « في الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى ﴿ وقالوا لا تَذرُنّ آلهتكم و لا تذرن وَدّاً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت . قوله « في الصحيح » أي صحيح البخاري ، وهذا الأثر اختصره المصنف رحمه الله ، والذي في البخاري عن ابن عباس صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع=

(*) هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزيه قال الحافظ السخاوي : العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان المجمع عليه بين الموافق والمخالف صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة مات سنة احدى وخمسين وسبع مائة ، انتهى من فتح المجيد .

=فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين في قوم نوح – الخ . قوله « ان انصبوا » هو بكسر المهملة ، قوله « أنصاباً » جمع نصب وهي الأصنام التي صوروها على صور الصالحين . قوله « ففعلوا ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت » الذي في البخاري « ونسخ العلم » فلعل الذي هنا رواية فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلماً إلى عبادتها ، وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو فيه كما لا يخفى على ذوي البصائر ، كما جرى لأهل مصر وغيرهم ، فان أعظم آلهتهم أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ، ومع هذا فصار أعظم آلهتهم ، مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل ، ذكره السخاوي عن أبي حيان (*) ، فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفىء الحريق =

=وينجي الغريق وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب ، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة ، وفيهم من يسجد على عتبة

(*) في ترجمة محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الشمس ابي عبد الله الغماري ثم المصري المالكي النحوي من كتاب السخاوي (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج ٩ ص ١٥٠ قال السخاوي (حدث المقريزي – اي في عقوده – عنه – اي عن الغماري – عن شيخه أبي حيان قال الزمني الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي بن البابا المسير معه لزيارة احمد البدوي بناحية طنتدا فوافيناه يوم الجمعة واذا هو رجل طوال عليه ثوب جوخ عال وعمامة صوف رفيع والناس يأتونه أفواجاً فمنهم من يقول يا سيدي خاطرك مع غنمي وآخر يقول مع بقري وآخر مع زرعي إلى ان حان وقت الصلاة فنزلنا معه إلى الجامع وجلسنا لانتظار اقامة الجمعة فلما فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة وضع الشيخ رأسه في طوقه بعدما قام قائما وكشف عن عورته بحضرة الناس وبال على ثيابه وحصر المسجد واستمر ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس إلى أن انقضت الصلاة ولم يصل) ا . ه كلام السخاوي في «الضوء اللامع » .

وعن عمر أَن رسول الله ﷺ قال « لا تُطْرُوني كما أَطَرتِ النصاري ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبدُ الله ورسوله » أَخرجاه[1] .

حضرته . وكان اهل العراق ومن حولهم كاهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي ، وعبد القادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية ، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزهد ، لكن فيه زهد وعبادة ، وفتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرافضة مع أهل البيت . وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات ، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين ، وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به . وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض . وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لافضل له ولا دين كأناس بمصر وغيرها . وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى كعبادتهم للجن وطلبهم الشفاعة منهم ، والأصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان . وذكر أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك » حتى كان عمرو بن لحي الخزاعي ، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك . فأنكر ذلك عمرو وقال : ما هذا ؟ فقال الشيخ : تملكه وما ملك . فانه لا بأس بهذا . فقالها عمرو ، فدانت بها العرب .

(١) قوله : وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجاه . قوله « عن عمر » هو ابن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغر العدوي أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه ، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً فامتلأت الدنيا عدلا ، وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر ، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . قوله « لاتطروني »=

وقال(*) : قال رسول الله ﷺ « إيّاكُم والغُلوَّ ، فانّما أهلكَ من كان قبلَكم الغلوُّ[1] » . ولمسلم عن ابن مسعود أَن رسول الله ﷺ قال « هَلكَ المتنطِّعون » قالها ثلاثا[2] .

=الإطراء هو الغلو « كما أطرت النصارى ابن مريم » كما قال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ قوله « إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أمرهم ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول في الخطاب وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه لأن أشرف مقامات الأنبياء العبودية الخاصة والرسالة .

(١) قوله : قال قال رسول الله ﷺ « إياكم والغلو ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » . هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى بدون ذكر راويه ، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس ، وهذا لفظ رواية أحمد عن ابن عباس . قال شيخ الاسلام : هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال .

(٢) قوله : ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً . قال الخطابي : المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف في البحث عنه على مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم . وقال أبو السعادات هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم . وقال النووي : فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الاعراب في مخاطبة العوام ونحوهم . قوله « قالها ثلاثاً » أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والإبلاغ ، فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة أن=

(*) في اصل المصنف شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بياض قبل عبارة (قال رسول الله ﷺ إياكم والغلو » كما افاده العلامة الشيخ سليمان بن عبدالله بن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في (تيسير العزيز الحميد).

٢٠ ـ باب

ما جاءَ من التغليظ فيمن عَبَدَ اللهَ عند قبرِ رجل صالح فكيف اذا عَبَدَه ! (١)

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذكرتْ لرسول الله ﷺ كنيسةً رأَتْها بأَرض الحَبَشة وما فيها من الصُّوَر فقال « أُولٰئكِ إذا ماتَ فيهم الرجلُ الصالح ـ أَو العبد الصالح ـ بَنَوْا على قبره مسجداً وصوَّرُوا فيه تلك الصُّوَر ، أُولٰئكِ شِرارُ الخَلْق عندَ الله » فهؤلاء جَمعوا بين الفِتنتين : فتنةِ القبور وفتنةِ التماثيل (٢) .

=الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشرك بالله .

(١) قوله « باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف إذا عبده » فكل ما كان وسيلة إلى الشرك فهو حرام لكونه يوقع في الشرك بالله وعبادة ما سواه كما في الأحاديث .

(٢) قوله « في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ـ الحديث » قوله « في الصحيح » أي الصحيحين ، قوله « أن أم سلمة » هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية ، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع ـ وقيل ثلاث ـ وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة ، توفيت سنة اثنتين وستين . قوله « ذكرت لرسول الله ﷺ » وفي الصحيحين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ . والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون : معبد النصارى . قوله « رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور » لأن ام سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة ثم رجعا إلى مكة فهاجرا منها=

ولهما عنها قالت : لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصة له على وجهه فاذا اغْتَمَّ بها كشَفَها ، فقال وهو كذلك « لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قبورَ أَنبيائهم مَساجدَ » يُحَذِّرُ ما صنعوا ، ولولا ذلك لأُبرِزَ قبرُه ، غيرَ أَنه خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مسجدا . أَخرجاه [1] (*) .

=إلى المدينة ، والحبشة دينهم النصرانية وفيهم من أسلم . قوله « فقال أولئك » بكسر الكاف خطاب للمرأة . قوله « إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح » هذا — والله أعلم — شك من الراوي قوله « أولئك شرار الخلق عند الله ولم تذكرا غير بناء المساجد والتصوير لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته ، فبذلك صاروا شرار الخلق . فانظر إلى ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشرك والوقوع فيه مما هو أعظم من هذا ، ومع ذلك يعتقدونه ديناً وهو الشرك الذي حرمه الله ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنه . قوله « فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل » هذا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، لم يذكره المصنف رحمه الله تعالى لأن ذلك معلوم عند من يقرأ هذا الكتاب .

(١) قوله « ولهما عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذّر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه » .=

(*) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (هكذا ثبت في أول هذا الحديث (ولهما) وفي آخره (أخرجاه) بخط المصنف واحد اللفظين يغني عن الآخر لأن المراد صاحبا الصحيحين) انتهى .

ولمسلم(١) عن جُنْدَب بن عبد الله قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أَن يموتَ بخمسٍ وهو يقول « إنِّي أَبرأُ إلى الله أَنْ يكونَ لي منكم خليلٌ ، فانَّ اللهَ قد اتَّخَذَني خليلا كما

=الخميصة : كساء له أعلام . والشاهد للترجمة قوله ﷺ « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فلعنهم ﷺ على تحري الصلاة عندها ، وإن كان المصلى إنما يصلى لله ، فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون ، لأنه ذريعة إلى عبادتها ، فكيف إذا عبد أهل القبور والغائبين بأنواع العبادة وسألهم ما لا قدرة لهم عليه ؟ وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة اليها . واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى ، بل تعم من فعل فعلهم وما هو أعظم منه ، وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنة اليهود والنصارى على هذا الفعل ، تحذيرا لأمته أن يفعلوا ما فعلته اليهود والنصارى ، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم . قوله « ولولا ذلك » ، أي ما كان يحذّر من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجداً لابرز قبره مع قبور أصحابه بالبقيع . قوله « غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً » . روى بفتح الخاء وضمها ، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيما لما أبدى وأعاد من النهي والتحذير ولعن فاعله . قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل اليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره . اه . قلت : فبذلك صان الله قبره وقبل دعوته بقوله « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

(١) قوله « ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ —

اتخذَ إبراهيمَ خليلا ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أُمَّتي خليلا لاتخذت أبا بكرٍ خَليلا.ألا وإنَّ مَن كانَ قبلَكم كانوا يتَّخِذون قبورَ أنبيائِهم مساجدَ ، ألا فلا تتَّخذوا القبورَ مساجدَ ، فإنِّي أَنهاكُمْ عن ذٰلك » . فقد نهىٰ عنه في آخِرِ حياته ثمَّ إنه لَعَن - وهو في السِّياق - مَن فعلَه . والصلاةُ عندَها من ذٰلِك ، وان لم يُبْنَ مسجدٌ ، وهو مَعنىٰ قولِها « خُشيَ أن يُتَّخَذَ مسجدا » ، فانَّ الصحابة

قبل أن يموت بخمس - وهو يقول : إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا . ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر* خليلا . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك » . قوله « عن جندب بن عبد الله » أي ابن سفيان البجلي وينسب إلى جده ، صحابي مشهور مات بعد الستين ، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للأحاديث الصحيحة ، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه ، قال : ولا ريب في القطع بتحريمه . ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلى أن قال : وهذه المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين .

(*)واسم أبي بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله ﷺ ، وأفضل الصحابة باجماع من يعتد بقوله من أهل العلم . مات في جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة ، وله ثلاث وستون سنة رضي الله عنه ا . هـ من فتح المجيد .

لم يكونوا ليبْنوا حولَ قبرِهِ مسجدا ، وكل مَوْضع قُصِدَتِ الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجدا ، بل كلُّ موضع يُصلَّى فيه يُسمَّى مسجدا ، كما قال ﷺ جُعِلَتْ لي الأَرضُ مَسجدا وطَهُورا » .

ولأَحمدَ بسند جيّد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا « إنَّ مِن شِرارِ الناسِ مَن تُدْرِكُهُم الساعةُ وهم أَحياء ، والذين يَتَّخِذُونَ القبورَ مَساجِدَ » . ورواه أَبو حاتم في صحيحه (١) .

قوله « فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثم إنه لعن — وهو في السياق — من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجداً ، فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال ﷺ : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » هذا ذكره شيخنا وهو من تقرير شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى على هذه الأحاديث .

(١) قوله « ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعاً : ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد ، ورواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه . قلت : وقد وقع هذا في الأمة كثيراً كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ كما لا يخفى على ذوي البصائر ، وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور : منها أنهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله ، وينسون الله . ومنها أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون الله ، وجمعوا بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية ، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة ، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله : ان عبد القادر=

٢١ ـ باب

ما جاءَ أَنّ الغُلُوَّ في قبور الصالحين يُصيِّرُها أَوثانا تُعبَدُ من دُون الله

رَوي مالك في المُوَطَّأ : أَن رسول الله ﷺ قال « اللَّهمَّ لا تجعل قبري وَثَناً يُعبَد ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخَذُوا قبورَ أَنبيائِهم مَساجد »(١) .

الجيلاني يسمع من دعاه ، ومع سماعه ينفع ، فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت . فلقد ذهب عقل هذا وضل فكفر بما أنزله الله في كتابه كقوله ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير ﴾ فما صدقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، ولا آمنوا بما أنزله الله في كتابه ، بل بالغوا وعاندوا في رده ، وكذبوا وألحدوا وكابروا المعقول والمنقول . فالله المستعان .

(١) قوله « باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله . روى مالك (*) في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وذلك أنه ﷺ خاف أن يقع من أمته في حقه كما وقع من اليهود والنصارى في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله . وسبب ذلك الغلو فيهم

(*) هو الامام مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي ابو عبد الله المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة وأحد المتقنين للحديث حتى قال البخاري أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر مات سنة تسع وسبعين ومائة وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين وقال الواقدي بلغ تسعين سنة

ولابن جَرِير بسنده عن سُفْيان* عن منصور** عن مُجاهد*** ﴿ أَفرَأَيْتُمُ اللاتَ والعُزَّي ﴾ ، قال : كان يَلُتُّ لهمَ السَّويقَ ، فمات ، فعكَفوا على قبره . وكذا قال أَبو الجوزاء**** عن ابن عباس : كان يَلُتُّ السويقَ للحاجّ [1].

= كما قال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وكذلك رغب ﷺ إلي ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد ، وقد عبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفي ، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها « ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً » وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ وصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالي :

فأجاب رب العالمين دعاءه　　　وأحاطه بثلاثة الجدران

(١) قوله « ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد :

(*) الظاهر أنه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه إمام عابد كان مجتهداً وله أتباع يتفقهون على مذهبه مات سنة إحدى وستين ومائة وله أربع وستون سنة . ا . هـ من فتح المجيد .

(**) منصور هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي ثقة ثبت فقيه مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة انتهى من فتح المجيد

(***) مجاهد هو ابن جبر ــ بالجيم والموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير أخذ عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم مات سنة أربع ومائة قاله يحي القطان وقال ابن حبان مات سنة اثنتين او ثلاث ومائة وهو ساجد ولد سنة احدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه . ا . هـ من فتح المجيد .

(****) أبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي بفتح الراء والباء ثقة مشهور مات سنة ثلاث وثمانين ا . هـ من تيسير العزيز الحميد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لَعَنَ رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبورِ والمتَّخِذينَ عليها المساجدَ والسُّرُج .

رواه أَهلُ السُّنن * (١) .

٢٢ ـ باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد وسدِّه كل طريق يُوصل إلى الشرك (٢)

وقولِ الله تعالى (٣) ﴿ لقد جاءَكُمْ رسولٌ من أَنْفُسِكُمْ

﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ قال كان يلتّ لهم السويق فمات ، فعكفوا على قبره . وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج » . ابن جرير هو أبو جعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير ، وهو أجلّ التفاسير وأحسنها ، وهو من أئمة المسلمين المجتهدين ، وله كتاب الاحكام رحمه الله تعالى . قوله « كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره » فيه شاهد للترجمة ، فانهم غلوا فيه لأجل صلاحه ، واتخذوه وثناً بتعظيمه وعبادته ، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية .

(١) قوله : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن . هذا الحديث صحيح صححه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ويكفيك في الاحتجاج به رواية أهل السنن له ، ولم يذكر أحد منهم له علة ولا معارض له .

(٢) قوله « باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك » قد تقدم فيما سلف من الأبواب قبل هذا .

(٣) قوله : وقول الله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز

(*) يعني آبا داود والترمذي وابن ماجه فقط ولم يروه النسائي أ هـ من فتح المجيد .

عَزيز عليه ما عَنِتِمْ حَرِيصٌ عليكم ﴾ الآية . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تجعلوا بيوتَكم قُبوراً ولا تجعلُوا قبرِي عِيداً ، وصلُّوا عليَّ فانَّ صلاتَكُمْ تَبلُغُني حيثُ كنتم » رواه أبو داود باسناد حسن ورواته ثقات[1] .

عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ وجه الدلالة من الآية أنه ﷺ يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم ، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرب منه من كبائر الذنوب . وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى ، وقد كانت هذه حال أصحابه رضي الله عنهم في قطعهم الخيوط التي رقي للمريض فيها ونحو ذلك من تعليق التمائم .

(١) قوله : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا عليَّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود باسناد حسن رواته ثقات . قال الحافظ محمد بن عبد الهادي هو حديث حسن جيد الإسناد ، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة ، نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها كما تهجر القبور عن الصلاة اليها مخافة الفتنة بها وما يفضي إلى عبادتها من دون الله ، لأن النهي عن ذلك قد تقرر عندهم فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك . قوله « ولا تجعلوا قبري عيداً » فيه شاهد للترجمة . قال شيخ الاسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك . وقال ابن القيم رحمه الله العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان ، مأخوذ من المعاودة والاعتياد . فاذا كان اسماً للمكان فهو الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها ، كما أن المسجد=

وعن عليّ بن الحسين أنه رأى رجُلا يجيء إلى فرجة كانت عندَ قبر النبي ﷺ فيَدْخَلَ فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أُحَدِّثكم حديثاً سمعتُه من أَبي عن جَدِّي عن رسول الله ﷺ قال « لا تَتَّخِذُوا قبري عيداً ، ولا بُيوتَكُم قُبوراً ، وصلُّوا علي فان تسليمَكُم يبلُغني أَين كنتم » رواه في المختارة [1].

=الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة ، كما جعل أيام العيد فيها عيداً . وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية ، فلما جاء الله بالاسلام أبطلها وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى ، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر .

(١) قوله : وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فان تسليمكم يبلغني أين كنتم » رواه في المختارة . هذا الحديث رواه أبو يعلى والقاضي اسماعيل والحافظ الضياء في المختارة(*). قال شيخ الاسلام: فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار ، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط . انتهى . قوله « عن علي بن

(*) المختارة كتاب جمع مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين ومؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام قال الذهبي افنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والإتقان قال شيخ الإسلام تصحيحه في مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة فالله يرحمه ويرضى عنه . انتهى من فتح المجيد .

الحسين » أي ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنهم ، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم ، قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه . مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح . قوله « أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة » بضم الفاء وسكون الراء وهي الكوّة في الجدار والخوخة ونحوهما ، قوله « فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه » وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها . قال شيخ الاسلام : ما علمت أحداً رخص فيه ، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً ، ويدل أيضا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه ، لأن ذلك لم يشرع ، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فاذا قضوا الصلاة قعدوا وخرجوا ، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه [في الصلاة أكمل وأفضل] ، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم ، بل نهاهم عنه في قوله « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني » فبين أن الصلاة تصل اليه من بعد وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد ، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل اليها من الباب لما كانت عائشة رضي الله عنها فيها وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون اليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث ، وأنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج ، كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر ، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم ، وأن أرواح الموتى تجسدت لهم فرأوها . والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما كان يفعل من بعدهم من

٢٣ ـ باب [1]

ما جاءَ أَنَّ بعضَ هٰذهِ الأُمَّةِ يَعبدُ الأَوثان

وقولِ اللهِ تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِين أُوتوا نَصِيباً من

الخلوف . قال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال : رآني الحسن بن (الحسن (*) بن علي بن أبي طالب عند قبر النبي ﷺ فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : هلم إلى العشاء ، قلت : لا أريده . قال : ما لي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ . فقال : إذا دخلت المسجد فسلم . ثم قال لي : ان رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم . لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء . قلت : وهذا أيضا له قرب النسب وقرب الدار ، فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنـــده ، فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحري إجابة الدعـــاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة ، ولو كان مشروعا لما تركه الخلفاء والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين ولما أنكروا على من فعله ، وقولهم هو الحجة ، وهو الذي دلت عليه الأحاديث كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما ، لعلم السلف بما أراده النبي ﷺ بنهيه عن الغلو وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين واتبع غير سبيل المؤمنين كما قال تعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ ولما حدث الشرك بأرباب القبور في هذه الأمة وتعظيمها وعبادتها صارت تشد الرحال اليها لقصد دعائها والاستغاثة بها ، وبذل نفيس المال تقربا اليها وتعظيم سدنتها . فيا لها مصيبة ما أعظمها ، نسأل الله السلامة من هذا الشرك وما يقرب منه أو يوصل اليه .

(١) قوله : باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان . وقول الله

(*) وقع في بعض نسخ الحاشية (الحسن بن علي بن الحسين) وهو من تصرف بعض النساخ .

الكتاب يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطاغُوت ﴾ وقولِه تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِن ذٰلِكَ مَثُوبَةً عندَ اللهِ ، مَن لَعنَهُ اللهُ وغَضِبَ عليه وجَعَلَ منهمُ القِرَدَةَ والخَنازِيرَ وعَبَدَ الطاغوت[1] ﴾ وقوله ﴿ قال الَّذينَ غَلَبُوا عَلى

تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾. الوثن يطلق على كل من قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من صنم أو قبر أو غيره لقول الخليل عليه السلام ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكاً ﴾ مع قوله ﴿ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ قوله : وقول الله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد . فقالوا : ما أنتم ومحمد ؛ فقالوا؛ نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن ونفك العناة ونسقي الحجيج ، ومحمد صنبور : قطع أرحامنا ، واتبعه سراق الحجيج من غفار ، فنحن خير أم هو ؟ فقالوا : أنتم خير وأهدى سبيلا . فأنزل الله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب — إلى قوله — هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾

(١) قوله ﴿ قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾ قال البغوي في تفسيره : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هل أنبئكم ﴾ أخبركم ﴿ بشر من ذلك ﴾ يعني قولهم : لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ، ولا ديناً شراً من دينكم ، فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله ﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار ﴾ . وقوله ﴿ مثوبة ﴾ ثوابا وجزاء نصب على التفسير ﴿ عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ فالقردة أصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى . وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت ، فشبابهم مسخوا قردة ، ومشايخهم=

أمرهمْ لَنَتَّخِذَنَّ عليهمْ مَسجدا ﴾ .

عن أَبي سعيد رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة ، حَتَّى لو دَخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوه » قالوا : يا رسول الله ، اليهودَ والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » أَخرجاه [1] .

=مسخوا خنازير ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ أي وجعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سول له . وفي تفسير الطبري : قرأ حمزة ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ بضم الباء وجر التاء ، وقرأ ابن عباس وابن مسعود وابراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء . قوله ﴿ أولئك شر مكاناً ﴾ مما تظنون بنا ﴿ وأضل عن سواء السبيل ﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك كقوله ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا ﴾ قاله ابن كثير .

(١) قوله : عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « لتتبعن سنَن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال «فمن» » أخرجاه . وهذا سياق مسلم ، فبين ﷺ في هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه في هذه الأمة وهو الشاهد للترجمة . قوله «سنن» بفتح المهملة أي طريق من كان قبلكم . قوله « حذو القذّة » بنصب حذو على المصدر ، والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم ، أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى فوقع كما أخبر ﷺ . قال سفيان ابن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . انتهى .

ولمسلم عن ثَوْبانَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال « إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرضَ فرأَيتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها ، وإن أُمتي سيَبلغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها . وأُعطيتُ الكَنزَينِ : الأَحمرَ ، والأَبيض . وإني سأَلتُ ربّي لأُمَّتي أن لا يُهلِكَها بسَنةٍ بعامَّة ، وأَن لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوّاً من سِوَى أَنفسهمْ ، فيستبيحَ بَيضَتَهم . وإنَّ ربي قال : يا محمدُ ، إني إذا قَضَيتُ قَضاءً فانه لا يُرَدّ ، وإني أَعطيتُكَ لأُمَّتِكَ ان لا أَهلِكَهُمْ بسَنةٍ بعامَّة ، وأَن لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوّا من سِوَى أَنفُسِهم فيَستبيحَ بَيْضَتَهم ، ولو اجتمعَ عليهم مَنْ باقطارها ، حتى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بَعضاً ويَسبِي بعضُهم بعضاً[1] » . ورواه البرقانيُّ في صحيحه ، وزاد

(١) قوله : عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إذا قضيت قضاء ، فانه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً - . ورواه البرقاني في صحيحه وزاد « وانما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لايضرهم=

« وإنما أخاف على أُمّتي الأئمةَ المضلِّين ، وإذا وَقَع عليهمُ السيفُ لم يُرْفعْ إلى يوم القيامة . ولا تقومُ

=من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » . هذا الحديث رواه أبو داود في سننه ، وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى . قوله « عن ثوبان » هو مولى النبي ﷺ ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين . قوله « زوى لي الأرض » قال التوربشتي : زويت الشيء جمعته وقبضته ، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب ﷺ . وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره . قال الطيبي : جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها . قوله « وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » قال القرطبي : هذا الخبر وجده مخبره كما قال ، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة بالنون والجيم الذي هو منتهى عمارة المغرب ، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصغد ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال . ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه . قوله « زوى لي منها » يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وأن يكون مبنياً للمفعول . قوله « وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض » قال القرطبي : يعني بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما ، وقد قال ﷺ « والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب . وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة ، ووجد ذلك في خلافة عمر . قوله « واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكهـــا بسنة بعامة » هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم ، وفي بعضها بحذفها . قال القرطبي : وكأنها زائدة لأن عامة صفة السنة والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام . قوله « من سوى أنفسهم » أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضا وسبي بعضهم بعضا كما هو مبسوط في التاريخ . قوله « فيستبيح بيضتهم » قال الجوهري : بيضة كل شيء حوزته وبيضة القوم ساحتهم .=

السَّاعةُ حتى يَلْحَقَ حيٌّ من أُمَّتي بالمشركين ، وحتى تَعبُدَ فِئامٌ من أُمّتي الأَوثانَ . وانهُ سيكونُ في أُمَّتي كذَّابون ثلاثون ، كلهم يَزْعُمُ أنه نبيّ ، وأنا خاتَم النبيِّين ، لا نبيَّ بعدي

=وعلى هذا فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض ، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها ، وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم وان قلوا . قوله « حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضا » الظاهر أن «حتى» هنا لانتهاء الغاية ، أي أن أمر أمته ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضا . قوله « وإن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيت قضاء فانه لا يرد » هذا كما في الحديث « ولا راد لما قضيت » .

قولــــه « ورواه البرقاني في صحيحه » هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، قال الخطيب : كان ثبتا ورعا لم نر في شيوخنا أثبت منه ، عارفا بالفقه كثير التصانيف ، صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان ، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة . قوله « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » أي الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى ﴿ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ، إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ وقال ﴿ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ﴾ وأمثال هذه الآيات كثيرة ، في القرآن ، وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت : لا . قال : يهدمه زلة العـــالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين . رواه الدارمي . قوله « وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة » وقد وقع ذلك ، وما زالت الأمة كذلك ، نسأل الله العفو والعافية في الدنيـــا والآخرة . وفيه ما هو حق كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله وجهادهم على تركهم الشرك ، وقد منَّ الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان=

=بالدعوة إلى توحيده ، لكن أهل الشرك بدأوهم بالقتال وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة . قوله « ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين » الحي واحد الأحياء وهي القبائل، وفي رواية أبي داود « حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين . وكم وكم . قوله « وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان » والفئام مهموز : الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات . وهذا هو شاهد الترجمة ، وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتى إنه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك، حتى أقام الله شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الذي أنكره ونهى عنه ودعا الناس إلى تركه . وإلى أن يعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فرماه الملوك وأتباعهم بقوس العداوة، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره على من ناوأهم ، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها ، ولكن من الناس من عرف ومنهم من أنكر ، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرهم ، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة جعلنا الله لها شاكرين ذاكرين . قوله « وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي » قال القرطبي : قد جاء عددهم معيناً في حديث حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم أربع نسوة » أخرجه أبو نعيم وقال : هذا حديث غريب ، وحديث ثوبان أصح من هذا . قال القاضي عياض : عدّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته فوجد هذا العدد فيهم ، ومن طالع كتب الأخبار والتاريخ عرف صحة هذا ، وآخرهم الدجال الأكبر . قوله « وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» قال الحسن : الخاتم الذي ختم به ، يعني أنه آخر النبيين كما قال تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ وإنما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكما بشريعة محمد ﷺ مصليا إلى قبلته فهو كآحاد أمته ، بل هو أفضل هذه الأمة .

ولا تزالُ طائفةٌ من أمّتي على الحقّ منصورةً ، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلهم ، حتى يأتي أمرُ الله تبارك وتعالى [١] »

---

(١) قوله « ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم » قال النووي : يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب ، وفقيه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزاهد وعابد . ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد ، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه ، ويجوز اخلاء الأرض منهم أولا فأولا إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فاذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهى ملخصاً مع زيادة فيه قاله الحافظ . قال المصنف : وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية . قوله « حتى يأتي أمر الله » الظاهر أن المراد به ما روى من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الآيات العظام ، ثم لا يبقى إلا شرار الناس وقوله « تبارك وتعالى» قال ابن القيم رحمه الله تعالى: البركة [نوعان احدهما بركة] هي فعله والفعل ، منها بارك ، ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة ، وبأداة في تارة ، والمفعول منها مبارك . وهو ما جعل كذلك فكان مباركا بجعله تعالى . والنوع الثاني : بركة تضاف اليه إضافة الرحمة والعزة ، والفعل منها تبارك ، ولهذا لا يقال لغيره ذلك ولا يصح إلا له عز وجل ، فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك . وأما صفة تبارك فمختصة به كما أطلقها على نفسه في قوله ﴿ تبارك الله رب العالمين – تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره ، وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوهما ، فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها ، وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك : تعاظم . وقال ابن عباس : جاء بكل بركة .

٢٤ ـ باب

ما جاء في السحر (١)

وقولِ الله تعالى ﴿ ولقد عَلِموا لَمَنِ اشتراهُ مالَهُ في الآخِرَةِ من خَلاق ﴾ وقولِهِ ﴿ يُؤْمِنونَ بالجِبتِ والطاغوت ﴾ قال عمر(*) الجِبْت : السحر(٢) ، والطاغوت : الشيطان.

(١) قوله « باب ما جاء في السحر » أي والكهانة . السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ، ولهذا جاء في الحديث « إن من البيان لسحراً » ، وهذا من التشبيه البليغ شبهه بالسحر لكونه بالبيان يحصل منه ما يحصل من السحر . قال أبو محمد المقدسي في الكافي : السحر عزائم ورقى ، ومنه ما يؤثر في القلوب والابدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، قال تعالى ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وقال ﴿ومن شرّ النفاثات في العقد ﴾ يعني السواحر اللاتي ينفثن في سحرهن . ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه . واختلفوا : هل يكفر الساحر أو لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد ، قال أصحابه : إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر. ومما يدل على أنه كفر قوله تعالى ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾

(٢) وقال عمر في قوله تعالى ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان . وتقدم كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في حد الطاغوت وأن له أفراداً منها عبادة غير الله ، فالمعبود طاغوت كما دلت عليه الآيات ، ومنهم الكهان ، ومن يحكم بغير الحق ، أو يأمر بما يخالف الحق ، أو يرضى به وغير ذلك . قوله « الطواغيت كهان » أراد أن الكهان من الطواغيت . قوله « كان يتنزل عليهم الشيطان » أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة ، بل تتنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع فيصدقون مرة ، ويكذبون مائة .

(*) هذا الأثر عن عمر رواه ابن أبي حاتم وغيره أ هـ فتح المجيد .

وقال جابر* : الطواغيتُ كهّانٌ كان ينزِلُ عليهمُ الشيطانُ ، في كل حيٍّ واحدٌ .**

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال « اجتَنِبوا السبْعَ الموبِقاتِ » قالوا : يا رسولَ الله ، وما هنَّ ؟ قال « الشركُ بالله، والسِّحْرُ ، وقتلُ النفسِ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحقّ ، وأكلُ الرِّبا ، وأكلُ مال اليتيم ، والتولِّي يومَ الزَّحْف ، وقَذْفُ المحصَناتِ الغافلاتِ المؤمنات (١) » .

---

(١) قوله : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال « الشرك بالله، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » هكذا أورده المصنف رحمه الله تعالى غير معزو ، وقد رواه البخاري ومسلم. « اجتنبوا » أي ابعدوا ، وهو أبلغ من قوله دعوا أو اتركوا ، لأن النهي عن القربان أبلغ كقوله تعالى ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ . قوله «الموبقات» بموحدة وقاف أي المهلكات ، وسميت هذه موبقات لأنها=

(*) جابر هو ابن عبدالله بن عمرو بن حرام ابو عبدالله الأنصاري ثم السلمي بفتحتين صحابي جليل ابن صحابي جليل مكثر عن النبي صلى الله عليه وسلم مات بالمدينة بعد السبعين وقد كف بصره وله أربع وتسعون سنة ، انتهى من تيسير العزيز الحميد.

(**) اثر جابر هذا رواه ابن أبي حاتم بنحوه مطولا عن وهب بن منبه، قال سألت جابر بن عبدالله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون اليها فقال ان في جهينة واحداً وفي أسلم واحداً وفي هلال واحداً وفي كل حي واحداً وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين ، أهـ. فتح المجيد .

=تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات ، وفي الآخرة في العذاب . وفي حديث ابن عمر عند البخاري في (الأدب المفرد) مرفوعا قال « الكبائر تسع » ، وذكر السبعة المذكورة « والالحاد في الحرم ، وعقوق الوالدين » .
قوله « قال الشرك بالله » هو أن يجعل لله نداً يدعوه [كما يدعو الله] ويرجوه كما يرجو الله ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ النـد للرحمن أيـا كان من حجر ومن انسان
يدعوه أو يرجـوه ثم يخـافه ويحبه كمحبـة الديـان

وبدأ به لانه أعظم ذنب عصي الله به كما قال تعالى ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ . قوله : والسحر تقدم تعريفه . قوله « وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق » أي نفس المسلم المعصوم ، وقتل المعاهد كما في الحديث « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة » . وذهب ابن عباس وأبو هريرة الى أنه لا توبة لمن قتل مؤمنا متعمداً ، وذهب جمهور الأمة سلفا وخلفا إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله ، فان تاب وأناب وعمل صالحا بدل الله سيئاته حسنات ، كما قال تعالى ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما — إلى قوله — إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ﴾ . قوله « وأكل الربا » أي تناوله بأي وجه كما قال تعالى ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ الآيات . قال ابن دقيق العيد : وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ ، وفي الحديث « الربا نيف وسبعون حوبا ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » . قوله « وأكل مال اليتيم » يعني التعدي فيه . وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع كما قال تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا ﴾ . قوله « والتولي يوم الزحف» أي الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال ، كما قال تعالى ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ . قوله « وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » هو بفتح الصاد

وعن جُندَبٍ مرفوعا « حَدُّ الساحِرِ ضَربةٌ بالسيف » رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف[1] .

وفي صحيح البخاريّ عن بَجالةَ بن عَبَدَةَ قال : كتب عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه أَن اقتُلوا كل ساحرٍ وساحرة . قال : فقتلنا ثلاثَ سَواحِر[2] .

المحفوظات من الزنا ، وبكسرها الحافظات فروجهن منه ، والمراد الحرائر العفيفات . قال تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ الآية .

(١) قوله : وعن جندب مرفوعا « حد الساحر ضربة بالسيف » رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف . قوله « عن جندب » رواه الطبراني في ترجمة جندب بن عبدالله البجلي قال الحافظ : والصواب أنه غيره ، وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكره . قوله « حد الساحر ضربة بالسيف » روي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح ، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة فقالوا : يقتل الساحر . وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز ، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا ان عمل في سحر ما يبلغ الكفر به . قال ابن المنذر : هو رواية عن أحمد ، والأول أولى للحديث ولأثر عمر ، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير .

(٢) قوله « في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، فقتلنا ثلاث سواحر » . هذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنف ، لكن لم يذكر قتل السواحر . قوله « عن بجالة » بفتح الموحدة بعدها جيم « ابن عبدة » بفتحتين التميمي العنبري ، بصري ثقة . قوله : كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . وظاهره=

وصحّ عن حَفْصةَ رضي الله عنها أنها أمرتْ بقتل جاريةٍ لها سَحرتها ، فقُتلت [1] . وكذٰلك صحّ عن جندَب . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ [2] .

٢٥ ـ باب [3]

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عَوف ، عن حَيّان بن العَلاء ، حدثنا قَطَنُ بن قَبِيصة ،

=أنه يقتل من غير استتابة ، وهو كذلك على المشهور عن احمد ، وبه قال مالك ، لأن علم السحر لا يزول بالتوبة ، وعن أحمد يستتاب فان تاب قبلت توبته ، وبه قال الشافعي ، لأن ذنبه لا يزيد على الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم .

(١) قوله « وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت » هذا الأثر رواه مالك في الموطأ . وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب ، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين .

(٢) قوله « وكذلك صح عن جندب » أشار المصنف بهذا إلى قتل الساحر رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال : كان عند الوليد رجل يلعب ، فذبح انسانا وأبان رأسه فعجبنا ، فأعاد رأسه ، فجاء جندب الأزدي فقتله . ورواه البيهقي في الدلائل مطولا وفيه : فأمر به الوليد فسجن ، فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة . قوله « قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ » ، أحمد هو الامام أحمد بن حنبل ، أي صح قتل الساحر عن ثلاثة .

(٣) قوله : باب بيان شيء من أنواع السحر ، قال أحمد : حدثنا محمد

عن أَبيه ، أَنه سمع رسولَ الله ﷺ قال « إنَّ العِيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجِبْت » . قال عوفٌ : العِيافةُ : زجرُ الطير ، والطَّرق : الخَطُّ يُخَطُّ بالأَرض ، والجِبتُ قال الحسن : رَنَّةُ الشيطان . إسناده جيد . ولأَبي داود والنسائي وابن حِبّان في صحيحه المسنَدُ منه[1] .

ابن جعفر حدثنا عوف عن حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » قال عوف : العيافة زجر الطير ، والطرق الخط يخط بالأرض ، والجبت قال الحسن : رنة الشيطان قوله ولأبي داود (والنسائي) وابن حيان في صحيحه المسند منه . قوله « المسند منه » لم يذكروا قول عوف . قوله « قال أحمد » هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل . ومحمد بن جعفر هو المشهور بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور مات سنة ست ومائتين . وعوف هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم العبدي البصري المعروف بعوف الأعرابي ثقة ، مات سنة ست — أو سبع — وأربعين وله ست وثمانون سنة . وحيان بن العلاء بالتحتية ويقال حيان بن مخارق أبو العلاء البصري مقبول . وقطن بفتحتين أبو سهلة البصري صدوق . قوله « عن أبيه » هو قبيصة بفتح أوله ابن مخارق بضم الميم أبو عبدالله الهلالي صحابي نزل البصرة . قوله « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت ، قال عوف : العيافة زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ، وهو من عادة العرب وكثير في أشعارهم ، ويقال عاف يعيف اذا زجر وحدس وظن قوله « والطرق الخط يخط بالأرض ، هكذا فسره عوف وهو كذلك ، قال أبو السعادات : هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء قوله « من الجبت » السحر . قوله « قال الحسن : رنة الشيطان » . قلت : ذكر ابراهيم بن محمد ابن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد : إن إبليس رنّ أربع رنات : رنة حين لعن ، ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين أنزلت=

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ « مَن اقتبسَ شُعبَةً من النجوم فقد اقتبسَ شُعبةً مِنَ السحر ، زاد ما زاد » رواه أبو داود وإسناده صحيح[1] .

وللنسائي من حديث أبي هريرة « مَن عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَرَ ، ومن سَحَرَ فقد أشرك ، ومن

=فاتحة الكتاب . وروى الحافظ الضياء في المختارة * الرنين الصوت ، وقد رن يرن رنينا . وبهذا يظهر معنى قول الحسن رضي الله عنه.

(١) قوله : وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » . رواه أبو داود باسناد صحيح . وكذا صححه النووي والذهبي ، ورواه أحمد وابن ماجه . قوله « من اقتبس » قال أبو السعادات . قبست العلم وأقتبست اذا علمته انتهى . قوله « شعبة » أي طائفة (من علم النجوم والشعبة الطائفة) ، ، ومنه الحديث « الحياء شعبة من الايمان » أي جزء منه . قوله « فقد اقتبس شعبة من السحر » المحرم تعليمه ، قال شيخ الاسلام : فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر ، وقد قال تعالى ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ . قوله « زاد ما زاد » أي كلما زاد من تعلم النجوم زاد في السحر وفي الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه ، فان ما يعتقدونه في النجوم من التأثير باطل ، كما أن تأثير السحر باطل . والله أعلم.

(*) سقطت رواية الضياء من الأصل في جميع النسخ ، وهي في «فتح المجيد» عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ (لما فتح رسول الله ﷺ مكة رن ابليس رنة جتمعت اليه جنوده) أما قوله : الرنين الصوت ... فتفسير

تعلَّق شيئا وُكِل اليه »[1] .

وعن ابن مسعود أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال « ألا هل أَنَبِّئُكُمْ ما العَضْهُ ؟ هي النميمةُ ، القالة بين الناس » . رواه مسلم[2] .

---

(١) قوله : وللنسائي من حديث أبي هريرة « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل اليه » هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي ، وقد رواه النسائي مرفوعا وحسنه ابن مفلح . قوله و «للنسائي» هو الامام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب السنن الكبرى والمجتبي وغيرهما ، روى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة وخلق ، وكان اليه المنتهى في العلم بعلل الحديث ، مات سنة ثلاث وثلاثمائة وله ثمانون سنة . قوله « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر » قال تعالى ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك ، والنفث هو [النفخ مع ريق وهو] دون التفل . قوله « ومن تعلق شيئاً وكل اليه » أي من علق قلبه بشيء يرجوه ويخافه وكله الله إلى ذلك الشيء ومن قصر تعلقه على الله وحده كفاه ووقاه ، كما قال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وقال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ ومن تعلق قلبه بغير الله في رجاء نفع أو دفع ضر فقد أشرك .

(٢) قوله : وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ألا هل أنبئكم ما العضه ؟ هي النميمة، القالة بين الناس » رواه مسلم . قوله « ألا أنبئكم ما العضه » ؟ بفتح المهملة وسكون المعجمة ثم فسرها بقوله « هي النميمة ، القالة بين الناس » فأطلق عليها العضه لأن النمام يعمل عمل الساحر . وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال : يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة ، وقال أبو الخطاب في عيون المسائل : ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس ، قال ابن حزم واتفقوا على تحريم=

ولهما عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال « إنَّ مِنَ البَيانِ لسِحْرا »[(١)] .

٢٦ ـ باب

ما جاءَ في الكهَّان ونحوهم[(٢)]

=الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة . وفيه دليل على أنها من الكبائر . قوله « القالة بين الناس » ومنه الحديث « ففشت القالة بين الناس » أي كثرة القول وإيقاع الخصومة .

(١) قوله : ولهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « ان من البيان لسحراً » . البيان الفصاحة والبلاغة . قال ابن عبد البر تأوله طائفة على الذم ، لأن السحر مذموم . وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح ، لأن الله تعالى مدح البيان . قال وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله : هذا والله السحر الحلال . انتهى . والأول أصح ، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس ، كما قال بعضهم :

في زخرف القــول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

مأخوذ من قول الآخر :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت ذا قيء الزنــابير
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

قوله « إن من البيان لسحراً » هذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل على السحر ، فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق ، فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبل الباطل وينكر الحق . وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ، ويبطل الباطل ويبينه ، فهذا هو الممدوح ، وهكذا حال الرسل وأتباعهم ، ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم .

(٢) قوله « باب ما جاء في الكهان ونحوهم » الكاهن : هو الذي يأخذ =

رَوى مسلمٌ في صحيحه عن بعض أَزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال « مَن أَتىٰ عَرّافا فسأَله عن شيء فصدَّقه ، لم تُقبَلْ له صلاةٌ أَربعين يوما[1] » .

وعن[2] أَبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال « مَنْ أَتىٰ كاهنا

=عن مسترق السمع ، وكانوا قبل المبعث كثيراً ، وأما بعد المبعث فانهم قلوا ، لأن الله حرس السماء بالشهب ، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفا وكرامة ، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن ولياً لله وهو من أولياء الشياطين ، كما قال تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء الله﴾ الآية .

(١) قوله : روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما » قوله « عن بعض أزواج النبي ﷺ » هي حفصة ، ذكره أبو مسعود الثقفي ، لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها . قال البغوي : العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل هو الكاهن ، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل الذي يخبر عما في الضمير ، وقال شيخ الاسلام : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ، وقال أيضاً : والمنجم يدخل في اسم العراف ، وقال ابن القيم : من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفاً وعرافاً . قوله « لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » قال النووي وغيره ما معناه : إنـــه لا ثواب له فيها ، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ، ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث ، فان العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة . انتهى ملخصا .

(٢) قوله : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من أتى

فصدَّقه بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد » ﷺ رواه أَبو داود .

وللاربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن « مَن أَتىٰ عَرّافا أَو كاهنا فصدَّقه بما يقولُ فقد كَفرَ بما أُنزِل على محمد » ﷺ[1] .

ولأَبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا[2].

كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما آنزل على محمد » ﷺ رواه أبو داود ، وفي رواية أبي داود « أو أتى امرأته » قال مسدد « امرأته حائضاً » . « أو أتى امرأة » قال مسدد « امرأته في دبرها فقد بريء مما أنزل على محمد » ﷺ

(١) قوله « وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن « من أتى عرافا أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ هكذا بيض المصنف لاسم الراوي ، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا (*) قوله « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ ، قال القرطبي المراد بالمنزل الكتاب والسنة .

(٢) قوله « ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً » أبو يعلى اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره ، روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق ، وكان من الأئمة الحفاظ ، مات سنة سبع وثلثمائة . وهذا الأثر رواه البزار أيضاً ولفظه « من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ ، وفي هذه الأحاديث التصريح بكفره .

(*) في أول باب الكهانة من « فتح الباري » للحافظ ابن حجز عزوه للاربعة ايضا كما عزاه اليها كتاب التوحيد ونص فتح الباري .ورد في ذم الكهانة ما أخرجه أصحاب السنن وأخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) انتهى .

وعن عِمْرانَ بن حُصَين مرفوعا « ليس منَّا من تُطَيِّرَ أَو تطيِّرَ له ، أَو تكهَّنَ أَو تُكُهِّنَ له ، أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ له . ومَن أَتى كاهنا فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد » ﷺ رواه البزّار باسناد جيد ، ورواه الطَّبرَانيُّ في الأَوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « ومَنْ أَتى » إلى آخره [1] .

قال البَغَويُّ* : العَرّافُ : الذي يَدَّعي معرفةَ الأُمور بمقدماتٍ يستدلُّ بها على المسروقِ ومكانِ الضالَّةِ ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير . وقال أَبو العباس بن تيمية : العرّافُ اسمٌ

(١) قوله : وعن عمران بن حصين مرفوعا « ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ رواه البزار بإسناد جيد من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى الخ » . قوله « ليس منا دليل » على نفي الايمان الواجب ، وهو لا ينافي ما تقدم من أن الطيرة شرك والكهانة كفر . قوله « رواه البزار » هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار البصري صاحب المسند الكبير ، روى عن ابن بشار وابن المثنى وخلق ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

(*) البغوي بفتحتين هو الحسين بن مسعود الفراء الشافعي صاحب التصانيف وعالم أهل خراسان كان ثقة فقيها زاهداً مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى ، انتهى من فتح المجيد .

للكاهنِ والمنجِّم والرمّال ونحوهم ، ممن يتكلمُ في معرفة الأُمور بهذه الطرق . وقال ابن عباس في قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون في النجوم : ما أَرَى مَن فعلَ ذلك لَهُ عندَ الله مِن خَلاق[1] .

٢٧ ـ باب

ما جاءَ في النُّشْرَة[2]

عن جابر[3] أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن النُّشْرة ، فقال « هي مِن عملِ الشيطان » رواه أحمد بسند جيد ،

(١) قوله « قال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق » هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وإسناده ضعيف . قوله « ما ارى » يجوز فتح الهمزة بمعنى لا أعلم ، ويجوز ضمها بمعنى لا أظن . وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف ، وهو الذي فيه الوعيد ، وأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به . قوله « وينظرون في النجوم » أي ويعتقدون أن لها تأثيراً في باب التنجيم ، وفيه الحذر من كل علم لا تعلم صحته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وقد ورد النهي عنها والتحذير من قرب أهلها وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم ، فما أكثر من يغتر بهذه الأمور .

(٢) قوله « باب ما جاء في النشرة » بضم النون كما في القاموس ، قال أبو السعادات : النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن سميت نشرة لأنه ينشر بها ما خامره من الداء ، أي يكشف ويزال . قال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر .

(٣) قوله : عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال « هي من

وأبو داود وقال : سُئِلَ أحمدُ عنها فقال : ابنُ مسعود يكره هذا كله.

وفي البخاريّ عن قَتادةَ : قلتُ لابن المُسيَّب : رجلٌ به طِبٌّ أو يُؤَخَّذُ عن امرأته ، أَيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يُريدون به الإصلاحَ ، فأما ما يَنفَعُ فلم يُنْهَ عنه . انتهى(٢) .

عمل الشيطان » . رواه أحمد بسند جيد ، وأبو داود وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله . هذا الحديث رواه أحمد ، ورواه عنه أبو داود في سننه ، وحسن الحافظ إسناده ، قوله « سئل عن النشرة » الألف واللام في النشرة للعهد أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان .

(١) قوله « وفي البخاري عن قتادة ، قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه » قوله « عن قتادة » هو ابن دعامة بكسر الدال السدوسي ، ثقة فقيه حافظ من أحفظ التابعين وأئمة التفسير ، قالوا إنه ولد أكمه ، مات سنة بضع عشرة ومائة . قوله « رجل به طب » بكسر الطاء أي سحر ، يقال طب الرجل بالضم إذا سحر . قوله « يؤخذ » بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة ، أي يحبس عن امرأته لا يصل إلى جماعها ، والأخذة بضم الهمزة الكلام الذي قاله الساحر . قوله «أيحل» بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول ، قوله « أو ينشر » بتشديد المعجمة . قوله « لا بأس به » يعني أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الاصلاح ، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر .

وروي عن الحسن أنه قال : لا يَحُلُّ السِّحرَ إلا ساحر[1]. قال ابنُ القيم: النُّشْرة حَلُّ السحرِ عن المسحورِ ، وهي نوعان حَلٌّ بسحر مثلهِ ، وهو الذي من عملِ الشيطان، وعليه يُحمَلُ قولُ الحسن ، فيتقرَّبُ الناشرُ والمنتشِرُ إلى الشيطان

---

(١) قوله « وروي عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر » . هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد ، والحسن هو ابن أبي الحسن ، واسمه يسار بالتحتية والمهملة ، البصري الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه امام من خيار التابعين ، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين . قوله « قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور » وهي نوعان : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور . والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة ، فهذا جائز . ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما روى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى ، تقرأ في إناء فيه ماء — ثم يصب على رأس المسحور — الآية التي في سورة يونس ﴿ ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين — إلى قوله — ولو كره المجرمون ﴾ وقوله ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴾ إلى آخر الآيات الأربع . وقوله ﴿ انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ وقال ابن بطال : في كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل (*) ، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به ، يذهب عنه كل ما به . وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله .

(*) أي قل هو الله أحد والمعوذتين كما في شرح الزرقاني للمواهب اللدنية ج ٧ ص ١٠٤ .

بما يحبّ ، فَيبطُل عمله عن المسحور . والثاني : النُّشرةُ بالرُّقيّةِ والتعوُّذات والأَدوية والدعواتِ المباحة ، فهذا جائز .

٢٨ ـ باب

ما جاء في التطيُّر (١)

وقولِ الله تعالى ﴿ أَلا إنَّما طائِرُهُمْ عندَ اللهِ ولٰكِنَّ أَكثرَهُمْ لا يَعْلَمون (٢) ﴾ .

---

(١) قوله « باب ما جاء في التطير » أي من النهي عنه والوعيد ، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء ـ وقد تسكن ـ اسم مصدر من تطير طيرة ، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وكان ذلك التطير يصدهم عن مقاصدهم ، فنفاه الشرع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ودفع ضر . قال المدائني : سألت رؤبة بن العجاج قلت : ما السانح ؟ قال : ما ولاك ميامنه . قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولاك مياسره . والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح ، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾ الآية والمعنى أن آل فرعون اذا أصابتهم الحسنة أي الخصب والسعة والعافية كما فسره مجاهد وغيره (قالوا لنا هذه)] أي نحن الجديرون والحقيقون بها ونحن أهلها ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي بلاء وقحط ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾ فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم ، فقال تعالى ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾ قال ابن عباس: طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم . وفي رواية شؤمهم عند الله=

وقوله ﴿ قالوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ الآية [1] .

عن أَبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال « لا عَدْوَى ، ولا طِيَرَةَ ولا هامَةَ ، ولا صَفَر » أخرجاه . زاد مسلم « ولا نَوْءَ ، ولا غُول [2] » .

=ومن قبله ، أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله . قوله ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي أن أكثرهم جهال لا يدرون ، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبع قوله .

(١) قوله ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾ الآية، المعنى والله اعلم حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين ، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا ، بل ببغيكم وعدوانكم . فطائر الباغي الظالم معه ، فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له ، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله . وقوله ﴿ أإن ذكرتم ﴾ أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾

(٢) قوله : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » أخرجاه . زاد مسلم « ولا نوء ولا غول » . قال أبو السعادات : العدوى اسم من الإعداء كالدعوى . يقال أعداه الداء يعديه إعداء إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء . قوله « ولا طيرة » قال ابن القيم : يحتمل أن يكون نفياً أو نهياً ، أي لا تطيروا ، ولكن قوله في الحديث « ولا عدوى ولا صفر ولا هامة » يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها ، والنفي في هذا أبلغ من النهي ، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ، والنهي إنما يدل على المنع منه . قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال له ابن عباس : لا خير ولا شر . فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر . وخرج طاوس مع صاحب له في سفر فصاح غراب ، فقال الرجل : خير . فقال طاوس : وأي خير عند هذا ؟ لا=

ولهما عن أَنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عَدْوَى ولا طِيَرَة ، ويعجبُني الفـأْلُ » . قالوا : وما الفـأْل ؟ قال « الكلمةُ الطيبة »[1] .

=تصحبني . انتهى ملخصاً . قوله « ولا هامة » بتخفيف الميم على الصحيح . قال الفراء : الهامة طير من طير الليل كانه يعني البومة . قال ابن الاعرابي : كانوا يتشاءمون بها ، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول : نعتْ إليّ نفسي أو أحداً من أهل داري ، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله . قوله « ولا صفر » بفتح الفاء ، روى أبو عبيد في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال : هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس ، وهي أعدى من الجرب عند العرب ، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى ، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير وقال : المراد به شهر صفر ، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء ، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه ، وهذا قول مالك . وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول : إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون : انه شهر مشئوم ، فأبطل ذلك النبي ﷺ . قال ابن رجب : ولعل هذا القول أشبه الأقوال . والتشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوال بالنكاح فيه خاصة . قوله « ولا نوء » سيأتي الكلام عليه إنشاء الله في بابه. قوله « ولا غول » هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان ، وهو المراد هنا . والمعنى بقوله « لا غول » أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه ومنه الحديث « إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان » أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى .

(١) قوله : ولهما عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لاعدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » قالوا : وما الفأل ؛ قال « الكلمة الطيبة » . قال أبو السعادات : الفأل مهموز فيما يسر ويسوء ، والطيرة لا تستعمل إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر . قوله « قالوا : وما الفأل » ؟ قال « الكلمة الطيبة » بين ﷺ أن الفأل يعجبه ، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها . قال ابن القيم : ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك ، بل ذلك إبانة عن=

ولأَبي داود بسند صحيح ، عن عُقبة بن عامر ، قال : ذكِرَتِ الطِيَرَة عند رسولِ الله ﷺ فقال « أَحْسَنُها الفـألُ ، ولا تَرُدُّ مُسْلما ، فاذا رَأى أَحدُكم ما يَكْرَهُ فليقلْ : اللَّهم لا يـأْتي بالحسناتِ إلا أَنت ، ولا يَدفعُ السيِّئاتِ إلا أَنت ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بكَ[1] » .

مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الانسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها ، والله تعالى جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم اليه ، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك . فاذا سمعت الأسماع أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنتها ، وأثار ذلك لها خوفاً وتطيراً وانكماشاً وانقباضاً عما قصدته وعزمت عليه ، فأورث لها ضرراً في الدنيا ، ونقصاً في الإيمان ، ومقارفة للشرك .

(١) قوله : ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلماً . فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .. قوله « عن عقبة بن عامر » هكذا وقع في نسخ التوحيد ، وصوابه عن عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وهو مكي اختلف في نسبه فقال أحمد : عن عروة بن عامر القرشي ، وقال غيره الجهني . واختلف في صحبته فقال الماوردي (*) : له صحبة ، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، وقال المزي : لا صحبة له تصح . قال ابن القيم : أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة ، وهو خيرها ، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها (ولكنه خير منها) ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر . قوله « ولا ترد=

(*) كذا في نسخ الحاشيـة وفتح المجيد وأما الإصابة للحافظ بن حجر ففيها (البارودي) بالباء وبتقديم الراء على الواو .

وله من حديث ابنِ مسعود مرفوعا « الطِّيَرَةُ شِرْك ، الطيرةُ شرك . وما منَّا إلا ... ولكنَّ اللهَ يُذهبه بالتوكل » رواه أبو داود والترمذي وصحّحه ، وجعل آخِرَه من قول ابن مسعود[1] .

=مسلماً» قال الطيبي : تعريض بأن الكافر بخلافه . قوله « اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا انت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات ، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات . والحسنات هنا النعم ، والسيئات المصائب . ففيه نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر ، وهذا هو التوحيد ، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة ، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً ، ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركا . قوله « ولا حول ولا قوة إلا بك » والحول التحول والانتقال من حال إلى حال والقوة على ذلك بالله وحده ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته ، وهذا هو التوحيد في الربوبية ، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ، وهو توحيد القصد والإرادة ، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله .

(١) قوله : وعن ابن مسعود مرفوعاً « الطيرة شرك ، الطيرة شرك . وما منا إلا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أبو داود والترمذي وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود ، ولفظ أبي داود « الطيرة شرك الطيرة شرك» ثلاثاً . وهذا صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك ، لما فيها من تعلق القلب بغير الله . قال ابن مفلح : الأولى القطع بتحريمها لأنها شرك ، وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية . قوله « وما منا إلا » قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري : في الحديث إضمار التقدير ، وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك . انتهى . قوله « ولكن الله يذهبه بالتوكل » لكن إذا توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله تعالى عنا بتوكلنا=

ولأحمد من حديث ابن عَمْرو « مَنْ رَدَّتْه الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك » قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال « أن يقول : اللهمَّ لا خيرَ إلا خيرُك ، ولا طَيْرَ إلا طيرُك ، ولا إله غيرُك[1] » .

=عليه وحده . قوله « وجعل آخره من قول ابن مسعود » قال ابن القيم : وهو الصواب ، فان الطيرة نوع من الشرك .

(١) قوله : ولأحمد من حديث ابن عمرو من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » قالوا فما كفارة ذلك ؟ قال « أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك » . هذا الحديث رواه أحمد والطبراني عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وفي إسناده ابن لهيعة (*) وبقية رجاله ثقات . قوله : من حديث ابن عمرو . هو عبدالله بن عمرو بن العاص ابن وائل السهمي أبو محمد ، وقيل أبو عبد الرحمن ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء ، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على (الأصح) بالطائف . قوله « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالمرئي والمسموع ، فاذا ردته عن سفر أو عمل أو حاجة فقد أشرك بما يخامر قلبه من الخوف من ذلك ، فيكون شريكا بهذا الاعتبار . قوله « فما كفارة ذلك » ؟ قال « أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير الا طيرك) فيه تفويض الأمور كلها إلى الله تقديراً وخلقاً . والبراءة مما فيه تعلق بغير الله تعالى كائناً من كان . قوله « ولا إله غيرك » أي لا معبود مستحق سواك . فاذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت اليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلا على الله وتفويضاً اليه ، كفر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك .

(*) زاد في فتح المجيد (فيه — اي ابن لهيعة — اختلاف)

وله من حديث الفضل بن العباس « إنَّما الطِّيَرَةُ ما أَمضاكَ أَو ردَّك[1] » .

٢٩ ـ باب

ما جاءَ في التنجيم[2]

قال البخاري في صحيحه : قال قَتادةُ : خَلَقَ اللهُ

---

(١) قوله : وله من حديث الفضل بن العباس « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن العباس قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فساقه ، إلى أن قال « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » والفضل هو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ ، قال ابن معين : قتل يوم اليرموك ، وقال غيره : قتل يوم مرج الصفّر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقال أبو داود : قتل بدمشق ، كان عليه درع النبي ﷺ . قوله « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك* » هذا حد الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الانسان على المضي فيما أراد ، أو يمنعه من المضي فيه كذلك ، وأما الفأل الذي كان يحبه ﷺ ففيه نوع بشارة ، فيسر به العبد ولا يعتمد عليه ، بخلاف الطيرة ، فافهم الفرق .

(٢) قوله « باب ما جاء في التنجيم ، قال شيخ الإسلام : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية ، على الحوادث الأرضية . وقال الخطابي : علم النجوم=

(*) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد في كلامه على هذا الحديث قرأت بخط المصنف ـ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصنف كتاب التوحيد ـ (فيه اي في اسناد هذا الحديث ـ رجل مختلف فيه وفيه انقطاع اي بين مسلمة وبين الفضل ا هـ .

هٰذه النجومَ لثلاث : زِينةً للسماء ، ورُجوما للشياطين ، وعَلامات يُهتَدَى بها . فمن تأوَّلَ فيها غيرَ ذلك أخطأَ وأضاعَ نَصيبَه ، وتَكلَّفَ ما لا عِلمَ له به . انتهى [1] .

=المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ، يدعون أن لها تأثيراً في السفليات ، وهذا منهم تحكم على الغيب ، وتعاط لعلم قد استأثر الله به فلا يعلم الغيب سواه .

(١) قوله « قال البخاري في صحيحه قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدي بها . فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به » انتهى . هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم ، وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة بلفظ أطول من هذا . وقول قتادة رحمه الله تعالى يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له انكاره على من اعتقده وتعلق به . وهذا العلم مما ينافي التوحيد، ويوقع في الشرك، لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته كما قال تعالى ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾؟ وقال ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ . قوله : خلق الله هذه النجوم لثلاث . قال تعالى ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « أما السماء الدنيا فان الله خلقها من دخان ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وزينها بمصابيح ، وجعلها رجوماً للشياطين ، وحفظاً من كل شيطان رجيم » . قوله «وعلامات» أي دلالات على الجهات يهتدى بها ، أي يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في=

وكره قتادةُ تعلُّمَ مَنازل القمر . ولم يُرخِّصِ ابنُ عُيَيْنَةَ فيه ذَكرَه حربٌ عنهما . ورخَّص في تعلُّم المنازل أَحمد واسحاق[1] .

=ظلمات البر والبحر﴾ أي لتعرفوا بها جهة قصدهم . فان قيل المنجم قد يصدق قيل صدقه كصدق الكاهن يصدق في كامة ويكذب في مائة وصدقه ليس عن علم ، بل قد يوافق قدراً فيكون فتنة في حق من صدقه .

(١) قوله « وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص فيه ابن عيينة ، ذكره حرب عنهما ، ورخص في تعلم المنازل أحمد واسحاق » . قال الخطابي : أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه ، وذلك أن معرفة هذا العلم يصح علمه بالمشاهدة . وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فانها من الكواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به ، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها . فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة ، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ، ولا مقصرين في معرفتهم . انتهى . وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به . قال ابن رجب : والمأذون في تعلمه علم التسيير ، لا علم التأثير فانه باطل محرم قليله وكثيره . أما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج اليه للاهتداء ، ومعرفة القبلة والطرق ، وهو جائز عند الجمهور . قوله « ذكره حرب عنهما » هو الإمام الحافظ حرب بن اسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه من أجلة أصحاب الإمام أحمد ، روى عن أحمد واسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم ، وله كتاب المسائل التي سأل عنها الإمام أحمد وغيره ، مات سنة ثمانين ومائتين . وأما إسحاق فهو ابن ابراهيم بن مخلد بن يعقوب الحنظلي النيسابوري الإمام المعروف بابن راهويه . روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم . قال أحمد: إسحاق عندنا من أئمة المسلمين . روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم ، وروى هو أيضاً عن أحمد ، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يَدخُلون الجنةَ : مُدْمِنُ الخمر ، وقاطعُ الرَّحِم ، ومُصدّقٌ بالسحر » رواه أَحمد وابن حِبَّان في صحيحه [1]

٣٠ ـ باب

ما جاءَ في الاسْتِسْقاء بالأَنْواء

وقولِ الله تعالى ﴿ وتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبون [2] ﴾

---

(١) قوله : وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر » رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، وهذا الحديث رواه أيضاً الطبراني والحاكم وقال : صحيح وأقره الذهبي . قوله « عن أبي موسى » هو عبدالله بن قيس بن سليم ابن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد أبو موسى الأشعري ، صحابي جليل ، مات سنة خمسين . قوله « ثلاثة لا يدخلون الجنة » الشاهد للترجمة « ومصدق بالسحر » . وفي هذا الحديث كما تقدم في نظائره كقوله « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ واختار الإمام أحمد رحمه الله تعالى أن مثل هذه الأحاديث تمر كما جاءت من غير تأويل . قال الذهبي في الكبائر : ويدخل فيه تعلم السيمياء وعلمها ، وعقد المرء من زوجته ، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه ، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة . انتهى باختصار .

(٢) قوله « باب مـا جاء في الاستسقاء بالأنـواء ، والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء ـ جمـع نوء ـ وهـي منازل القمر . قال أبو السعادات : وهي ثمان وعشرون منزلة ، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة له مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون=

عن أَبي مالك الأَشعريّ رضي الله عنه ، أَن رسولَ الله ﷺ قال « أَربعٌ في أُمَّتي مِنْ أَمرِ الجاهلية لا يتركونَهنَّ الفخرُ بالأَحساب ، والطعنُ في الأَنساب ، والاسْتِسْقاءُ بالنجوم ، والنياحة » . وقال « النائحةُ اذا لم تَتُبْ قبلَ موتِها تُقام يومَ القِيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قَطِران ، ودِرْعٌ من جَرَب » رواه مسلم(١) .

=مطر ، وينسبونه إلى النجم الساقط ويقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط منها الساقط ناء الطالع بالمشرق أي نهض وطلع . قوله تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ الآية ، روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ يقول : شكركم ﴿ أنكم تكذبون ﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا (وبنجم كذا و كذا) . روى ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخرساني وغيرهم ، وهو قول جمهور المفسرين ، وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعالى بالآية . وقال ابن القيم : أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن . قال الحسن : تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون ، قال : وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب .

(١) قوله : عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » وقال « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » رواه مسلم. أبو مالك : اسمه الحارث بن الحارث الشامي ، صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام ، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا . قوله « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن» اي ستفعلها هذه الأمة : إما مع العلم بتحريمها ،=

=أومع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية . يدل على أنه يجب على كل مسلم أن يجتنبها ، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث ، وفاعلها آثم يجب أن ينهى عنها ، ومتى وجد الشرك وجدت هذه الأمور المنكرة وغيرها من المنكرات . قال شيخ الاسلام : أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه ، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الاسلام ، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم ، وهذا كقوله تعالى ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ فان في ذلك ذما للتبرج ، وذماً لحال أهل الجاهلية الأولى ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة . قوله « الفخر بالأحساب » أي التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم ، وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعاً ﴿ إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، انما هو : مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب . ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » الحديث . قوله « والطعن في الأنساب » أي الوقوع فيها بالعيب والنقص ، ولما عير أبو ذر رجلا بأمه قال النبي ﷺ « أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية » متفق عليه . فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل أهل الجاهلية ، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه ، قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى . قوله « والاستسقاء بالنجوم » تقدم معناه ، فاذا قال قائلهم مطرنا بنجم كذا وبنوء كذا فلا يخلو : إما أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر فهذا شرك وكفر لنسبة المطر لغير من أنزله وهو الله وحده ، وإما مع إطلاق هذا اللفظ فقد صرح ابن مفلح في الفروع بتحريمه وكذلك صاحب الانصاف ولم يذكر خلافاً . قوله «والنياحة» أي رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك ، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة كما في هذا الحديث . قوله « النائحة إذا لم=

ولهما عن زيدِ بنِ خالد رضي الله عنه قال : صلّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبْح بالحُدَيْبِية على إِثْرِ سماءٍ كانتْ من الليل ، فلما انصرفَ أقبلَ على الناس فقال « هل تَدْرُونَ ماذا قال ربُّكم » ؟ قالوا : اللهُ ورسوله أعلم . قال « قال : أصبحَ من عِبادِي مؤمنٌ بي وكافر ، فأمَّا مَن قال مُطِرْنا بفضلِ الله ورحمته فذٰلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكَوْكب ، وأمَّا مَن قال مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا فذٰلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب »[1] .

=تتب قبل موتها » ففيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب . قوله « تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص ، هذه سرابيل أهل النار ، يعني يلطخن بالقطران حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ، ورائحتهن أنتن ، وروي عن ابن عباس أن القطران هو النحاس المذاب .

(١) قوله : وعن زيد بن خالد قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال « قال ؛ أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » . زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور ، مات سنة ثمان وستين وقيل غير ذلك ، وله خمس وثمانون سنة . قوله «صلى لنا » أي بنا . قال الحافظ وفيه إطلاق ذلك مجازاً . قوله « بالحديبية » بتخفيف يائها وقد تثقل . قوله « على إثر » بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة على المشهور ، وهو ما يعقب الشيء . قوله « سماء » أي مطر . قوله « فلما انصرف ، أي من صلاته ، إلى المأمومين . قوله «هل تدرون؟» لفظ استفهام ومعناه التنبيه ، وفي النسائي « ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة » وفيه إلقاء العالم=

ولهما من حديث ابن عباس معناه . وفيه : قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزلَ اللهُ هذه الآية ﴿ فلا أُقْسِمُ بمَواقِـع النجوم ﴾ إلى قوله ﴿ تُكَذِّبون ﴾[1] .

٣١ ـ باب

قولِ الله تعالى ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللهِ ﴾[2] .

=المسألة على أصحابه ليختبرهم . قوله « قالوا الله ورسوله أعلم » فيه حسن الأدب للمسئول إذا سئل عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه ، وذلك يجب . قوله « أصبح من عبادي مؤمن بي » لأنه نسب الفعل إلى فاعله الذي لا يقدر عليه غيره . قوله «وكافر» إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر ، لأنه شرك في الربوبية ، والمشرك كافر . قوله « فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته » فالفضل والرحمة صفتان لله تعالى.

(١) قوله : ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيه : قال بعضهم لقد صدق نوء كذا و كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ـ إلى قوله ـ تكذبون ﴾ تقدم معناه قريباً .

(٢) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ قال في شرح المنازل : أخبر تعالى أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً ، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية ، فإن أحداً من أهل الأرض لا يثبت هذا الند ، بخلاف ند المحبة فان أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا في المحبة والتعظيم اهـ . قلت : وقد وقع الشرك في الربوبية أيضاً في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرفاً في الكون ونحو ذلك .

وقوله ﴿ قُلْ إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم – إلى قوله – أحبَّ اليكم مِنَ اللهِ ورسولِهِ ﴾ الآية [١] .

عن أَنَس ، أَن رسول الله ﷺ قال « لا يُؤمِنُ أَحدُكم حتَّى أَكونَ أَحبَّ اليه مِنْ وَلَدِهِ ووالِدِهِ والناسِ أَجمعين » أَخرجاه [٢] .

ولهما عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثٌ من كنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاوةَ الإِيمان : أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أَحبَّ إِليه مما سِواهما ، وأَن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إِلَّا لله ، وأَنْ يكرَهَ أَن يعودَ في الكفرِ بعدَ إِذْ أَنقذَه الله منه كما يكرَهُ أَن يُقذَفَ في النار » . وفي رواية « لا يَجِدُ أَحدٌ حلاوةَ الإِيمان حتى » إلى آخره [٣] .

---

(١) قوله ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم – إلى قوله – أحب إليكم من الله ورسوله ﴾ الآية ، قال ابن كثير : ان كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه .

(٢) قوله : وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجاه ، أي البخاري ومسلم . قوله « لا يؤمن » أي الايمان الواجب ، والمراد كماله ، حتى يكون الرسول ﷺ أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين . وذلك يقتضي تعظيم أمره ونهيه واتباعه في ذلك دون من سواه ، ومن كان كذلك فقد أحب الله كما في آية المحبة .

(٣) قوله « ولهما عنه » أي البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب=

وعن ابن عباس قال : من أحبَّ في اللهِ ، وأبغضَ في اللهِ ، ووالىٰ في اللهِ ، وعادىٰ في اللهِ ، فانـَّما تُنالُ وَلايةُ اللهِ بذٰلك ، ولنْ يَجِدَ عبدٌ طعمَ الإيمان ــ وإنْ كثرتْ صَلاتُه وصومُه ــ حتَّى يكونَ كذٰلك ، وقد صارتْ عامَّةُ مُؤاخاةِ الناسِ على أمرِ الدنيا ، وذٰلك لا يُجدِي على أهلهِ شيئا . رواه ابن جرير (١) .

=اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » قوله « ثلاث » أي خصال ، قال شيخ الاسلام : أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له ، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهي . قال : فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل المحبة وتفريغها ودفع ضدها ، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، فان محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . قلت : ومن لازم محبة الله محبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده . وكراهة ما يكرهه سبحانه ، ومعاداة أعدائه ، وموالاة أوليائه ، فلا يحصل كمال محبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك وإيثاره على ما تهواه النفوس مما يخالف ذلك . قوله « أحب اليه مما سواهما » ثنى الضمير هنا لتلازم المحبتين . والله أعلم . قوله « كما يكره أن يقذف في النار » أي يستوي عنده الأمران . قوله « وفي رواية لا يجد » هي عند البخاري في الأدب المفرد ولفظه « لا يجد احد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما »

(١) قوله : وعن ابن عباس قال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ،=

وقال ابنُ عباس في قوله ﴿ وتقطَّعَتْ بهُم الأَسباب ﴾ قال : المودَّة[1] * .

=ووالى في الله ، وعادى في الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك . ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً . رواه ابن جرير.

قوله « من أحب في الله » أي أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك . قوله « وأبغض في الله » أي أبغض من كفر بالله وأشرك به وعصاه لارتكابه ما يسخط الله وان كان أقرب الناس اليه كما قال تعالى ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ قوله « ووالى في الله » بالمحبة والنصرة بحسب القدرة . قوله « وعادى في الله » من كان عدو الله ممن أشرك وكفر وظاهر بالمعاصي ، فتجب عداوته بما يقدر عليه . قوله « وانما تنال ولاية الله بذلك » أي توليه لعبده . «ولاية» بفتح الواو . وفي الحديث « أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله عز وجل » رواه الطبراني . قوله « ولن يجد عبد طعم الإيمان » أي لا يحصل له ذوق الايمان وبهجته ولذته وسروره والفرح به « وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك » قال تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ قوله « وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً » يعني أنه إذا ضعف داعي الايمان أحب دنياه وأحب لها وواخى لأجلها ، وهذا هو الغالب على أكثر الخلق محبة دنياهم وإيثار ما يهوونه على ما يحبه الله ورسوله ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً ، بل يضر في العاجل والآجل . فالله المستعان .

(١) قوله « وقال ابن عباس في قوله ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ قال : المودّة » أي التي كانت بينهم خانتهم أحوج ما كانوا اليها قال تعالى ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم بعضاً ويلعن بعضكم بعضا ﴾ الآية

(*) (اثر ابن عباس هذا رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه) انتهى من فتح المجيد .

٣٢ - باب

قولِ الله تعالى ﴿ إنّما ذلكُم الشيطانُ يُخوِّفُ أولياءَه ، فلا تَخافُوهمْ وخافونِ إنْ كنتم مُؤْمنين [١] ﴾ وقولِهِ ﴿ إنَّما يَعْمُرُ مَساجدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ ولم يَخْشَ إلَّا اللهَ ﴾ الآية [٢] .

---

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ . قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين جنده وأولياءه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر ، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه ، ونهانا أن نخافهم . قال : والمعنى عند جميع المفسرين يخوفهم بأوليائه ، قال قتادة يعظمهم في صدوركم ، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم ، فدلت هذه الآية على أن (اخلاص الخوف) من كمال شروط الايمان . وسبب نزول هذه الآية مذكور في التفاسير والسير .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ الآية ، أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا له الخشية دون من سواه ، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع ، وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة . قوله « ولم يخش إلا الله » قال ابن عطية : يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ، ولا محالة أن الانسان يخشى المحاذير الدنيوية ، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه . قلت : لأن النفع والضر إنما يكون بمشيئته وإرادته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : والخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله ، كالذل والمحبة=

وقوله ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يقولُ آمنَّا باللهِ فاذا أُوذِيَ في اللهِ جَعَل فِتنةَ الناسِ كعذابِ اللهِ ﴾ الآية [1] .

=والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب . قوله ﴿ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : إن أولئك هم المهتدون . وكل «عسى» في القرآن فهي واجبة .

(١) قوله ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ قال ابن القيم : الناس إذا أرسل اليهم الرسل بين أمرين : إما أن يقول أحدهم آمنا ، وإما أن لا يقول ذلك بل يستمر على السيئات والكفر . فمن قال آمنا امتحنه ربه وابتلاه ، والفتنة الابتلاء والاختبار ، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه ، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان ، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة . والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير له الألم الدائم . والانسان لا بد أن يعيش مع الناس ، والناس لهم تصورات وإرادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه ، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم — إلى أن قال — فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية : من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً . فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة كما كانت للرسل وأتباعهم . ثم أخبر تعالى عن حال الداخل في الايمان [بلا بصيرة] وأنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه ، وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم . جعل ذلك في فراره منه وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان . فالمؤمنون — لكمال بصيرتهم — فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان ، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب . وهذا — من ضعف بصيرته — فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم=

عن أَبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا « إنَّ من ضَعْفِ اليَقينِ أَنْ تُرْضِيَ الناسَ بسَخَطِ الله ، وأَن تحمَدَهم على رزْقِ الله ، وأَنْ تَذُمَّهم على ما لم يُؤْتِكَ الله . إنَّ رزقَ اللهِ لا يجرُّهُ حِرْصُ حَرِيص ، ولا يَرُدُّهُ كراهِيَةُ كارِه [1] » .

=ومتابعتهم ، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله ، فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله ، وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار ، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد . وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال : إني كنت معكم ، والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق . ا هـ

(١) قوله : عن أبي سعيد مرفوعاً « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله . إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره » هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد ابن مروان السدي وقال : ضعيف (*) وتمام هذا الحديث « وإنه بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط » . قوله « إن من ضعف اليقين » الضعف يضم ويحرك ضد القوة ، قال ابن مسعود : اليقين الإيمان كله ، والصبر نصف الإيمان . قوله « أن ترضي الناس بسخط الله » أي أن تؤثر رضاهم على ما يرضي الله، وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من إيثار رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لأنه آثر رضى المخلوق على رضى الله ، وتقرب اليه بما يسخط الله ، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله تعالى . قوله « وأن تحمدهم على رزق الله » أي على ما وصل اليك من أيديهم بأن تضيفه اليهم وتحمدهم عليه ، والله تعالى هو الذي كتبه=

(*) زاد في (فتح المجيد) (وفيه أيضاً عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين ومعنى الحديث صحيح) انتهى .

وعن عائشةَ رضي الله عنها أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «مَنِ الْتَمَسَ رِضَىٰ اللهِ بسَخَطِ الناس رَضِيَ اللهُ عنه

=لك وسيره لك ، فاذا أراد أمراً قيض له أسباباً . ولا ينافي هذا حديث «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث «من صنع اليكم معروفاً فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» . قوله «وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله» لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم ، فلو قدر لك ساقه القدر اليك . فمن علم أن الله وحده هو المتفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته ، وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يسأل حاجته إلا من الله وحده ، ولعل ما منع من ذلك يكون خيراً له ، ويحسن الظن بالله سبحانه ولا يرغب إلا اليه ولا يخاف إلا من ذنبه ، وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله «ان رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا ترده كراهية كاره» . وقال شيخ الاسلام : اليقين يتضمن القيام بأمر الله تعالى وما وعد الله به أهل طاعته . ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره . فاذا أرضيتهم بسخط الله ولم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه فانه إنما يحمل الانسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم ، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر و التأييد والثواب في الدنيا والآخرة ، فانك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم ، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم ، وذلك من ضعف اليقين . وأما إذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم ، فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فاذا ذممتهم على ما لم يقدر لك كان ذلك من ضعف يقينك ، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك ، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود ، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم . ودل الحديث على أن الايمان يزيد وينقص ، وأن الأعمال من مسمى الايمان

(١) قوله «وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى

وأرضىٰ عنه الناس ، ومنِ التمسَ رِضَىٰ الناس بسَخَط الله سَخِطَ اللهُ عليه وأَسْخَطَ عليه الناس » رواه ابن حبّان في صحيحه .

٣٣ ـ باب

قولِ الله تعالى ﴿ وعلى اللهِ فَتَوكَّلوا إنْ كنتُم مُؤْمِنين [١] ﴾

---

*الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، رواه ابن حبان في صحيحه » . قوله « من التمس » أي طلب ، قال شيخ الاسلام : وكتبت عائشة إلى معاوية ، ويروى أنها رفعته « من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً » هذا لفظ المرفوع . ولفظ الموقوف : من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاماً . وهذا من أعظم الفقه في الدين ، فان من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه ، وكان عبده الصالح ، والله يتولى الصالحين ، والله كاف عبده ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب . ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً ، كالظالم الذي يعض على يديه . وأما كون حامده ينقلب ذاماً فهذا يقع كثيراً ويحصل في العاقبة ، فان العاقبة للتقوى ، لا تحصل ابتداء عند أهوائهم . انتهى

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ . قال أبو السعادات : يقال توكل بالأمر إذا ضمن القيام به . وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله ، لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة ، فان تقديم المعمول يفيد الحصر ، فلا يحصل كمال التوحيد=

وقولِه ﴿ إنَّما المؤمنونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم الآية ﴾[1]

=بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية . قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب . قال ابن القيم في الآية المترجم بها : فجعل التوكل على الله شرطاً في الايمان ، فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه . قال شيخ الاسلام : وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه الا خاب ظنه فيه ، فانه شرك ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ اهـ . والتوكل قسمان : أحدهما التوكل في الامور التي لا يقدر عليها إلا الله – كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت – فهذا شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه . وأما التوكل على الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر . والمباح أن يوكل شخصا بالنيابة عنه في التصرف فيما له التصرف فيه من أمور دنياه كالبيع والشراء والاجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك ، فهذا جائز بالاجماع ، لكن لا يقول « توكلت عليه » بل يقول «وكلته» فانه لو وكله فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه

(١) قوله : وقول الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ الآية قال ابن عباس في الآية : المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم . فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ فأدوا فرائضه ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وقال السدي في قوله ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ : هو الرجل يريد أن يظلم – أو قال يهم بمعصية – فيقال له : اتق الله ، فيوجل قلبه . رواه ابن أبي شيبة وابن جرير . قوله ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه . قوله ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أي يعتمدون عليه ، ويفوضون اليه أمورهم ، فلا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، وهو من أعظم الأسباب في حصول المطالب الدنيوية والأخروية . وفي الآية وصف المؤمنين=

وقولِه ﴿ يا أَيُّها النبيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾ الآية [1] . وقولِهِ ﴿ ومَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فهو حَسْبُه ﴾ [2] .

عن ابن عباس قال ﴿ حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيل ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقِي في النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له ﴿ إنَّ الناسَ قد جَمَعُوا لكم فاخْشَوْهُم فزادَهم إيمانا ﴾ الآية . رواه البخاري والنسائي [3] .

=حقا بثلاث مقامات من مقامات الاحسان تستلزم حصول أعمال الايمان الواجبة والمستحبة

(١) قوله ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ قال ابن القيم: أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد ، وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ قال ابن القيم وغيره : أي كافيه ، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو ، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً . قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه . وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ أي كافيه ، فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال . بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجا وكفاه ونصره ، انتهى .

(٣) قوله : وعن ابن عباس قال : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا ﴾ الآية رواه البخاري . قوله

٣٤ ـ باب

قولِ الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فلا يَأْمَنُ مكرَ الله إِلَّا القومُ الخاسِرون ﴾ (١)

=﴿ حسبنا الله ﴾ تقدم معناه . قوله ﴿ ونعم الوكيل ﴾ أي نعم من توكل عليه المتوكلون ، ومخصوص « نعم » محذوف تقديره نعم الوكيل الله . قوله : قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار . قال تعالى ﴿ قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ الآية . قوله : وقالها محمد ﷺ حين قالوا له ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ، وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد ، فمر بهم ركب من عبد القيس فقال أبو سفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : هل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة ؟ قالوا : نعم . قال : فاذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروا بالذي قال أبو سفيان ، فقال « حسبنا الله ونعم الوكيل » وفي الحديث « إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل »

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ . أراد المصنف رحمه الله تعالى أن الأمن من مكر الله يدل على ضعف الإيمان فلا يبالي صاحبه بما ترك من الواجبات ، وفعل من المحرمات ، لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك ، وهذا من أعظم الذنوب . وأجمعها للعيوب ، ومعنى الآية أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه ، وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا أن يكون ذلك مكراً ، قال الحسن : من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له ، وقال قتادة : بغت القوم أمر الله وما أخذ قوم قط إلا عند سلوتهم وغرتهم ، فلا تغتروا بالله . وقال اسماعيل بن رافع : من الامن من مكر الله اقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة . رواه ابن أبي حاتم .

وقولِه ﴿ ومَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحمةِ ربِّه إلَّا الضالُّون ﴾[1] .

عن ابن عباس : أَن رسول اللهﷺ سُئِلَ عن الكبائر فقال « الشِّركُ بالله ، واليأْسُ من رَوْحِ الله ، والأَمْنُ من مَكرِ الله[2] » .

وعن ابن مسعود قال : أَكبرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله ،

---

(١) قوله ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ القنوط استبعاد الفرج واليأس منه ، وهو يقابل الأمن من مكر الله ، وكلا الأمرين ذنب عظيم ، لما في القنوط من سوء الظن بالله . قوله ﴿ إلا الضالون ﴾ أي عن الهدى .

(٢) قوله : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال « الشرك بالله واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر ، قال ابن معين ثقة ، ولينه ابن أبي حاتم ، وقال ابن كثير : في إسناده نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً . قوله « الشرك بالله » هو أكبر الكبائر ، ولهذا بدأ به . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الشرك هضم للربوبية ، وتنقص للإلهية ، وسوء ظن برب العالمين . انتهى . قوله « واليأس من روح الله » أي قطع الرجاء والأمل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه ، وذلك إساءة ظن بالله وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته . قوله « والأمن من مكر الله » أي من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الايمان نعوذ بالله من ذلك ، وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها ، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر ، فهي كثيرة جداً نسأل الله اجتنابها . وذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله وبعدها عن الخير كله ، وقد وقع فيها الكثير قديماً وحديثا . نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

(٣) « وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من

والأَمنُ من مَكرِ اللهِ والقُنوطُ من رَحمةِ الله ، واليأسُ من رَوْح الله . رواه عبد الرزاق .

٣٥ ـ باب

مِنَ الإيمانِ باللهِ الصبرُ على أقْدارِ الله(١)

وقولِ الله تعالى ﴿ ومَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قلبَه(٢) ﴾ .

قال عَلْقَمةُ(٣) : هوَ الرجلُ تصيبُه المصيبةُ فيعلمُ أنَّها

مكر الله ، والقنوط من رحمة الله . واليأس من روح الله . رواه عبد الرزاق» قوله « والقنوط من رحمة الله » قال أبو السعادات : هو أشد اليأس ، وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف . فاذا غلب الرجاء في حال الصحة فسد القلب . قال تعالى ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ وقال ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾

(١) قوله « باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله » . قال الإمام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من كتابه . وفي الحديث الصحيح « الصبر ضياء » رواه أحمد ومسلم . قال عمر رضي الله عنه « وجدنا خير عيشنا بالصبر » رواه البخاري . قال علي رضي الله عنه « إن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد » ثم رفع صوته فقال « إنه لا إيمان لمن لا صبر له » . واعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام : صبر على ما أمر الله به . وصبر عما نهى الله عنه ، وصبر على ما قدره الله من المصائب . زاد شيخ الاسلام : والصبر على الأهواء المخالفة للشرع .

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ وأول الآية ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ﴾ أي بمشيئته وإرادته كما قال في الآية الأخرى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾

(٣) قوله « قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله

مِن عندِ الله فيرضىٰ ويُسَلِّم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أَنَّ رسول الله ﷺ قال « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعنُ في النسب ، والنياحةُ على الميت [1] » .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا « ليس منّا من ضربَ الخُدودَ ، وشقَّ الجيوبَ ، ودعا بدعوىٰ الجاهلية [2] » .

فيرضى ويسلم » هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وروي عن ابن مسعود . وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم ، وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، مات بعد الستين . وفي هذا الأثر دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان ، وفي الآية بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب

(١) قوله : وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت » أي هما بالناس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهلية ، وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله . فأطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين الخصلتين ، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً الايمان المطلق ، ففرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله « ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة » وبين كفر منكر في الاثبات . قوله «الطعن في النسب» أي عيبه ويدخل فيه أن يقال هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه . قوله « والنياحة على الميت » أي رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخط على قدر الله المنافي للصبر .

(٢) قوله : ولهما عن ابن مسعود مرفوعا « ليس منا من ضرب الخدود،=

وعن أنس أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال * « إذا أَراد اللهُ بعبدِهِ الخيرَ عجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا ، وإذا أَراد بعبدِهِ الشرَّ أَمسكَ عنه بذَنْبه حتى يُوافيَ به يومَ القيامة »[1]

=وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » . قوله « من ضرب الخدود » قال الحافظ : خص الخد لكونه الغالب ، وإلا فضرب بقية الوجه مثله ، قوله « ودعا بدعوى الجاهلية » قال شيخ الاسلام : هو ندب الميت . وقال ابن القيم : الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية . ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ ، وتفضيل بعض على بعض يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه ، فكل هذا من دعوى الجاهلية ، وقد يعفى عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقا كما يعفى عن البكاء إذا كان على غير وجه النوح والتسخط ، نص عليه أحمد .

(١) قوله : وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتّى يوافى به يوم القيامة » هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي . قوله « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا » قال شيخ الاسلام : المصائب نعمة ، لأنها مكفرات للذنوب ، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها ، وتقتضي الإنابة إلى الله تعالى والذل له والإعراض عن الخلق ، إلى غير ذلك من المصالح . فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا ، وهذا من أعظم النعم ، فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه ، فان من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له — من الجزع والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات — ما يوجب له ضرراً في دينه . فهذا كانت العافية خيراً له من=

(*) هذا الحديث والذي بعده رواهما الترمذي بإسناد واحد عن صحابي واحد ولذلك اعتبرهما شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كالحديث الواحد، افاده العلامة الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد .

وقال النبي ﷺ « إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَم البلاء ، وإنَّ اللهَ تعالى إذا أَحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رَضِيَ فـله الرِّضا ، ومن سَخِطَ فله السَّخَط » حسّنه الترمذي [١] .

٣٦ ـ باب

ما جاءَ في الرِّياء [٢]

وقولِ [٣] الله تعالى ﴿ قلْ إنَّما أَنا بَشَرٌ مثلُكم يُوحىٰ

=جهة ما أورثته المصيبة ، لا من جهة نفس المصيبة . كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية ، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق ، والله تبارك وتعالى محمود عليها ، فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه ، وحصل له مع ما كفر من خطاياه رحمة ، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه ، قال تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ وحصل له غفران السيئات ، ورفع الدرجات ، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك : ا هـ ملخصاً .

(١) قوله : وقال النبي ﷺ « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » حسنه الترمذي . قوله « ان عظم الجزاء » بكسر العين وفتح الظاء فيهما ، ويحتمل ضمهما مع سكون الظاء ، قال ابن القيم ؛ ان عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب فانه حينئذ يثاب على ما تولد منها وهو ظاهر . قوله « وان الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم » وفي الحديث : سئل النبي ﷺ : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل . يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه ، وان كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » رواه الدارمي وابن ماجه والترمذي وصححه. قوله « فمن رضي فله الرضا » أي من الله « ومن سخط فله السخط » كذلك

(٢) قوله « باب ما جاء في الرياء » أي من النهي عنه والتحذير .

(٣) قوله وقول الله تعالى ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم

إليَّ أنَّما إلٰهُكم إلهٌ واحد ﴾ الآية .

عن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى «أنا أغنى الشُّرَكاء عن الشِّرك ، من عَمِلَ عملاً أَشْرَكَ معي فيه غيري تَرَكتُهُ وشِرْكَه » . رواه مسلم (١) .

إله واحد ﴾ أي ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء ، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له أوحاه إليّ ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ ويخافه ﴿ فليعمل عملا صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ قال شيخ الاسلام : أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة ، وقالوا : لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة . وذكر الأدلة على ذلك . قال ابن القيم في الآية : أي كما أنه لا إله إلا هو فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ، فكما تفرّد بالإلهية يجب أن ينفرد بالعبودية ، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء ، المقيد بالسنة اهـ . فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله ، قليله وكثيره

(١) قوله : عن أبي هريرة مرفوعا : قال الله تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » رواه مسلم. قوله « من عمل عملا أشرك معي فيه غيري » أي قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه ، قال الطيبي : الضمير المنصوب في قوله «تركته» يجوز أن يرجع إلى العمل . قال ابن رجب : واعلم أن العمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضاً كحال المنافقين كما قال تعالى ﴿ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها ، فان الإخلاص فيها عزيز . وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة . وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فان شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه. وذكر أحاديث تدل على ذلك: منها هذا الحديث=

وعن أَبي سعيد مرفوعا « أَلا أُخبركم بما هو أَخْوَفُ عليكم عندي مِنَ المسيح الدَّجّال » ؟ قالوا : بلىٰ يا رسول الله . قال « الشرْكُ الخفيّ ، يقومُ الرجلُ فيصلّي ، فيُزَيِّن صَلاتَه لما يَرَى مِن نظرِ رَجُلٍ » رواه أَحمد [1] .

=وحديث شداد بن أوس مرفوعا « من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك [ومن تصـــدق يرائي فقد أشرك] وان الله عز وجل يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي ، فمن أشرك بي شيئاً فان جدة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به ، أنا عنه غني » رواه أحمد . قال الامام أحمد فيمن يأخذ جعلا على الجهاد : إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس ، كأنه خرج لدينه ، فان أعطى شيئا أخذه — ثم قال — وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فان كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف ، وان استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الامام أحمد وابن جرير ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى ، وهو مروي عن الحسن وغيره .

(١) قوله : وعن أبي سعيد مرفوعا « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى . قال « الشرك الخفيّ ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » رواه أحمد . قوله « عن أبي سعيد » هو الخدري وتقدم ، قوله « الشرك الخفي » سماه خفياً لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله ، ولا خلاف أن الاخلاص شرط لصحة العمل وقبوله ، وكذلك المتابعة ، قال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده . اهـ

٣٧ ـ باب

مِنَ الشركِ إرادةُ الانسان بعمله الدنيا (١)

وقولِ الله تعالى ﴿ من كان يُرِيدُ الحياةَ الدنيا وزِينتَها نُوَفِّ اليهم أَعمالَهم فيها ﴾ الآيتين(٢) .

---

(١) قوله « باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا » . أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل إن استرسل معه ، كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح أمر دنيا ، وقد وقع ذلك كثيراً حتى إن منهم من يحرص على سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهة أمير الجيش واجتماعه به وأمره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك .

(٢) قوله ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفّ اليهم أعمالهم فيها ﴾ الآيتين ، قال ابن عباس ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا ﴾ أي ثوابها ﴿ وزينتها ﴾ أي ما لها ﴿ نوف ﴾ نوفر لهم ثواب ﴿ أعمالهم ﴾ بالصحة والسرور في المال والأهل والولد ﴿ وهم فيها لا يبخسون ﴾ لا ينقصون . ثم نسختها ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ الآية رواه النحاس في ناسخه(*) وأخرج ابن جرير بسنده المتصل عن شفي بن ماتع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل ليقضي بينهم ، وكل أمة جاثية . فأول من يدعو به رجل قد جمع القرآن ، ورجل=

(*) وقع في بعض النسخ المطبوعة : رواه البخاري في تاريخه . وفي بعضها : رواه البخاري في ناسخه . وكله تحريف والصواب ما أثبتناه هنا وهو الموافق لما في فتح المجيد وتيسير العزيز الحميد وما سواه خطأ .

في الصحيح عن أَبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ تَعِسَ عبدُ الدِّينار ، تعسَ عبدُ الدِّرْهم ، تعسَ عبدُ الخَمِيصَة ، تعسَ عبدُ الخَمِيلة : إن أُعْطِيَ رَضِي ، وإنْ لم يُعْطَ سَخِط . تعسَ وانتَكَسَ ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش (١) . طوبىٰ لعبدٍ أَخذَ بعِنانِ فَرَسِه في سبيلِ الله ،

=قتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله تعالى للقارىء : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب . قال فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار . فيقول الله له : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله له : بل أردت أن يقال فلان قارىء . فقد قيل . ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب . قال : فما عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدق . فيقول الله له : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله له بل أردت أن يقال فلان جواد ، فقد قيل ذلك . ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له : فبماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك ، فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت . ويقول الله له . بل أردت أن يقال فلان جريء ، وقد قيل ذلك » ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال « يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة » .

(١) قوله : في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة : أن أعطى رضي . وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ؛ إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ؛ إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » . قوله « في الصحيح » أي صحيح البخاري . قوله « تعس » هو بكسر العين ويجوز الفتح ، أي سقط . والمراد=

أَشعثَ رأْسُه ، مغبرةٍ قَدَماه ، ان كان في الحِراسةِ كان في الحراسةِ ، وان كان في الساقَةِ كان في الساقَةِ ،

هنا هلك ، قاله الحافظ . وقال أبو السعادات : يقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه ، وهو دعاء عايه بالهلاك . قوله « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ، سماه عبداً له لكونه هو المقصود بعمله فصار عبداً له لأنه عبده بذلك العمل . قوله « تعس عبد الخميصة » قال أبو السعادات : هي ثوب خز أو صوف معلم . و «الخميلة» بفتح الخاء المعجمة قال أبو السعادات : ذات الخمل ، ثياب لها خمل من أي شيء كان والمراد كل ما كان من الدنيا نقداً كان أو عرضاً ، لأنه ذكر النوعين . قال أبو السعادات : أي انقلب على رأسه ، وهو دعاء عايه بالخيبة . قوله « وإذا شيك فلا انتقش » أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمناقيش ، قاله أبو السعادات . قال شيخ الاسلام : فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر فيه ما هو دعاء عليه بلفظ الخبر وهو قوله « تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه . وهذه حال من عبد المال ، وقد وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي ، وإن منع سخط ، فرضاه لغير الله وسخطه لغير الله ، وهكذا حال من كان متعلقاً برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وان لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، إذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده . إلى أن قال : وهكذا أيضاً حال من طاب المال ، فان ذلك يستعبده ويسترقه ، وهذه الأمور نوعان : فمنها ما يحتاج اليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك ، فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه ، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه ، من غير أن يستعبده فيكون هلوعا . ومنها ما لا يحتاج اليه العبد ، فهذه ينبغي أن لا يعلق قلبه بها ، فاذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً ومعتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل على الله ، بل فيه شعبة من العبادة=

إنِ استأْذَنَ لم يُؤْذَنْ له ، وان شَفَعَ لم يُشَفَّع » .

=لغير الله ، وشعبة من التوكل على غيره ، وهذا أحق الناس بقوله ﷺ « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة» وهذا عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله ، فان الله إذا أعطاه إياها رضي وان منعه إياها سخط ، وانما عبدالله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغض الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ، فهذا الذي استكمل الايمان . اه ملخصاً .

قوله « طوبى لعبد » روى الامام أحمد عن حسن بن موسى قال : سمعت عبدالله ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك . قال « طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » . قال له رجل : وما طوبى ؟ قال « شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » له شواهد في الصحيحين وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ها هنا أثراً غريباً عجيباً ، قال وهب : إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رياط ، وورقها برود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووحلها مسك ، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل ، وهي مجلس لأهل الجنة ، فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجباً مزمومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح من حسنها ، ووبرها كخز المِرْعِزَّى من لينه ، عليها رحال ألواحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس واستبرق ، فينيخونها ويقولون : ان ربنا أرسلنا اليكم لتزوروه وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها ، قال : فهي أسرع من الطائر ، وأوطأ من الفراش ، خبا من غير مهنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه ، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها ، ولا برك راحلة برك الأخرى ، حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه . قال فيأتون إلى الرحمن الرحيم ، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ، فاذا رأوه قالوا : اللهم أنت=

=السلام ، ومنك السلام ، وحق لك الجلال والإكرام . قال فيقول تبارك وتعالى عند ذلك « أنا السلام ، ومني السلام ، وعليكم حقت رحمتي ومحبتي . مرحبا بعبادي الذين خشوني بالغيب ، وأطاعوا أمري » قال فيقولون : ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ، ولم نقدرك حق قدرك ، فأذن لنا بالسجود قدامك . قال فيقول الله « إنها ليست دار عبادة ولا نصب ، ولكنها دار ملك ونعيم . وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة ، فسلوني ما شئتم ، فان لكل رجل منكم أمنيته » فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول رب تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا ، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا . فيقول الله تعالى « لقد قصرت بك أمنيتك ، ولقد سألت دون منزلتك ، هذا لك مني لأنه ليس في عطـائي نكد ، [ولا تصر يدي]» . قال ثم يقول « اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم التي في أنفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة ، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة ، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة ، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة ، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين ، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة ، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما ، ولا طيب إلا وقد عبق بهما . ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة ، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء . يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ، ويرى لهما مثل ذلك ، ثم يدخل اليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ، ويقولان له ما ظننا أن الله يخلق مثلك . ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له . اه

قوله « أشعث » مجرورة بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، و « رأسه » مرفوع على الفاعلية ، وهو طائر الشعر ، شغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر . قوله « مغبرة قدماه » هو بالجر صفة ثانية لعبد . قوله « ان كان في الحراسة » أي حامية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم . قوله « كان في الحراسة » أي غير مقصر فيها ولا غافل ، قوله « وإن كان في الساقة كان في الساقة » أي في مؤخرة الجيش يقلب نفسه=

= في مصالح الجهاد وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوهم ، قال الخلخالي : المعني ائتماره بما أمر ، وإقامته حيث أقيم ، لا يفقد من مكانه . وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة . قوله « ان استأذن لم يؤذن له » أي ان استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له ، لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة لأنه ليس من طلابها ، وإنما يطلب ما عند الله . قوله « وإن شفع لم يشفع » يعني لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل له شفاعة عند الأمراء ونحوهم . وعن عثمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يصام نهارها ويقام ليلها » . وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال : أملى علي عبدالله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس ، وودعته للخروج ، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة .

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ، ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب :
لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت ، لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني ، ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث ؟ قلت : نعم . قال لي : أكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب صححنا رواية ابن عساكر المذكورة من تفسير الحافظ ابن كثير في ختام سورة آل عمران ، ومن « ذيل الجواهر المضية » لعلي القاري ٢ : ٥٣٣ ، ومن « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » للشارح الشيخ عبد الرحمن بن حسن .

٣٨ ـ باب

مَنْ أَطاعَ العلماءَ والأُمرَاءَ في تحريم ما أَحلَّ الله أَو تحليل ما حرَّم الله فقد اتَّخذَهم أَربابا من دون الله(١).

وقال ابنُ عباس : يُوشِكُ أَن تنزلَ عليكم حِجارةٌ من السماءِ ، أَقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أَبو بكر وعمر(٢) . وقال أَحمدُ بن حَنْبَل : عَجِبْتُ

أبي عبد الرحمن إلينا ، وأملى عليّ الفضيل بن عياض : حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله ، علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله . فقال : « هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصومُ فلا تفطر » ؟ فقال : يا رسول الله أنا أضعف من أن = أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ «فو الذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله ، أوما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك حسنات » .

(١) قوله « باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله » فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾

(٢) قوله « وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر » . [وقال أيضا : أراهم سيهلكون أقول قال رسول الله ﷺ ويقولون قال أبو بكر وعمر. وفي صحيح مسلم عن ابن ابي مليكة ان عروة بن الزبير قال لرجل من اصحاب رسول الله ﷺ يأمر الناس بالعمرة في هذا العشر وليس فيها عمرة فقال عروة فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك فقال الرجل : من ها هنا هلكتم .

لقوم عَرَفوا الإسنادَ وصِحَّتَه ، يَذْهبونَ إلى رأي سُفيان ، واللهُ تعالى يقول ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفونَ عن أمْرِه أنْ تُصِيبَهم فِتنةٌ أو يُصِيبَهم عَذابٌ أليمٌ ﴾ أتدري ما الفتنة ؟ الفتنةُ الشرك ، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقعَ في قلبه شيء من الزَّيْغ فيهلك[1] .

=ما أرى الله الا سيعذبكم أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتخبروني بأبي بكر وعمر]

قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد . وقال الامام مالك رحمه الله تعالى : ما منا إلا رادٌ ومردود عليه ، إلا صاحب هذا القبر ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ليس أحد إلا يؤخذ من قوله، ويدع ، غير النبي ﷺ

(١) قوله « وقال الإمام أحمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك » .
قال الامام أحمد نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاث وثلاثين موضعاً ، ثم جعل يتلو ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ . وسفيان هو الثوري الامام الزاهد العابد الثقة الفقيه ، وكان له أصحاب يأخذون عنه ومذهبه مشهور . وقد عمت البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الإمام أحمد ، خصوصاً فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس، وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد ، والاجتهاد قد انقطع . وقد أخطأوا في ذلك ، وقد استدل الامام أحمد رحمه الله تعالى بقوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » على أن الاجتهاد لا =

عن عَدِيّ بن حاتم أنه سمَع النبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحبارَهم ورُهبانَهم أَرباباً من دون الله ﴾ الآية ، فقلتُ له إنَّا لسنا نعبُدهم ، قال : « أَليس يُحرِّمون ما أَحلَّ الله ، فتحرمونه . ويُحِلون ما حرَّم الله ، فتحلُّونه ؟ فقلت : بلى . قال : فتلك عبادتهم » رواه أَحمد والترمذي وحسنه [1] .

=ينقطع . وحكى ابن عبد البر الاجماع على أن المقلد لا يكون من أهل العلم ، والأئمة لم يقصروا في البيان ، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة . قال أبو حنيفة : إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال . وقال : إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي الكتاب الله تعالى : قيل : إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ . قيل : إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة . وقد تقدم قول الإمامين مالك والشافعي ، فعلى من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظر في أقوال المخالفين وما استدلوا به فيكون متبعاً للدليل مع من كان معه . وبالله التوفيق .

(١) قوله : عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ﴾ الآية : فقلت : إنا لسنا نعبدهم . قال « أليس يحرّمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه » ؟ فقلت : بلى . قال« فتلك عبادتهم » رواه أحمد والترمذي وحسنه

قوله « عن عدي بن حاتم » أي الطائي المشهور بالسخاء والكرم ، قدم عدي على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة ، وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى بترجمة الباب إلى هذا=

٣٩ ـ باب [١]

قولِ الله تعالى ﴿ أَلم تَرَ إلى الذين يَزْعمُون أَنَّهم آمَنوا بما أُنزلَ اليكَ وما أُنزِلَ من قَبلِكَ يُريدونَ أَن يَتَحاكموا إلى الطَّاغُوت ، وقد أُمِروا أَن يكفروا

=الحديث وما في معناه ، وفيه دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله

قال شيخنا في المسائل « فتغيرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية ، فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ويسمونها الولاية ، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين » وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت لا . قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين ، رواه الدارمي . جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ، فكم ضل من ضل ، وزل من زل

(١) قوله « باب قول الله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ الآية . قال العماد ابن كثير : والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت ههنا ، وكل من عبد شيئاً دون الله بأي نوع كان من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة فانما عبد الطاغوت ، فان كان المعبود صالحا كانت عبادة العابد له واقعة على الشيطان الذي أمره بعبادته وزينها له كما قال تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون . فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ والآية بعدها ، وان كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه=

به ، ويريدُ الشيطانُ أَن يُضِلَّهم ضَلالا بعيدا ﴾ الآيات .

كالطّواغيت ، أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً كاللات والعزى ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناما على صور الصالحين والملائكة أو غير ذلك ، فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرأوا منه ، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنا من كان . فالتوحيد هو الكفر بكل ما عبد من دون الله كما قال تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني ﴾ الآية ، فلم يستثن من كل معبود إلا الذي فطره سبحانه وتعالى . وهذا معنى لا إله إلا الله كما تقدم [وكما في قوله تعالى] ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ . وكذلك من خالف حكم الله ورسوله بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو مع الجهل بذلك أو طلب ذلك أن يتبع عليه أو أطاعه فيما يعلم أنه حق إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقا أم لا فهو طاغوت بلا ريب كما قال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة ، فاذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى ما نفته لا إله إلا الله . قوله ﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً ﴾ أي بعيداً عن الهدى ، ففي هذه الآية أربعة أمور : (الأول) أنه من إرادة الشيطان ، (الثاني) أنه ضلال (الثالث) تأكيده بالمصدر ، (الرابع) وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى . فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أنفعه لمن تدبره ، وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم ، وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليهما . وقوله ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾ فان المنافق يكره= =الحق وأهله ويهوى ما يخالفه من الباطل ، وهذه حال أهل النفاق ، قال العلامة ابن القيم : هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه

وقوله ﴿ وإذا قِيلَ لهم لا تُفْسدوا في الأَرضِ قالوا إنما نحنُ مُصْلِحون[1] ﴾ . وقوله ﴿ ولا تُفْسِدوا في الأَرض بعد إصلاحِها[2] ﴾ .

من المنافقين قلت : فما أكثرهم لا كثرهم الله . قال ﴿ ويصدون ﴾ لازم وهو بمعنى يعرضون لأن مصدره «صدوداً» فما أكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصا من يدعي العلم ، فانهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطىء كثيراً ممن ينتسب إلى مذهب من مذاهب الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده فيما يخالف الدليل فصار المتبع للرسول ﷺ بين أولئك غريبا ، وقد عمت البلوى بهذا

(١) قوله ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ قال أبو العالية في الآية : يعني لا تعصوا في الأرض ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الارض لأن صلاح الارض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله . ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين ، وهو من الفساد في الأرض ، وفي الآية التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى .

(٢) قوله ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ قال أبو بكر بن عياش في الآية : إن الله بعث محمداً ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض . قال ابن القيم : قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله ، بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله، فان عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك، والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع ومتبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم الفساد في الأرض ، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع ، والدعوة له لا لغيره ، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ ، فاذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة ، ومن تدبر أحوال العالم وجد=

وقوله ﴿ أَفَحُكْمَ الجاهليَّةِ يَبْغون ﴾ الآية [١] .

عن عبد الله بن عمرو أَن رسولَ اللهِ ﷺ قال « لا يؤمنُ أَحدُكم حتى يكونَ هَواهُ تبعاً لما جئتُ به » قال النَّوَويّ : حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح [٢] .

كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله ، وكل فتنة في العالم وبلاء وشر وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله . انتهى . وبما ذكرنا يتبين مطابقة الآية للترجمة

(١) قوله « وقوله تعالى ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ الآية » قال ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج على حكم الله المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسه من شرائع شتى ، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره ، وصار في بنيه شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير . قوله ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ ؟ استفهام انكار ، أي لا حكم أحسن من حكمه . وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك ، أي ومن أعدل من الله حكما لمن عقل عن الله شرعه ، وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها العليم بمصالح عباده ، القادر على كل شيء ، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

(٢) قوله : عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لايؤمن أحدكم=

=حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » قال النووي* حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح . هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي في كتاب (الحجة على تارك المحجة) بإسناد صحيح كما قال المصنف عن النووي ، ورواه الطبراني وأبو بكر بن عاصم والحافظ أبو نعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار، وشاهده في القرآن قال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ وقوله ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ وقوله ﴿ فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ ونحو هذه الآيات ، قوله « حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » الهوى بالقصر أي ما تهواه وتحبه نفسه ، فان كان الذي يحبه وتميل اليه نفسه ويعمل به تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه إلى ما يخالفه فهذه صفة أهل الإيمان المطلق الذي يوجب لصاحبه الجنة والنجاة من النار ، وان كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب ، فيطلق عليه مؤمن بقيد ، لنقص إيمانه بالمعصية ، كما في حديث أبي هريرة « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » فيكون مسلما ومعه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به ، وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر ، وهذا هو الذي يذهب اليه أهل السنة والجماعة . خلافاً للخوارج والمعتزلة ، فان الخوارج يكفرون بالذنوب ، والمعتزلة لايطلقون عليه الايمان=

(*) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الشافعي ولد سنة احدى وثلاثين وستمائة سمع الكثير من الرضي بن البرهان والزين خالد وعبد العزيز الحموي وأقرانهم وكان مع تبحره في العلم وسعة معرفته بالحديث والفقه وغير ذلك رأساً في الزهد قدوة في الورع عديم المثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توفي في الرابع والعشرين من رجب بقرية نوى سنة ست وسبعين وستمائة من العبر للحافظ الذهبي مختصراً .

وقال الشعْبيّ : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خُصومة ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد - عَرفَ أنه لا يأْخذ الرِّشوة - وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود . لعلمه أَنهم يأْخذون الرشوة . فاتفقا على أن يأْتيا كاهنا في جُهَينة فيتحاكما اليه ، فنزلتْ ﴿ أَلَم تَرَ إلى الذين يَزْعُمون ﴾ الآية . وقيل : نزلتْ في رجُلين اختصما فقال أَحدهُما : نترافع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الاشرف . ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أَحدهما القصة ، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ : أَكذلك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله (١) .

=ويقولون بتخليده في النار ، وكلا الطائفتين ابتدع في الدين وترك ما دل عليه الكتاب والسنة وقد قال تعالى ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فقيد مغفرة ما دون الشرك بالمشيئة ، وتواترت الأحاديث ، بما يحقق ما ذهب اليه أهل السنة ، فقد أخرج البخاري وغيره عن أنس عن النبي ﷺ قال « يخرج من النار من قال لاإله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير »

(١) قوله : وقال الشعبي كان بين رجل من المنافقين وبين رجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة . وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة . فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما اليه ، فنزلت ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك﴾ الآية . وقيل نزلت في رجلين اختصما ،

٤٠ ــ باب

من جَحَدَ شيئا من الأَسماء والصفات

وقولِ الله تعالى ﴿ وهم يَكْفُرونَ بالرحمٰن ﴾ الآية (١) .

فقال أحدهما : نترافع إلى النبي . وقال الأخر : إلى كعب بن الأشرف .

=ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله . [قوله (قال الشعبي) هو عامر بن شراحيل الكوفي وتقدم] وفي قصة عمر وقتله المنافق ــ الذي طلب التحاكم إلى كعب ابن الأشرف ــ دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق . وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والأذى له والاظهار لعداوته ، فانتقض به عهده ، وحل به قتله . وقصة قتله مذكورة في كتب الأحاديث والسير وغيرها .

(١) قوله « باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ، وقول الله تعالى ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ الآية » ، سبب نزول الآية معلوم ، وهو أن قريشاً جحدوا اسم «الرحمن» عناداً ، قال تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ،أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ فالرحمن اسمه وصفته ، فالرحمة وصفه القائم به ، فاذا كان المشركون جحدوا اسماً من أسمائه الذي دل على كماله تعالى فجحود معناه كجحود لفظه ، فان الجهمية يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى ، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة ، فلهذا كفرهم كثير من أهل السنة . قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائيّ الإمام حكاه عنـــ ... ـهم ، بل حكاه قبله الطبراني

فان هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من أهل الكلام على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله ، وبنوا هذا التعطيل على أصل فاسد أصلوه من عند أنفسهم ، ولم=

وفي صحيح البخاري قال علي : حدِّثوا الناسَ بما يَعْرفون ، أتريدون أنْ يُكذَّب اللهُ ورسولُه[1] ؟

=يفهموا من صفات الله إلاما فهموه من خصائص صفات المخلوقين ، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه ، ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات . فشبهوا أولا ، وعطلوا ثانياً ، وشبهوا ثالثاً بكل ناقص أو معدوم ، فتركوا ما دل عليه صريح الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته ، إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . وقد صنف أئمة السنة — لما حدثت بدعة الجهمية — مصنفات كثيرة في الرد عليهم ، كالإمام أحمد وابنه عبدالله والخلال وأبي بكر الأثرم وعثمان بن سعيد الدارمي وإمام الأئمة محمد بن خزيمة وأبي عثمان الصابوني وخلق من أئمة السنة لا يمكن حصرهم ، وكذلك من بعدهم كأبي محمد عبدالله بن أحمد موفق الدين وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومن في طبقتهم كالعماد بن كثير والحافظ ابن عبد الهادي وابن رجب والذهبي وغيرهم من أهل السنة والجماعة ، وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة ، فلله الحمد على ظهور الحق ونشره والدعوة اليه والمحافظة عليه .

(١) قوله « قال علي : حدّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله » ؟ وهذا — والله أعلم — قاله حين كثُر القصّاص في خلافته ، وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة ، ولهذا كثُر الوضع بهذا السبب . وغير المعروف يحتمل أن يكون فيه ما يصح وما لا يصح ، فاذا سمعه من لم يعرفه أنكره ، وربما كان حقا . فلا ينبغي التحديث إلا بما صح وثبت واشتهر عن المحدثين والفقهاء ، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدّث به لاحتمال أن يكون غير صحيح . وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهي عن القصص لما فيه من التساهل في النقل ويقولون : لا يقص إلا أمير أو مأمور .

وروى عبد الرزَّاق عن مَعْمَر عن ابن طاوُس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لمّا سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ما فَرَقُ هؤلاء ؟ يجدون رِقَّةً عند مُحْكَمِه ، ويَهْلكون عند مُتَشابهه [1] .

(١) قوله « وروى عبد الرزّاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ما فرَقُ هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه » ؟! هـ . قوله « وروى عبد الرزاق » هو ابن همام الصنعاني المحدث محدث اليمن صاحب التصانيف ، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري وهو شيخ عبد الرزاق يروى عنه كثيراً . ومعمر بفتح الميمين وسكون العين أبو عروة بن أبي عمرو راشد الازدي الحراني اليماني ، من أصحاب محمد بن شهاب الزهري ، يروى عنه كثيراً . قوله عن ابن طاوس» هو عبدالله بن طاوس اليماني ،قال معمر : كان من أعلم الناس بالعربية ، وقال ابن عيينه : مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . قوله « عن أبيه » طاوس بن كيسان الجَنَدي – بفتح الجيم والنون – الإمام العالم . قيل اسمه ذكوان قاله ابن الجوزي . قلت : وهو من أئمة التفسير ومن أوعية العلم ، قال في تهذيب الكمال عن الوليد الموقري عن الزهري قال : قدمت على عبد الملك بن مروان فقال : من أين قدمت يا زهري ؟ قال قلت : من مكة . قال : من خلفت يسودها وأهلها ؟ قلت : عطاء ابن أبي رباح . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : فبم سادهم ؟ قال قلت : بالديانة والرواية . قال : إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا . قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت طاوس بن كيسان . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي ، قال : فبم سادهم ؟ قلت : بما ساد به عطاء . قال : إنه لينبغي ذلك . قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قلت يزيد بن أبي حبيب . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قلت : مكحول . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟

قال قلت : من الموالي ، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل .. قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران ، قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل خراسان ؟ قال قلت : الضحاك بن مزاحم . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن البصري . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : ويلك ومن يسود أهل الكوفة ؟ قال قلت : ابراهيم النخعي . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من العرب . قال : ويلك يا زهري ، فرجت عني ، والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها : قال قلت : يا أمير المؤمنين إنما هو دين ، من حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط . قوله « ما فرّق هؤلاء »؟ يستفهم من أصحابه ، يشير إلى أناس ممن يحضرون مجلسه فاذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن حصل منهم فَرَقٌ أي خوف ، فاذا سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى ، ولا يتم الإيمان إلا بقبول اللفظ بمعناه الذي دل عليه ظاهراً ، فان لم يقبل معناه أو رده أو شك فيه لم يكن مؤمنا به فيكون هلاكا . وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدَرية كما في صحيح مسلم وغيره ، فقتل من دعاتهم غيلان ، قتله هشام بن عبد الملك لما أصر على قوله بنفي القدر ، ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية فقتل ، قتله خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحى بعد صلاة العيد . قال قال الذهبي قال أحمد(*) حدث وكيع عن إسرائيل بحديث « إذا جلس الرب على الكرسي » فاقشعرّ رجل عند وكيع ، فغضب وكيع وقال : ادركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها . أخرجه عبدالله في الرد على الجهمية . والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس ، وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى

(*) ما أثبتناه هنا هو لفظ الذهبي في كتاب العلو وهو الصواب لا ما في نسخ الحاشية بلفظ (قال الذهبي حدثنا وكيع) .

ولما سمعتْ قريشٌ رسولَ الله ﷺ يذكرُ الرحمٰنَ أنكروا ذلك ، فأنزل اللهُ فيهم ﴿ وهـم يَكْفُرون بالرحمٰن ﴾[1]

٤١ ـ باب [2]

قولِ الله تعالى ﴿ يَعْرِفونَ نِعمةَ الله ثم يُنْكِرُونها ﴾ الآية . قال مجاهد ما معناه : هو قولُ الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي . وقال عَوْنُ بن عبد الله : يقولون لولا فلان لم يكن كذا . وقال ابن قُتيبة * : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا . وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن

لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضا ورد المتشابه إلى المحكم ، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان ، فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه .

(١) قوله « ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا فأنزل الله فيهم ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ الآية » روى ابن جرير عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يـدعو ساجداً « يا رحمن يا رحيم » فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ .

(٢) قوله « باب قول الله تعالى ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ الآية »

(*) هو ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري القاضي النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة اشتغل ببغداد وسمع الحديث على اسحاق بن راهويه وطبقته توفي سنة ست وسبعين ومائتين. انتهى من فتح المجيد .

خالد الذي فيه « إنَّ اللهَ تعالى قال : أَصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر » الحديث ، وقد تقدم - : وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنَّة ، يذُمُّ سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره ، ويشركُ به [1] . قال بعض السَّلَف : هو

قال ابن جرير : فان آهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة ، فذكر عن سفيان عن السدي ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ قال : محمد ﷺ . وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وأن الله هو المنعم عليهم بذلك ، ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم . وأخرج عن مجاهد ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ قال : هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب ، يعرف هذا كفارُ قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا إياه . قوله « وقال عون بن عبد الله : يقولون لولا فلان لم يكن كذا » . عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبدالله الكوفي الزاهد ، عن أبيه وعائشة وابن عباس ، وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري ، وثقه أحمد وابن معين ، قال البخاري : مات بعد العشرين ومائة . واختار ابن جرير القول الأول ، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها وهو الصواب . قوله : وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (*) يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به ، قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقاً ، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير اه . وكلام شيخ الاسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله وأسند أسبابها إلى غيره كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى .

(*) نص كتاب التوحيد (قال ابو العباس) وفي فتح المجيد تفسيره بشيخ الاسلام بن تيمية . فالظاهر أن هنا سقوطا من بعض النساخ وأن أصل العبارة قوله (قال ابو العباس) هو شيخ الإسلام بن تيمية .

كقولهم كانتِ الريحُ طيبةً والملاّحُ حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألْسِنة كثير .

٤٢ ـ باب

قولِ الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا للهِ أنْداداً وأنتم تعلمون[1] ﴾

قال ابن عباس[2] في الآية : الأَنْدادُ هو الشرك ، أَخْفَى من دَبيبِ النمل على صَفاة سوداء في ظلمة الليل . وهو أن تقول : والله وحياتِكَ يا فلان وحياتي . وتقول لولا كُلَيْبَةُ هذا لأَتانا اللصوص ، ولولا البطُّ في الدار لأَتى اللصوص . وقول الرجُل لصاحبه : ما شاء الله وشئتَ ،

---

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ الندّ : المثل والنظير ، وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم ، قال تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال العماد بن كثير في تفسيره : قال أبو العالية ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال : عدلاء شركاء ، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك واسماعيل بن أبي خالد ، وقال ابن عباس ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ، وأنتم تعلمون ﴾ أي لا تشركوا بالله شيئاً من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول اليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه . وقال مجاهد ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال : تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .

(٢) قوله « وعن ابن عباس في الآية : الأنداد هو الشرك أخفى من =

وقول الرجل : لولا اللهُ وفلان . لا تجعل فيها فلان* ، هذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر** بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مَن حَلَفَ بغير الله فقد كفرَ ، أو أشرك » رواه الترمذي وحسّنه ، وصحّحه الحاكم (٢) .

وقال ابن مسعود : لأَنْ أَحلِفَ باللهِ كاذبا أَحبُّ إليَّ مِن أَنْ أَحلِفَ بغيرِه صادقا (٣) .

= دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها (فلاناً) هذا كله به شرك » وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى .

(٢) قوله « وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك » رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم » يحتمل أن يكون شكا من الراوي ، ويحتمل أن تكون «أو» بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك ، ويكون من باب كفر دون كفر .

(٣) قوله « وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن

(*) (هكذا ثبت بخط المصنف بلا تنوين) انتهى من تيسير العزيز الحميد .

(**) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (قوله عن عمر بن الخطاب هكذا وقع في الكتاب وصوابه عن ابن عمر كذلك أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان وقال الزين العراقي في اماليه « اسناده ثقاته » .

وعن حُذَيفةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء اللهُ ثمَّ شاء فلان » رواه أَبو داود بسند صحيح [1] .

وجاء عن ابراهيمَ النَّخَعِي أَنه يكره : أَعوذُ بالله وبك ، ويجوز أَن يقول : باللهِ ثمَّ بك . قال : ويقول لولا اللهُ ثم فلان ، ولا تقولوا : لولا اللهُ وفلان [2] .

=أحلف بغيره صادقا * » ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً من الكبائر ، لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر كما تقدم .

(١) قوله « وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان . رواه أبو داود بسند صحيح » وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة ، لأنها — في وضعها — لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم ،وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك ، وهذا ونحوه من الشرك الأصغر .

(٢) قوله « وجاء عن ابراهيم النخعي أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ، قال ويقول : لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا : لولا الله وفلان ** ابراهيم هو النخعي . وهذا فيما يقدر عليه

(*) أثر بن مسعود هنا ذكره ابن جرير غير مسند قال وقد جاء عن ابن عباس وابن عمر نحوه ورواه الطبراني بإسناد موقوف هكذا قال المنذري ورواته رواة الصحيح انتهي من تيسير العزيز الحيد .

(* *) هذا الأثر رواه عبد الرزاق وابن ابي الدنيا في كتاب الصمت عن مغيرة قال كان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ، ويرخص أن يقول أعوذ بالله ثم بك . ويكره أن يقول لولا الله وفلان ويرخص أن يقول لولا الله ثم فلان) . وهذا اللفظ لابن ابي الدنيا) افاده الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد .

٤٣ ـ باب

ما جاء فيمن لم يَقْنَعْ بالحلف بالله

عن ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ قال « لا تَحْلِفوا بـآبائِكم ، مَنْ حلفَ بالله فلْيَصْدُقْ ، ومَن حُلِفَ له بالله فلْيَرْضِ ، ومَن لم يَرْضَ فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن [1] .

الحي الحاضر بخلاف من ليس كذلك ممن لا يسمع كلاماً ولا يرد جواباً كالأموات والغائبين

(١) قوله (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله) عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله . رواه ابن ماجة * بسند حسن » . قوله « لا تحلفوا بآبائكم » تقدم أنه لا يجوز الحلف بغير الله في حق كل أحد . قوله « من حلف بالله فليصدق » هذا مما أوجبه الله على عباده قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وقال ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ . قوله « ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله » هذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً ، والحديث يدل على الوجوب ، ومن حقه عليه أن يحسن به الظن إذا لم يتبين كذبه كما في الأثر عن عمر : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملا ، وهو من حسن الخلق ومكارم الأخلاق وكمال العقل وقوة الدين .

(*) هو محمد بن يزيد بن ماجه الحافظ الكبير ابو عبدالله القزويني صاحب السنن والتفسير والتاريخ سمع أبا بكر بن ابي شيبة ويزيد بن عبدالله اليماني وهذه الطبقة توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين . اهـ من العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي .

٤٤ ـ باب

قولِ ما شاءَ اللهُ وشئتَ .

عن قُتَيْلَةَ أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تُشْرِكون ، تقولون : ما شاءَ اللهُ وشئتَ ، وتقولون : والكعبةِ . فأَمَرَهم النبيُّ ﷺ إذا أَرادوا أَن يحلفوا أَن يقولوا : وربِّ الكعبة ، وأَن يقولوا : ما شاءَ اللهُ ثم شئتَ . رواه النسائي وصححه (١) .

---

(١) قوله : باب قول ما شاء الله وشئت . عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون . تقولون : ما شاء الله وشئت . وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا « ورب الكعبة » وأن يقولوا « ما شاء الله ثم شئت » رواه النسائي وصححه . قوله «قتيلة» بمثناة مصغرة بنت صيفي الأنصارية صحابية مهاجرة لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب . ورواه عنها عبدالله بن يسار الجعفي . وفيه قبول الحق ممن جاء به . وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة . وأنت ترى ما وقع مما يخالف ذلك من الحلف بالكعبة ودعائها وكذا مقام ابراهيم . وقل من يسلم من هذا ممن يحج من أهل الآفاق وأهل مكة كما كان يفعل بغيرها . والكعبة عظمها الله بأن جعل حجها ركنا على من استطاع . وشرع العبادة عندها وخصهابالفضل . فالمشروع إنما هو الطواف بها والصلاة اليها . لا الحلف بها ونحوه من الشرك في العبادة ﴿ فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴾ . قوله « انكم تشركون . تقولون : ما شاء الله وشئت » . والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد وما شاءه . وقد قال تعالى=

وله * أيضاً عن ابن عباس أَنَّ رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاءَ الله وشئتَ . فقال « أَجعلتَني لله نِدّاً ! ما شاءَ الله وحْدَه[1] » .

ولابن ماجه[2]، عن الطُّفَيل أَخي عائشة لأمّها قال : رأيتُ كأَنّي أَتيتُ على نفر من اليهود ، قلتُ : إنكم لأَنتُم القوم ، لولا أَنكم تقولون : عُزَيرُ ابنُ الله ، قالوا : وإنكم لأَنتُم القوم ، لولا أَنكم تقولون : ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمد . ثم مررتُ بنفر من النصارى ، فقلت : إنكم لأَنتُم القومُ ، لولا أَنكم تقولون : المسيحُ ابنُ

=﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدَر﴾ وقال تعالى ﴿ الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ وفي الحديث « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب . فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » وهو في الصحيحين وغيرهما .

(١) قوله : وله أيضا عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت . فقال « أجعلتني لله نداً : بل ما شاء الله وحده » . هذا يبين ما تقدم من أن هذا شرك . لأن المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه . لأن الواو وضعت لمطلق الجمع فلا يجوز أن يجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلهية والربوبية ولو في أقل شيء كما تقدم في الرجلين اللذين قرب أحدهما ذبابا للصنم فدخل النار . وفيه أن النبي ﷺ حمى حِمى التوحيد، وسد طرق الشرك في الأقوال والأعمال .

(٢) قوله ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني

(*) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (هذا الحديث رواه النسائي كما قال المصنف لكن في (اليوم والليلة) أي كتاب عمل اليوم والليلة للنسائي .

الله ، قالوا : وإنكم لأنتُم القومُ ، لولا أنكم تقولون ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمد . فلما أَصبحتُ أَخبرتُ بها من أَخبرتُ ، ثم أَتيتُ النبيَّ ﷺ فأَخبرتُه ، قال : « هل أَخبرتَ بها أَحداً » ؟ قلتُ : نعم . قال : فحمد الله وأَثنى عليه ، ثم قال « أَما بعد فان طُفَيلا رأَى رؤيا أَخبرَ بها من أَخبرَ منكم ، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعُني كذا وكذا أَن أَنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمد ، ولٰكنْ قولوا : ما شاءَ الله وحْدَه (١) » .

أتيت على نفر من اليهود ، فقلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله . قالوا : وانكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وأنكم لأنتم القوم . لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت . ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال « هل أخبرت بها أحداً » ؟ قلت : نعم . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها (*) . فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ما شاء الله وحده » . قوله « عن الطفيل » هو الطفيل بن عبدالله بن سخبرة أخي عائشة لأمها . له حديث

(*) في رواية أحمد والطبراني (وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم ان انهاكم عنها) وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم بل كان ﷺ يكرهها ويستحي أن يذكرها لأنه لم يؤمر بإنكارها فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة انكرها ولم يستح في ذلك) قرره العلامة الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد .

٤٥ ـ باب

من سبَّ الدَّهرَ فقد آذىٰ الله

وقولِ الله تعالى ﴿ وقالوا ما هي إلَّا حَياتُنا الدُّنيا نموتُ ونحيا وما يُهْلِكُنَا إلَّا الدَّهْر ﴾ الآية[1] .

عنـــد ابن ماجه وهو مـــا ذكره المصنف رحمه الله تعالى في الباب . وهذه الرؤيا حق أقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها فنهاهم أن يقولوا : ما شاء الله وشاء محمد . وأمرهم أن يقولوا ما شاء الله وحده . وقد بلغ ﷺ البلاغ المبين . وأنذر عن الشرك وحذر عن قليله وكثيره . فانظر إلى ما وقع من الشرك العظيم في هذه الأمة . ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو=

=أكثر . ويعتقدون فيه أنه ينفع ويضر ويسمع ويستجيب من تلك المسافة . وجعلوا الأموات شركاء لله في الملك والتدبير وعلم الغيب وغير ذلك من خصائص الربوبية . وتركوا نبيهم وما جاء به وما قاله وما نهى عنه كأنهم لم يسمعوا كتابا ولا سنة. وقد بعثه الله بالنهي عن الشرك كما ترى فما زال يدعو إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له حتى أكمل الله لهم به الدين وأتم عليهم النعمة . لكن رجعوا من الكمال إلى الضلال . ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك ، وهذه وإن كانت رؤيا منام فقد أقرها رسول الله ﷺ وأخبر أنها حق .

(١) قوله : باب من سب الدهر فقد آذى الله . وقول الله تعالى ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ . قال العماد ابن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد . وقالوا ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ أي ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، ولا ثم معاد ولا قيامة . وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة ، ولهذا قال عنهم ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال سبحانه ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون

في الصحيح عن أَبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال اللهُ تعالى يُؤْذِيني ابنُ آدَم ، يَسُبُّ الدهرَ ، وأَنا الدهرُ ، أُقَلِّبُ الليلَ والنهار » .

وفي رواية « لا تَسُبُّوا الدهرَ ، فانَّ اللهَ هو الدهر[1] » .

---

(١) قوله : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » وفي رواية « لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر » . قال في شرح السنة : حديث متفق على صحته ، أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة ، قال : ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل ، لأنهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر ، فاذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها ، فنهوا عن سب الدهر . انتهى باختصار . ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين كابن المعتز والمتنبيء وغيرهما ، وليس منه وصف السنين بالشدة لقوله تعالى ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ﴾ الآية .

قال بعض الشعراء :

إن الليالي من الزمان مهولة ... تطوي وتنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وقال أبو تمام :

أعوام وصل كاد ينسى طيبها ... ذكر النوى فكأنهـا أيام
ثم انبرت أيـام هجر أعقبت ... نحوى أسى فكأنهـا أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنهـا وكأنهـم أحلام

٤٦ ـ باب

التسمّي بقاضي القضاة ونحوه

في الصّحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عندَ اللهِ رجُلٌ تسمَّى مَلِكَ الأَمْلاك ، لا مالكَ إلا الله » قال سُفيانُ : مثلُ شاهان شاهْ . وفي رواية « أَغْيَظُ رجُلٍ على الله يوم القِيٰمة وأَخْبَثُه » . قوله « أَخْنَعُ » يعني : أَوضع[1] .

---

(١) قوله : باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه . وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله » . لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله فهو ملك الأملاك ، لأنه هو الملك في الحقيقة ﴿ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته كما قال تعالى ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ﴾ الآية . فلا ينبغي أن يعظم المخلوق بما يشبه ما يعظم به الخالق جل وعلا ، وما كان مثل ذلك فينهى عنه كالذي ترجم به المصنف ، لأنه لا يصدق هذا المعنى إلا على الله ، فلا يصلح أن يسمى به المخلوق ، لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له تعالى وتقدس دون غيره . قوله « قال سفيان : مثل شاهان شاه » عند العجم عبارة عن ملك الأملاك ، ولهذا مثل به سفيان . قوله : وفي رواية « أغيظ رجل على الله » ، أغيظ : من الغيظ ، وهو مثل الغضب والبغض ، فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليه ، وهذا من الصفات التي تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل . والله أعلم . قوله « وأخبثه » وهو يدل أيضاً على أن هذا خبيث عند الله إذا رضي بذلك لتعظيم الناس له بما لا يستحقه وعدم انكاره وكراهته=

٤٧ ـ باب

احترام أَسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأَجل ذلك

عن أَبي شُرَيح أَنه كان يُكْنىٰ أَبا الحَكَم ، فقال له النبيُّ ﷺ « إنَّ اللهَ هو الحَكَمُ ، واليه الحُكْم » فقال : إن قَوْمي إذا اختَلفوا في شيء أَتَوْني فحكمتُ بينهم ، فرضيَ كلا الفريقين . فقال « ما أَحسنَ هذا ، فما لكَ من الولَد ؟ قلت : شُرَيحٌ ومسلمٌ وعبدُ الله . قال « فَمَنْ أَكبرُهم » ؟ قلتُ : شُريح . قال « فأَنت أَبو شُرَيح » رواه أَبو داود وغيره [١] .

لذلك . قوله « أخنع » يعني أوضع ، وهذا المذكور ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص ، فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبر .

(١) قوله : باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لاجل ذلك . عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم فقال النبي ﷺ « ان الله هو الحكم واليه الحكم » فقال : إن قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال « ما أحسن هذا ، فمالك من الولد » ؟ قلت : شريح ومسلم وعبدالله . قال « فمن أكبرهم » ؟ قلت : شريح . قال « فأنت أبو شريح » رواه أبو داود وغيره (*) قوله « عن أبي شريح » هو أبو شريح الخزاعي ، اسمه خويلد بن عمرو ، أسلم يوم الفتح ، له عشرون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث . وعنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة . قال ابن سعد : مات بالمدينة سنة ثمان وستين=

(*) وهو النسائي والحاكم وزاد الحاكم (فدعا له ولولده) أفاده الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد .

قوله « يكنى » الكنية ما صدر بأب أو أم ونحو ذلك كأبي محمد ، واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين . وقوله ﷺ « إن الله هو الحكم واليه الحكم » أي هو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله ، وما من قضية الا وله فيها حكم مما أنزله على نبيه من الكتاب والحكمة ، لكن قد يخفى على المجتهد ، فان المجتهدين وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحدا ، فمن رزقه الله قوة الفهم وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء أدرك ما هو الصواب من ذلك . وقوله « واليه الحكم في الدنيا والآخرة » قال تعالى ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ﴾ وقال ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ الآية . فالحكم الى الله هو الحكم الى كتابه ، والحكم الى رسوله هو الحكم اليه في حياته ، والى سنته بعد وفاته قوله « إن قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين » المعنى والله أعلم أن أبا شريح كان مرضيا عندهم يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون صلحه ، فسموه حكما . وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب ، لما فيه من النهي الشديد ، والخروج عن حكم الله ورسوله الى ما يخالفه كما قال تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ وهذا كثير ، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه ، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به ، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس اليه اذا اختلفوا . قوله ﷺ « فمالك من الولد ؟ قال : شريح ومسلم وعبدالله ، قال : فمن أكبرهم ؟

قلت : شريح . قال فأنت أبو شريح » فكناه بالكبير وهو السنة ، وغير كنيته بأبي الحكم لأن الله هو الحكم على الاطلاق ، ومنه تسمية الأئمة بالحكام ، فينبغي ترك ذلك والنهي عنه لهذا الحديث وهذا قد حدث في الناس قريبا .

٤٨ ـ باب [١]

مَن هَزَلَ بشيء فيه ذِكرُ الله أو القُرآنِ أو الرسول

وقولِ الله تعالى ﴿ ولَئِن سَأَلْتَهم لَيَقُولُنَّ إنَّما كنَّا نَخُوضُ ونَلْعَب ﴾ الآية .

عن ابنِ عمرَ ومحمدِ بن كعب* وزيدِ بن أسلمَ** وقتادةَ ـ دخلَ حديثُ بعضِهم في بعض ـ أنه قال رجُلٌ في غزوةِ تبُوك : ما رأينا مثلَ قُرّائنا هؤلاء ، أرْغَبَ بُطوناً ، ولا أكذب ألْسُناً ، ولا أجْبَنَ عند اللقاءِ ـ يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ القُرّاء ـ فقال له عَوْفُ بن مالك : كَذَبْتَ ولٰكنَّكَ مُنافق ، لأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ . فذهبَ عوفٌ إلى رسول الله ﷺ لِيُخْبِرَه .

(١) قوله : باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ـ أي فقد كفر ـ وقول الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ الآية . قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فرفع ذلك لرسول الله ﷺ ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ فقال :

(*) هو محمد بن كعب بن سليم ابو حمزة القرظي المدني قال البخاري إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة وهو ثقة عالم مات سنة عشرين ومائة . انتهى من تيسير العزيز الحميد .

(**) زيد بن اسلم هو مولى عمر بن الخطاب والد عبد الرحمن واخوته يكنى ابا عبدالله ثقة مشهور مات سنة ست وثلاثين ومائة . انتهى من تيسير العزيز الحميد .

فوجدَ القرآنَ قد سبقَه ، فجاءَ ذلك الرَّجُلُ إلى رسول الله ﷺ ـ وقد ارتحلَ ورَكِبَ ناقتَه ـ فقال : يا رسولَ الله ، إنّما كنَّا نَخُوضُ ونلعبُ ونتحدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نقطَعُ به عَناء الطريق. قال ابن عمر : كأنِّي أنظُرُ اليه متعلِّقًا بنِسْعَةِ ناقةِ رسولِ الله ﷺ ، وإنَّ الحجارةَ تنكبُ رِجْلَيه ، وهو يقول : إنّما كنَّا نَخُوضُ ونلعبُ ، فيقول له رسول الله ﷺ ﴿أَبِاللهِ وآياتِه ورسولِهِ كنتم تَسْتَهْزِئُون﴾ ما يلتفت اليه ، وما يزيده عليه

يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث ، فقال ﴿آبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعفُ عن طائفة منكم نعذّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ وإن رجليه لينسفان الحجارة ، وما يلتفت اليه رسول الله ﷺ ، وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ. قوله ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ أي بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إن نعفُ عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ أي لا يعفى عن جميعكم ، ولا بد من عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة . انتهى . وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وقد أمره الله تعالى أن يقول ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وقول من يقول « إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولا بقلوبهم » لا يصح ، لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر ، فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر ، وإن أريد إنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم ، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك ، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين اهـ . وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو بعمل يعمل به ، وأشدها خطراً إرادات القلوب ، فهي كالبحر الذي لا ساحل له . ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لأجله .

٤٩ ـ باب

ما جاءَ في قولِ اللهِ تعالى ﴿ ولَئِنْ أَذَقْناه رَحْمةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاء مَسَّتْه لَيَقُولَنَّ هذا لي ﴾ الآية . قال مُجاهد : هذا بعملي ، وأنا مَحْقوقٌ به . وقال ابن عبّاس يريد من عندي . وقوله ﴿ قال إنما أُوتِيتُه على عِلْمٍ عندي ﴾ قال قتادة : على علم منِّي بوجُوه المَكاسب . وقال آخرون : على علم مِنَ الله أَنِّي له أَهْلٌ . وهذا معنى قول مجاهد : أُوتِيتُه على شَرَف (١) .

وعن أَبي هريرة أَنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن ثلاثةً مِن بني إسرائيلَ : أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعمى ، فأَراد اللهُ أن يَبْتَلِيَهم فبعثَ اليهمْ مَلَكا فأَتى الأَبْرَصَ فقال (٢) :

---

(١) قوله : باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ﴾ الآية . ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية ما يكفي ويشفي في المعنى قال : قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي . وقوله ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل ، وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف . وليس ما ذكروه اختلافا وإنما هو أفراد المعنى .

(٢) قوله : وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن ثلاثة من بني إسرائيل ـ أبرص وأقرع وأعمى ـ فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث اليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب اليك : قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به . قال : فمسحه فذهب عنه قذره ،

أيُّ شيء أَحَبُّ اليكَ ؟ قال : لونٌ حسن ، وجِلدٌ حسن ، ويَذهَبُ عني الذي قد قَذِرَني الناس به . قال : فمسَحَه ، فذهبَ عنه قَذَرُهُ ، وأُعطِيَ لوناً حَسَنا وجِلداً حسنا .

قال : فأَيُّ المال أحبُّ اليك ؟ قال : الإِبلُ – أَو البقر شكَّ اسحاق – فأُعطِيَ ناقةً عُشَراء ، وقال : باركَ اللهُ لكَ فيها . قال فأَتى الأَقرعَ فقال : أيُّ شيء أَحبُّ اليك ؟ قال : شَعرٌ حسن ، ويذهبُ عني الذي قد قَذِرَني الناس به . فمسحه فذهبَ عنه ، وأُعطِيَ شَعرا حسنا . فقال : أَيُّ المالِ أَحبُّ اليكَ ؟ قال : البقرُ – أَو الابل – فأُعْطِيَ بقرةً حاملا ، قال : بارك اللهُ لكَ فيها . فأَتى الاعمى فقال : أَيُّ شيءٍ أَحبُّ اليك ؟ قال : أَن يَرُدَّ اللهُ إليَّ بَصَري فأُبْصرَ به الناسَ ، فمسَحَه ، فردَّ اللهُ اليه بصرَه . قال : فأَيُّ المال أَحبُّ اليك ؟ قال : الغنمُ . فأُعطِيَ شاةً والدا ، فأُنتج هذان وولد هذا ، فكان

وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأي المال آحب إليك ؟ قال : الإبل – أو البقر ، شك إسحاق – فأعطى ناقة عشراء ، وقال : بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب اليك ؟ قال شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به . فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطي شعرا حسنا . قال : فأي المال أحب اليك ؟ قال البقر – أو الإبل – فأعطى بقرة حاملا وقال : بارك الله لك فيها . قال : وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله إلي بصري ، فأبصر به الناس . فمسحه فرد الله اليه بصره .

لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم . قال : ثمَّ إنه أتى الأَبرصَ في صورتهِ وهيئتهِ فقال : رجلٌ مِسْكين قد انقطعتْ بيَ الحِبالُ في سَفَري ، فلا بَلاغَ لي اليوم الا بالله ثم بك . أسأَلكَ - بالذي أعطاكَ اللونَ الحسَن والجلدَ الحسن والمالَ - بعيراً أَتبلَّغُ به في سَفَري . فقال : الحقوقُ كثيرة . فقال له : كأَنِّي أَعرِفُكَ ، أَلم تكنْ أَبرَصَ يَقْذَرُكَ الناسُ ، فقيراً فأَعطاك الله عزَّ وجلَّ المالَ ؟ فقال : إنَّما ورثتُ هذا المالَ كابراً عن كابر . فقال : إنْ كنتَ كاذباً فصيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنتَ . قال : وأتى الأَقْرَعَ في صورتِه ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عايه هذا . فقال : إن كنتَ كاذبا فصيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنتَ .

قال : فأي المال أحب اليك ؟ قال : الغنم ، فأعطى شاة والداً ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد مـن الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال ثم إنه أتي الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك - بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال - بعيراً أتبلغ به في سفري . فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، =

قال وأتى الأعمى في صورتِه فقال : رجلٌ مِسْكينٌ وابنُ سَبِيل ، قد انقطعتْ بي الحِبالُ في سَفَري ، فلا بَلاغَ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أَسأَلكَ - بالذي ردَّ عليكَ بصَرَك - شاةً أتبلَّغُ بها في سَفَرِي . فقال : قد كنتُ أَعمى فردَّ اللهُ إليَّ بَصَرِي ، فخذْ ما شئتَ وَدَعْ ما شئت ، فوالله لا أَجْهَدُكَ اليومَ بشيء أَخَذْتَهُ لله . فقال : أَمسِكْ مالَكَ ، فإنَّما ابتُلِيتُمْ ، فقدْ رضيَ اللهُ عنكَ وسَخِطَ على صاحِبَيْك » . أخرجاه .

= فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . قال : وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك - بالذي رد عليك بصرك - شاة أتبلغ بها في سفري . فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال أمسك مالك ، فانما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك » أخرجاه ، وهذا حديث عظيم يبين حال من كفر النعم وحال من شكرها . قال ابن القيم : أصل الشكر هو الاعتراف بانعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها ، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا ، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم فقد كفرها ، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضا ، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي عنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها ، فلا بد في الشكر من علم القلب ، وعمل يتبع العلم ، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له اهـ . قوله « قد قذرني الناس» أي بكراهة رؤيته وقربه منهم .

٥٠ ـ باب

قولِ اللهِ تعالى ﴿ فلمّا آتاهما صالحاً جَعَلا له شُرَكاء فيما آتاهُما ﴾ الآية (١) .

قال ابنُ حَزْم : اتَّفَقُوا على تحريم كلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لغيرِ اللهِ ، كعَبْدِ عُمَرَ وعبدِ الكَعْبَةِ وما أَشبَه ذلك ، حاشا عبدَ المطَّلِب (٢) .

(١) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية : (حدثنا عبد الصمد) : حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال « لما ولدت حواء طاف بها إبليس – وكان لا يعيش لها ولد – فقال : سميه عبد الحارث فانه يعيش ، فسمته عبدالحارث فعاش ، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن ﴿ جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ قال : كان هذا في بعض الملل ، ولم يكن بآدم . وعن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فتعبدهم لله وتسميهم عبد الله وعبيدالله ونحو ذلك فيصيبهم الموت ، فأتاهما إبليس وآدم (*) فقال : أما إنكما لو تسميانه (بغير الذي تسميانه) بــه لعاش ، فولدت رجلا فسمياه عبد الحارث ، ففيه أنزل الله تعالى ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ إلى آخر الآية .

(٢) قوله « قال ابن حزم » هو عالم الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعد بن حزم القرطبي الظاهري صاحب التصانيف ، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة . « اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما اشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب » . قلت : وعبد المطلب هذا جد رسول الله ﷺ ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن

(*) كذا في تفسير ابن جرير والمعنى فأتى ابليس آدم وحواء .

وعن ابنِ عبّاس في الآية قال : لما تَغَشَّاها آدمُ حملتْ ، فأَتاهما إبليسُ فقال : إني صاحِبُكما الذي أَخرَجْتُكما من الجنَّةِ لَتُطِيعانني أو لأَجعلنَّ له قرنيْ أَيِّل فيخرُجُ من بطنكِ فيشقُّه ، ولأَفعلنَّ ، ولأَفعلنَّ – يُخوِّفهما – سَمِّياه عبدَ الحارث . فأَبيا أن يُطيعاه ، فخرَجَ مَيْتاً . ثم حَملتْ ، فأَتاهما فقال مثل قوله ، فأَبيا أن يطيعاه فخرج مَيْتا . ثم حملتْ ، فأَتاهما

عدنان ، وما فوق عدنان مختلف فيه ، ولا ريب أنهم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عبد لغيرِ الله لأنه شرك في الربوبيَة والإلهية ، لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له استعبدهم بعبادته وحده وتوحيده في ربوبيته وإلهيته ، فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته وإلهيته ، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته ، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد كما قال تعالى ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً﴾ فهذه هي العبودية العامة ، وأما العبودية الخاصة فانها تختص بأهل الإخلاص والطاعة كما قال تعالى ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ ونحوها . قوله «حاشا عبد المطلب» . هذا استثناء من العموم ، لأنه ليس المقصود منه عبودية الرق ، وانما هو اسم علق به لما أتى به عمه المطلب من عند أخواله بني النجار من المدينة وهو صبي ، فرأته قريش حين جاء به وقد تغير لونه من السفر فقالوا عبد المطلب ، ثم تبين لهم أنه ابن أخيه هاشم فصارت العبودية في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد ، لكن غلب عليه فصار لا يسمى إلا به ، وإلا فاسمه في الأصل «شيبة» وقد صار عبد المطلب معظما في قريش والعرب فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته ، وهو الذي حفر زمزم ، وما جرى له في حفرها مذكور في السير وكتب الحديث وصارت السقاية له وفي ذريته .

فذَكرَ لهما ، فأدرَكهما حُبُّ الولد ، فسمّياه عبدَ الحارث ، فذلك قوله ﴿ جَعَلا له شُرَكاءَ فيما آتاهما ﴾ رواه ابن أَبي حاتم . وله بسند صحيح عن قَتادةَ قال : شُرَكاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته [1] . وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله ﴿ لئن آتَيْتَنا صالحا ﴾ قال : أشفَقا أن لا يكون إنسانا . وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

٥١ ـ باب

قولِ الله تعالى ﴿ وللهِ الأَسماءُ الحُسنىٰ فادْعُوه بها [2]

---

(١) قال شيخنا في معنى قوله ﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ ان هذا الشرك بمجرد تسميته لم يقصدا حقيقته التي أرادها إبليس منهما وهذا يزيل الإشكال ، وهذا معنى قول قتادة : شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته .

(٢) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ الآية . أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الأموات ، وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان ، وأخرجه الترمذي في جامعه عن الجرجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله ، وزاد بعد قوله يحب الوتر : « هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ،

الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المعطي ، المانع ، النافع ، الضار ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » ثم قال الترمذي : ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء الحسنى إلا في هذا الحديث ، والذي عند بعض الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج . هذا ما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره ثم قال : ليعلم أن الأسماء ليست منحصرة في تسعة وتسعين ، بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبدالله ابن مسعود أن النبي ﷺ قال « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً » فقيل : يا رسول الله ألا نتعلمها ؟ فقال ؟ « بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » وقد أخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه .

وذَرُوا الذين يُلْحِدُون في أَسمائِه ﴾ الآية .ٌ ذكرَ ابنُ أَبي حاتم عن ابن عباس ﴿ يُلْحِدون في أَسمائِه ﴾ : يشركون(١) . وعنه : سَمّوا اللات مِنَ الإلٰهِ ، والعُزَّى

(١) قوله : وقال قتادة في قوله تعالى ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ قال : يشركون . وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : الإلحاد التكذيب . قلت : والشرك تكذيب من المشرك لما أنزله الله في كتابه وبعث به رسوله ، كما جرى من قريش وغيرهم مع النبي ﷺ وأصحابه ، وكما جرى من المشركين من هذه الأمة ، فلم يأخذوا بالآيات المحكمات في تحريم الشرك والنهي عنه ، بل كذبوا بالصدق ، واعتمدوا على الكذب على الله وعلى كتابه ورسوله . وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل . قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشـ ـراك والتعطيل والنكران

وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف دلت على كماله جل وعلا . والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتأخرهم إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . وان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتاً حقيقة لا تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين ، فله صفات حقيقة لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين ، فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه ، فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين .

(*) كذا جاء في الحاشية (قال قتادة) والذي في متن كتاب التوحيد عزو تفسير (يلحدون) بيشركون إلى ابن عباس ولعل هذا مراعاة لما ذكره الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد حيث قال (وهذا الأثر لم يروه ابن أبي حاتم عن ابن عباس إنما رواه عن قتادة).

من العَزِيز . وعن الأعمش * : يُدْخِلون فيها ما ليس منها .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : (فائدة جليلة) ما يجري صفة أو خبراً على الرب تعالى أقسام : (أحدها) ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود . (الثاني) ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع والبصير . (الثالث) ما يرجع إلى أفعاله كالخالق والرازق . (الرابع) التنزيه المحض ، ولا بد من تضمنه ثبوتاً ، إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام . (الخامس) ولم يذكره أكثر الناس ، وهو الاسم الدال على جملة أوصاف لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معاني : نحو المجيد العظيم الصمد فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ، ولفظه يدل على هذا ، فانه موضوع للسعة والكثرة والزيادة ، فمنه استمجد المرخ والعفار ، وأمجد الناقة : علفها . ومنه « رب العرش المجيد » صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه . وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترناً بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمنا ﷺ ، لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه ، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول : اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، فهو راجع إلى التوسل بأسمائه وصفاته ، وهو من أقرب الوسائل وأحبها اليه . ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي « ألظوا بياذا الجلال والإكرام » ومنه « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والاكرام » فهذا سؤال له وتوسل اليه [بحمده وانه لا إله الا هو المنان فهو توسل اليه] بأسمائه وصفاته فما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسئول ، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد . (السادس) صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد ، الغفور القدير ، الحميد المجيد . وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فان الغنى صفة كمال والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غنائه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما ، وكذلك الغفور القدير ، والحميد المجيد ، والعزيز الحكيم ، فتأمله فإنه من أشرف المعارف

(*) الأعمش اسمه سليمان بن مهران أبو محمد الكوفي الفقيه ثقة حافظ ورع مات سنة سبع وأربعين ومائة وكان مولده أول سنة إحدى وستين انتهى من تيسير العزيز الحميد

٥٢ ـ باب [1]

لا يُقالُ السلامُ على الله

في الصَّحيح* عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال :

---

(١) قوله : باب لا يقال السلام على الله . في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي ﷺ « لا تقولوا السلام على الله ، فان الله هو السلام» . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم عن ابن مسعود ، وفي هذا الحديث النهي عن ذلك ، وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثا وقال « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » وفي الحديث أن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى . قوله « فان الله هو السلام » أي هو تعالى سالم من كل نقص ومن كل تمثيل ، فهو الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل عيب ونقص . قال في البدائع : السلام اسم مصدر ، وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الانشاء والإخبار فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الانشائية ، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية . وفيه قولان مشهوران : (الأول) أن السلام هنا هو الله عز وجل . ومعنى الكلام : نزلت بركته عليكم ونحو هذا . فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء (الثاني) أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية، ومن حجة أصحاب هذا القول أنه يأتي منكراً فيقول المسلّم : سلام عليكم، ولو كان اسما من أسماء الله لم يستعمل كذا . ومن حجتهم أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى وانما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبراً أو دعاء قال (ابن القيم) رحمه الله تعالى : وفصل الخطاب أن يقال الحق في مجموع القولين ، فكل منهما معه بعض الحق والصواب في مجموعهما ، وانما يتبين ذلك بقاعدة وهي أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يتوسل في كل مطلب ويسأل بالاسم =

(*) أي الصحيحين كما في تيسير العزيز الحميد.

كنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة ، قلنا : السلامُ على اللهِ من عِبادِهِ ، السلامُ على فلان وفلان ، فقال النبيُّ ﷺ « لا تقولوا السلامُ على الله ، فان اللهَ هو السلام[1] » .

= المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله حتى أن الداعي متشفع إلى الله تعالى متوسل به اليه ، فاذا قال : رب اغفر لي وتب علي إنك التواب الغفور ، فقد سأله بأمرين ، وتوسل اليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه ، فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله وهو السلام الذي تطلب منه السلامة ، وهو مقصود المسلّم فقد تضمن سلام عليكم اسماً من أسماء الله تعالى وطلب السلامة منه ، فتأمل هذه الفائدة ، وحقيقته البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب ، وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه فمن ذلك قولك : سلمك الله ، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط : اللهم سلم سلم . ومنه : سلم الشيء لفلان ، أي خلص له وحده كما قال تعالى ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ﴾ أي خالصاً له وحده لا يملكه معه غيره ، ومنه السلم ضد الحرب لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر بني فيه على المفاعلة فيقال المسالمة مثل المشاركة ، ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب ، وحقيقته الذي قد سلم لله وحده فخلص من دغل الشرك وغله ودغل الذنوب والمخالفات ، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته . وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته . ومنه أخذ الإسلام فانه من هذه المادة لأنه الاستسلام والانقياد له والتخلص من شوائب الشرك فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون . ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه ، وللمشرك به .

٥٣ ـ باب

قول: اللهمَّ اغفرْ لي إن شئت

في الصحيح * : عن أبي هريرة ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال « لا يقل أحدكم : اللهمَّ اغفرْ لي إن شئت ، اللهمَّ ارحمني إن شئت ، لِيَعْزِمِ المسألَةَ ، فانَّ اللهَ لا مُكرِهَ له (١) » .

ولمسلم « وليُعظِّمِ الرغبةَ فانَّ اللهَ لا يَتَعاظَمُه شيءٌ أَعْطاه (٢) » .

---

(١) قوله « باب قول اللهم اغفر لي إن شئت » قوله « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت ، اللهم ارحمني إن شئت . ليعزم المسألة فان الله لا مكره له » بخلاف العبد فانه قد يعطي السائل مسألته لحاجته اليه أو لخوفه أو رجائه فيعطيه مسألته وهو كاره ، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول مسألته على مشيئة المسئول مخافة أن يعطيه وهو كاره ، بخلاف رب العالمين فانه يعطي عبده ما أراده بفضله وكرمه وإحسانه . فالأدب مع الله أن لا يعلق مسألته لربه بشيء ، لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه ، وفي الحديث « ليعزم المسألة » وفي الحديث « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحّاء الليل والنهار » الحديث .

(٢) قوله : ولمسلم « وليعظم الرغبة اي في سؤاله ربه حاجته فانه يعطي العظائم كرماً وجوداً وإحساناً ، فان الله لا يتعاظمه شيء أعطاه » أي ليس ما

(*) اي الصحيحين كما في تيسير العزيز الحميد.

٥٤ ـ باب

لا يقول عَبْدي وأَمَتي

في الصحيح * عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا يَقُلْ أَحدُكم أَطعمْ ربَّكَ ، وَضِّىء ربَّك . ولْيقلْ سيّدي ومولاي . ولا يقلْ أَحدُكم : عبدي وأَمَتي ، ولْيقلْ فَتاي وفَتاتي وغُلامي [1] » .

اعطى عبده مما سأله بعظيم عنده لكمال فضله وجوده ، وقد قال بعض الشعراء في مخلوق يمدحه :

وتعظم في عين الصغير صغارها　　　وتصغر في عين العظيم العظائم

والله تعالى أحق بكل مدحة وثناء .

(١) قوله : باب لا يقول عبدي وأمتي . في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضيء ربك ، وليقل سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي». هذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغة فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك ، لما فيها من التشريك في اللفظ ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم . فاذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ ، فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك . فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذا اللفظ وهو قوله « سيدي ومولاي » وكذلك قوله « لا يقل أحدكم عبدي وأمتي » لأن العبيد عبيد الله ، والإماء إماء الله . قال تعالى ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ﴾ الآية .

(*) أي الصحيحين كما في تيسير العزيز الحميد.

٥٥ ـ باب

لا يُرَدُّ من سَأَلَ بالله (١)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من اسْتَعَاذَ بالله فأَعِيذُوه ، ومن سَأَلَ بالله فأَعْطوه ، ومن دَعاكم فأَجيبوه ، ومن صَنَعَ إليكم مَعْروفا فَكافِئُوه ، فان لم تَجِدُوا ما تُكافِئوهُ فادعوا له حتى تُرَوا أَنَّكم قد كافأْتموه » . رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح (٢) .

---

(١) قوله « باب لا يرد من سأل بالله » . ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله . ويحتمل أن يكون المراد فيما لا مشقة فيه على المسئول ولا ضرر ، فيكون من باب مكارم الأخلاق ومعالي الشيم ، وربما كان السائل محتاجاً أو مضطراً فيجب أن يعطى ما سأله ، ويأثم المسئول في منعه ، فيؤخذ من ماله أضعاف ما منع على وجه يكرهه ، فباعتبار هذه الأمور ينبغي لمن أعطاه الله نعمة أن يؤدي حق الله فيها . ويعطي من سأله من فضول نعمة الله عليه خصوصاً إذا سأل بالله تعالى فيكون إعطاؤه تعظيما لمن سأل به وهو الله تعالى.

(٢) قوله : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فاعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفاً فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه (*) فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح . قوله « من استعاذ بالله فأعيذوه » تعظيما لله تعالى وتقرباً اليه بذلك . قوله « ومن دعاكم فأجيبوه»

(*) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (هكذا ثبت بحذف النون في خط المصنف وهكذا هو في غيره من أصول الحديث) .

٥٦ ـ باب

لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ إلَّا الجنَّة

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ إلَّا الجنَّة » . رواه أَبو داود(١) .

هذا من حقوق المسلم على المسلم ، ومن أسباب الألفة وسلامة الصدر وإكرام الداعي . قوله « ومن صنع اليكم معروفاً فكافئوه » أي ينبغي المكافأة على المعروف ، وهو من مكارم الأخلاق ، وفيه السلامة من البخل وما يذم به . قوله « فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له » فيه أن الدعاء يقوم مقام المكافأة في حق من لم يجد ما يكافىء به . قوله « حتّى تروا » بضم التاء أي تظنوا ، وفي رواية أبي نهيك عن ابن عباس « من سألكم بوجه الله فأعطوه »

(١) قوله « باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » ذكر فيه حديث جابر رواه أبو داود قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » وهنا سؤال . وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبته ثقيف دعا بالدعاء المأثور « اللهم أشكو اليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهوانى على الناس ،أنت رب المستضعفين ،وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدوّ ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك . لك العتبى حتّى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » والحديث المروي في الأذكار « اللهم أنت أحق من ذُكر . وأحق من عُبد ، وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض ، ونحوه في الأحاديث المرفوعة . فيحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد لا فيما يحبه ويتمناه . ويحتمل غير هذا . والله أعلم .

٥٧ ـ باب

ما جاءَ في اللَّوِّ (١)

وقولِ الله تعالى ﴿ يَقُولون لو كانَ لنا مِنَ الأَمر شيءٌ ما قُتِلْنا هٰهُنا (٢) ﴾ .

وقولِه ﴿ الذين قالوا لإخوانِهم وقَعَدوا لو أطاعُونا ما قُتِلوا ﴾ الآية .

في الصحيح (٣)* عن أَبي هريرة أَن رسولَ الله ﷺ قال « احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ واستعنْ باللهِ ولا تَعْجِزَنَّ وإن اصابكَ شيءٌ فلا تقلْ لو أنِّي فعلتُ كذا لكان كذا وكذا

---

(١) قوله « باب ما جاء في اللو » أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة كالمصائب إذا جرى بها القدر ونحوها

(٢) قوله : وقول الله تعالى ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾ قاله بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم. قال ابن إسحاق فحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن ابيه عن عبدالله بن الزبير قال : قال الزبير : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد علينا الخوف أرسل الله علينا النوم فما منا رجل إلا ذقنه في صدره ، قال : فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . فحفظتها منه . وفي ذلك أنزل الله عز وجل ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ﴾ لقول معتب . رواه ابن أبي حاتم . وقال مجاهد عن جابر بن عبدالله : نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبيّ ، يعني أنه هو الذي قال ذلك .

(٣) قوله : في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

(*) أي صحيح مسلم كما في فتح المجيد وتيسير العزيز الحميد.

ولٰكنْ قُلْ : قَدَرُ اللهُ وما شاء فَعل ، فانَّ (لو) تفتَحُ عَمَلَ الشيطان » .

٥٨ ـ باب

النهي عن سَبِّ الرِّيح

عن أُبَيّ بن كَعْب رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال « لا تَسُبُّوا الريحَ ، فإذا رأَيتم ما تَكْرَهون فقولوا :

قال « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان (لو) تفتح عمل الشيطان » . اختصر المصنف هذا الحديث وتمامه «المؤمن القويّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » إلى آخره قوله « احرص على ما ينفعك » أي في دنياك وأخراك . وخص ما ينفع دون ما ليس كذلك مما فيه ضرر أو عدم نفع ، وذلك لا يخرج عن الواجب والمستحب والمباح إذا كان نافعاً . قوله « واستعن بالله » لأنه لا يحصل له ذلك إلا إذا كان مستعيناً بالله . قوله « ولا تعجزن » نهاه عن العجز ، لأنه مما يذم به عقلا وشرعاً ، فما أكثر ذلك في الناس ، فكم فوّت الإنسان على نفسه من الخير ، وهو يقدر عليه أما إذا رغب فيه واستعان بالله فانه يحصل ولا حول ولا قوة إلا بالله . قوله « وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله » لأن ما قدّر يكون ، فيجب الايمان بالقدر والتسليم ، وأرشده إلى أن يقول « قدر الله » أي هذا قدر الله والمبتدأ محذوف وتقديره « هذا قدر الله وما شاء فعل » لأن أفعاله تعالى إنما تصدر عن حكمة وعلم وفضل وعدل ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ . قوله « فان لو تفتح عمل الشيطان » أي لما فيها من التأسف على ما فات والحزن فيأثم في ذلك ، وذلك من عمل الشيطان .

اللهمَّ إنا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ هٰذِهِ الريحِ ، وخيرِ ما فيها وخير ما أُمِرَتْ به ، ونعوذ بك من شرِّ هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أُمِرَتْ به » صححه الترمذي[1] .

٥٩ - باب

قولِ الله تعالى ﴿ يَظُنُّونَ باللهِ غيرَ الحقّ ظَنَّ الجاهليَّة ، يقولونَ هلْ لنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شيء . قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله[1] ﴾ الآية .

---

(١) قوله : باب النهي عن سب الريح . عن أبيّ بن كعب (*) أن رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا الريح ، فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك [من] خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » صححه الترمذي . لأن الريح خلق من خلق الله مدبر ، وإنما تهبّ بمشيئة الله وقدرته فيرجع السب إلى من خلقها وسخرها. وأرشد النبي ﷺ أمته إلى أن يقولوا ما ذكر في الحديث، وهو سؤاله تعالى (من) خيرها وخير ما فيها ، والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها . وقد شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم ويستعيذوا به من شر ما يضرهم ، وأن يكون ذلك منهم عبودية لله وحده وطاعة له وإيماناً به ، وهذه حال أهل التوحيد والايمان خلافا لحال أهل الشرك والبدع .

(٢) قوله : باب قول الله تعالى ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ،=

(*) أبي هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر صحابي بدري جليل من قراء الصحابة وقضاتهم وعلمائهم وله مناقب مشهورة اختلف في سنة موته فقيل سنة تسعة عشر وقيل سنة اثنتين وثلاثين وقيل بل مات في خلافة عمر وقيل غير ذلك ، اهـ من تيسير العزيز الحميد باختصار .

وقوله ﴿ الظانِّينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْء ، عليهمْ دائِرةُ السَّوْء ﴾ الآية [1] .

=يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ﴾ . وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله (في ذكر وقعة احد) ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ﴾ يعني أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق ، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله ﷺ وينجز له مأموله ، ولهذا قال ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ كما قال تعالى ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً ﴾ وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة ، وأن الاسلام قد باد وأهله ، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة . قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل . وفُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وانكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله . هذا هو ظن السوء ﴿ عليهم دائرة السوء وغضب الله عايهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

(١) قوله ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ قال ابن جرير في تفسيره ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ﴾ أي الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك ، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به ، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع . وقال ابن كثير ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ﴾ أي يتهمون الله في حكمه ، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ، ولهذا قال تعالى ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ وهذا هو الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق . فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة=

قال ابن القيِّم في الآية الأُولىٰ : فُسِّرَ هذا الظن بأنّه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل . وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقَدَر الله وحكمته ، ففُسِّر بانكار الحكمة ، وإنكار القَدر ، وإنكار أن يتمَّ أمرُ رسوله ﷺ وأن يُظْهره على الدين كلِّه . وهذا هو ظنُّ السَّوْء الذي ظنَّه المنافقون والمشركون في سورة الفتح . وانما كان هذا ظنَّ السَّوء لانه ظنٌّ غيرِ ما يليقُ به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظنَّ أنه يُدِيلُ الباطلَ على الحق إدالةً مستقرَّة يضمحلُّ معها الحق ، أو أنكرَ أن يكون ما جرى بقضائه وقَدره ، أو أنكرَ أن يكون قدَرهُ بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجرَّدة ، فذلك ظنُّ الذين كفروا ، فويلٌ للذين كفروا من النار . وأكثرُ

يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده ، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل أنت سالم ؟

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فاني لا أخالك ناجيـاً

الناس يظنُّون بالله ظنَّ السَّوء فيما يختصُّ بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يَسْلَم من ذلك إلا من عرفَ اللَّهَ وأسماءَه وصفاتِه وموجبَ حكمته وحمده . فليعْتَنِ اللبيبُ والناصح لنفسه بهذا ، وليتبْ إلى الله ويستغفرْه من ظنِّه بربه ظنَّ السَّوء . ولو فتشتَ من فتشتَ لرأيت عنده تعنُّتاً على القَدر وملامةً له ، وأنه كان ينبغي أَن يكون كذا وكذا ، فمستقِلٌّ ومُستكثِرٍ ، وفتش نفسكَ ، هل أَنت سالم ؟

فان تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عَظِيمةٍ
وإلاَّ فاني لا إخالُـكَ ناجيا

٦٠ ـ باب

ما جاءَ في مُنكرِي القَدَر

وقال ابنُ عمر : والذي نفس ابنُ عمر بيده ، لو كان لأَحدهم مثل أُحَدٍ ذهباً ثم أَنفقه في سبيل الله ما قبِلَه اللهُ منه حتى يؤمِنَ بالقَدَر . ثم استدلَّ بقول النبيّ ﷺ « الإيمانُ أَنْ تُؤمنَ بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليوم الآخر، وتُؤمنَ بالقَدَرخيرِه وشرِّه» رواه مسلم(١).

(١) قوله « باب ما جاء في منكري القدر » أي من الوعيد . قوله « قال ابن عمر والذي نفس ابن عمر بيده » حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو

وعن عُبادةَ بنِ الصامتِ أنَّه قال لابنه : يا بنيَّ إنك لنْ تجد طعمَ الإيمان حتى تعلمَ أنَّ ما أصابَكَ لم يَكنْ

داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقتُ أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين — أو معتمرين — فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق الله لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم ، يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . فقال : إذا لقيت أولئك فاخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني .والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد .ذهباً فأنفقه [في سبيل الله] ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرني عن الإسلام . قال « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » . قال : صدقت . فعجبنا له ، يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : صدقت . قال : فاخبرني عن الإحسان . قال « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فإنه يراك » قال : صدقت . قال : فاخبرني عن الساعة . قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال : فاخبرني عن أماراتها . قال « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » . قال فانطلق فلبثنا ملياً ، ثم قال : « يا عمر . أتدري من السائل » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال « إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » .

(١) قوله « عن عبادة بن الصامت » حديثه هذا رواه أبو داود ، ورواه

لِيُخْطِئَك ، وما أخطأَكَ لم يكن لِيُصِيبَك . سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول « إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، فقال له : اكتُبْ . فقال : ربِّ وماذا أكتُب ؟ قال : اكتبْ مَقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعة » . يا بُنَيَّ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « مَنْ مات على غيرِ هذا فليس مِنِّي * » . وفي رواية لأحمد « إن أوَّلَ ما خلَق اللهُ تعالى القلَم فقال له : اكتبْ ، فجرَى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » . وفي رواية لابن وهب**: قال رسول الله ﷺ « فمَن لم يُؤْمنْ بالقَدر خيرِه وشرِّه أَحرقَه اللهُ بالنار [1] » .

الإمام احمد بكماله قال : حدثنا الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة ابن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد لي . قال : أجلسوني . ثم قال : يا بني ، إنك لن تجد طعم الإيمان ، ولن تبلغ=

(*) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (قد بيض المصنف آخر هذا الحديث ليعزوه وقد رواه أبو داود وهذا لفظه ورواه أحمد والترمذي وغيرهما .

(**) ابن وهب هو الامام الحافظ عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري الفقيه ثقة امام مشهور عابد له مصنفات منها الجامع وغيره مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنان وسبعون سنة . ا . هـ . من تيسير العزيز الحميد .

وفي المسند والسُّنَن* عن ابن الدَّيْلَميِّ قال[1]: أتيتُ أُبيَّ بنَ كعبٍ فقلتُ : في نفسي شيء من القَدَر ، فحدِّثْني بشيءٍ لعلَّ اللهَ يُذْهِبُه من قلبي . فقال : لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما قَبِلَه اللهُ منكَ حتى تُؤْمِنَ بِالقَدر ، وتعلمَ أَنَّ ما أَصابَكَ لم يكنْ لِيُخْطِئَك ، وما أَخطأَكَ لم يكنْ لِيُصِيبَك ، ولو مُتَّ على غير هٰذا لكنتَ من أهلِ النار . قال فأتيتُ عبدَ الله بنَ مسعود وحُذَيفةَ بن اليمان وزيدَ بن ثابت ، فكلُّهم حدَّثني بمثل ذلك عن النبي

=حقيقة العلم بالله ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه ، وكيف أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . يا بني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » يا بني إن متّ ولست على ذلك دخلت النار . رواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح * . وفي هذا الحديث بيان شمول علم الله وإحاطته بما كان ويكون كما في قوله تعالى ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ الآية ، والآيات في إثبات القدر كثيرة ، وقد استدل العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم كما في الآية . قال الإمام أحمد : القدر قدرة الرحمن . وقال بعض الأئمة في نفاة القدر : ناظروهم بالعلم ، فان أقروا به خصموا . وإن جحدوا كفروا

(١) قوله « وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي » هو أبو يسر — بالسين

(*) اي عن الوليد بن عبادة عن ابيه كما في فتح المجيد

(*) أفاد الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد أن مراد شيخ الاسلام بالسنن هنا سنن ابي داود وسنن ابن ماجة فقط

ﷺ . حديث صحيح ، رواه الحاكم في صحيحه

٦١ ـ باب[١]

ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ « قال الله تعالى : ومَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذهبَ يَخلُقُ كخَلْقي ، فلْيَخلقُوا ذَرَّة ، أو لِيَخْلُقُوا حبَّة ، أو ليخلُقوا شَعِيرة » أخرجاه . ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ قال

المهملة والباء المضمومة ، ويقال أبو بشر بالشين المعجمة وكسر الباء ، وبعضهم صحح الأول ـ واسمه عبدالله بن فيروز * ولفظ أبي داود قال : لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . فأتيت عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ، قال : ثم أتيت زيد بن ثابت ، قال : فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك . وأخرجه ابن ماجه . وهذه الأحاديث وما في معناها حجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار ، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع ، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب تعالى وتقدس .

(١) قوله « باب ما جاء في المصورين » أي من الوعيد . وقد ذكر النبي

(*) عبدالله هذا ثقة من كبار التابعين بل ذكره بعضهم في الصحابة. انتهى من تيسير العزيز الحميد .

« أَشَدُّ الناسِ عذابا يومَ القيامة الذين يُضاهِئُون بخَلْق الله » . ولهما عن ابنِ عباس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « كلُّ مُصَوِّرٍ في النار ، يُجعَلُ له بكلِّ صُورَةٍ صَوَّرَها نَفْسٌ يُعذَّبُ بها في جهنم » . ولهما عنه مرفوعا « مَن صَوَّرَ صُورَةً في الدنيا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ ، وليس بنافِــخ » .

ولمسلم عن أَبي الهيَّاج قال : قال لي عليّ : ألا أَبْعَثُكَ على ما بَعَثَني عليهِ رسولُ الله ﷺ « أَلاَّ تَدَعَ صُورةً إِلَّا طمستَها ، ولا قبراً مُشْرِفا إلا سَوَّيْتَه[1] » .

ﷺ العلة ، وهي المضاهاة بخلق الله . لان الله تعالى له الخلق والامر ، فلا يجوز أن يشبه بشيء من خلقه سبحانه ، لما فيه من المضاهاة بخلق الله .

(١) قوله « ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ، أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » قوله « عن أبي الهياج » هو الأسدي حيان بن حصين ، وعلي هو أمير المؤمنين . قوله « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » فهذا ما صح عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴾ فأكثروا التصوير واستعملوه . وأكثروا البناء على القبور وزخرفوها وجعلوها أوثاناً ، وزعموه ديناً . وهو أعظم المنكرات وأكبر السيئات ، تعظيما للأموات وغلواً ، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله على عباده . قال العــلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً

٦٢ ـ باب

ما جاء في كثرة الحَلِف

وقولِ الله تعالى ﴿ واحفَظوا أَيْمانَكم ﴾[1] عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلْعة ، مَمْحَقة للكَسْب » أخرجاه[2] .

وعن سَلمان أن رسولَ الله ﷺ قال « ثلاثةٌ لا يكلِّمُهُم اللهُ ولا يُزَكِّيهم ولهم عذابٌ أليم : أُشَيْمِطٌ زانٍ ، وعائلٌ مُستَكبِر ، ورجلٌ جعلَ اللهَ بِضاعتَه ، لا يشتري إلّا بيمينه ، ولا يبيعُ إلا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح[3] .

---

(١) قوله « باب ما جاء في كثرة الحلف » أي من النهي عنه والوعيد . وقول الله تعالى ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ قال ابن جرير : أي لا تتركوها بغير تكفير . وذكر غيره عن ابن عباس : يريد لا تحلفوا . وقال آخرون ﴿ احفظوا أيمانكم ﴾ عن الحنث فلا تحنثوا ، والمعنى يعم القولين .

(٢) قوله : عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجاه . أي البخاري ومسلم . وأخرجه أبو داود والنسائي . والمعنى أنه قد يحلف على ثمن السلعة بزيادة على ما اشتريت به أو سيمت به ، فيأخذها المشتري لظنه أنه صدق . وهذا وإن كان فيه زيادة فهو يمحق البركة كما جاء في الحديث . والواقع يشهد بصحته ، فان ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب .

(٣) قوله : وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح .

وفي الصحيح[1] عن عِمْران بن حُصَين رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ « خيرُ أُمَّتي قَرْني ، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهم ، ثم الذينَ يَلُونهم » قال عِمران : فلا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ؟ ثُمَّ إنَّ بَعدَكم قوم يَشْهَدون ولا يُسْتَشْهَدون ، ويخونون ولا

=وسلمان لعله سلمان الفارسي أبو عبدالله ، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق ، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل ابن السمط وغيرهما ، قال النبي ﷺ « سلمان منا أهل البيت ، ان الله يحب من أصحابي أربعة علياً وأبا ذر وسلمان والمقداد » أخرجه الترمذي . توفي سلمان في خلافة عثمان . ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي . قوله « لا يكلمهم الله » هذا وعيد شديد في حقهم لأنه قد تواتر أنه يكلم أهل الإيمان ويكلمونه في عرصات القيامة ، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه . وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة نفاة الكلام . قوله « ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » هذا من تمام العقوبة عليهم ، وفي هذا الوعيد الشديد ما يزجر من له عقل عن هذه الأعمال السيئة ونحوها . قوله « أشيمط زان » صغره تحقيراً له ، وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه فدل على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور وعدم خشيته لله . وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يحمله على الكبر فدل على أنه خلق له ، فعظمت العقوبة في حقه لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي . قوله « ورجل جعل الله بضاعته » بنصب الاسم الشريف ، يعني اليمين بالله عز وجل ، جعله بضاعة له لكثرة استعماله .

(١) قوله « وفي الصحيح » أي صحيح مسلم ، وأخرجه أبو داود والترمذي ورواه البخاري بلفظ « خيركم » قوله « عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا « ثم ان بعدكم=

يُؤْتمنَون ، ويَنْذِرون ولا يُوفون ، ويظهرُ فيهمُ السِّمَن »

وفيه[1] عن ابن مسعود أَن النبيَّ ﷺ قال « خيرُ الناس

قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » قوله « خير أمّتي قرني » لكثرة الخير فيهم وقلة الشر وشدة الانكار على من خالف الحق وابتدع كالخوارج والقدرية والجهمية ونحوهم « ثم الذين يلونهم » فضلوا على من بعدهم لظهور الاسلام فيهم وكثرة العالم والعلماء ، وأما القرن الثالث فظهرت فيهم البدع لكن انكرها العلماء ، وتصدى كثير منهم لانكارها والرد على من قالها وهم كثيرون . قوله « فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا » هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين ، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الاهواء فقال « ثم ان بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون » لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم . قوله « ويخونون ولا يؤتمنون » يدل على ان الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم « وينــذرون ولا يوفون » أي لا يؤدون ما وجب عليهم فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم ايمانهم ، قوله

« ويظهر فيهم السمن » لرغبتهم في الدنيا وشهواتهم وقلة الايمان باليوم الآخر ، وفي حديث أنس « لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » قال أنس سمعته من نبيكم ﷺ ، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن انتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف ، فحدث التفرق والاختلاف في الدين وحدث الغلو في أهل البيت من بني بويه في المشرق لما كان لهم دولة وبنوا المساجد على القبور وغلوا في أربابها وشهرت دولة القرامطة وظهر فيهم الكفر والألحاد في شرائع الدين ومذهبهم معروف وظهر فيهم من البدع ما يطول عده ، وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين ، وما زال أهل السنة على الحق ولكن كثرت البدع والأهواء حتى عاد المعروف منكرا والمنكر معروفا نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير .

(١) قوله : وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال « خير الناس قرني ،

قَرْني ، ثمّ الذين يَلُونَهم ، ثمّ الذين يَلُونهم . ثم يجيءُ قومٌ تَسْبِقُ شهادةُ أَحدِهم يمينَه ، ويمينُه شهادَتَه » .

وقال* ابراهيم : كانوا يَضْرِبوننا على الشهادة والعهدِ ونحن صِغار .

٦٣ ـ باب [١]

ما جاءَ في ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ نبيِّه

وقولِ اللهِ تعالى ﴿ وأَوفُوا بعهدِ اللهِ إذا عاهَدْتُم ، ولا

ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » . في هذا الحديث أن خير القرون ثلاثة من غير شك . قوله « ثم يجيء قوم » الخ وذلك لضعف الإيمان والرغبة في الدنيا وأخذها بالقلوب وكثرة المعاصي والذنوب . قوله « قال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار » ، هكذا حال السلف الصالح محافظة منهم على الدين الذي أكرمهم الله به ،فلا يتركون شيئاً مما يكره إلا أنكروه . وفيه تمرين الصغار على دينهم بالتعليم .

(١) قوله : باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ، وقول الله تعالى ﴿ وأوفوا

(*) قول ابراهيم هذا موصول باسناد حديث عبيدة عن عبدالله بن مسعود المذكور قبله الى ابراهيم النخعي قال البخاري في (باب من لا يشهد على شهادة جور اذا شهد) (حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله عن النبي ﷺ (خير الناس قرني) فساق الحديث كما ساقه شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ثم قال وقال ابراهيم كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ١٩٦ (ووهم من زعم انه معلق) اهـ .

تَنقُضوا الإيمانَ بعدَ تَوْكيدِها ﴾ الآية . عن بُرَيْدَةَ[1] أَن رسولَ الله ﷺ كان إذا أَمَّرَ أَميراً على جيشٍ أَو سَرِيَّةٍ أَوصاهُ بتَقْوى اللهِ ومَنْ معه مِنَ المسلمين خيراً فقال: « اغْزُوا بِسمِ اللهِ في سبيلِ الله ، قاتلوا مَنْ كفرَ بالله ، اغْزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغدِروا ولا تُمَثِّلوا ولا تَقتلُوا وَلِيداً ، وإذا لقَيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المشرِكينَ فادْعُهُم إلى ثلاثِ خِصال ـ أَو خلال ـ فأَيَّتُهنَّ ما أَجابوكَ فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم . ثمَّ ادْعُهم إلى الاسلام ، فانْ أَجابوا فاقبلْ منهم . ثم ادْعُهم إلى التَّحَوُّل مِنْ دارِهم إلى دارِ المُهاجرِين ، وأَخبِرْهم انَّهم إن فَعلوا ذٰلكَ فلهم ما لِلْمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين . فانْ أَبَوْا أَن يَتحوَّلوا فأَخبرْهم أَنهم يكونون كأَعْراب المسلمين يَجرِي عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكونُ لهم في الغَنيمةِ والفَيْء شيء ، إلاَّ أَن يُجاهِدُوا مع المسلمين . فانْ هم

بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ الاية . قال العماد ابن كثير : وهذا مما يأمر الله تعالى به ، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان ، ولهذا قال ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ وهذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق ، لا الأيمان الواردة على حث ومنع . قوله ﴿ ان الله يعلم ما تفعلون ﴾ تهديد ووعيد .

(١) قوله « عن بريدة » هو ابن الحصيب الأسلمي ، وهذا الحديث من

أَبَوْا فاسأَلهُم الجِزْيةَ ، فانْ هم أَجابوكَ فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم . فان هم أَبَوْا فاستعنْ بالله وقاتِلْهم . وإذا حاصرتَ أَهلَ حِصنٍ فأَرادوكَ أَن تجعلَ لهم ذِمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نبيّه فلا تَجعلْ لهم ذمّة الله وذمّة نبيه ، ولكن اجعلْ لهم ذِمَّتك وذِمَّةَ أَصحابِكَ فانكم أَنْ تُخفِروا ذِمَمَكم وذِمَّةَ أَصحابِكم أَهْوَنُ من أَن تُخْفِروا ذِمَّةَ اللهِ وذمَّة نبيِّه . وإذا حاصرتَ أَهلَ حصنٍ فارادُوكَ أَن تُنْزِلَهم على حُكمِ اللهِ فلا تُنزلْهم على حُكم الله ، ولكن أَنزِلْهم على حُكْمِكَ فانكَ لا تدرِي أَتُصِيبُ فيهم حُكمَ اللهِ أَم لا » ؟ رواه مسلم.

رواية ابنه سليمان عنه . قوله « كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله تعالى » ، فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم ، قال الحربي : السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها ، والجيش ما كان أكثر من ذلك . وتقوى الله التحرز من عقوبته بطاعته . قوله « ومن معه من المسلمين خيراً » أي ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيراً ، من الرفق بهم والاحسان اليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاظم عليهم . قوله « اغزوا باسم الله » أي اشرعوا بالغزو مستعينين بالله مخلصين له ، فتكون الباء في «بسم الله» للاستعانة بالله والتوكل عليه هنا . قوله « قاتلوا من كفر بالله » هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم ، واستثنى منهم من له عهد، وكذلك الذراري والأولاد والنساء والرهبان فلا يقتلون . قوله « ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا » الغلول الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها ، قال تعالى ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ ، والغدر نقض =

العهد ، والتمثيل هنا التشويه بالقتل كقطع أنفه وأذنه والعبث به . قوله « واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال – أو خلال » الرواية بأو التي هي للشك ، والمعنى واحد . قوله « فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » منصوب بأجابوا . قوله « ثم ادعهم الى الاسلام » كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم « ثم ادعهم » بزيادة « ثم » (*) . قوله ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى ذار المهاجرين » يعني المدينة إذ ذاك، وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن ، وهو في بلد الشرك ، وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة ، نص عليه الفقهاء في كتبهم . قوله « فان هم أبوا أن يتحولوا منها » يعني أن من أسلم ولم يجاهد ولم يهاجر من البداوة لم يعط له من الخمس ولا من الفيء شيء . قوله « فان هم أبوا فاسألهم الجزية » فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان أو غيره ، كتابياً كان أو غيره . وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية ، فقال مالك ، أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق . وقال الشافعي : دينار على الغني والفقير . وقال أبو حنيفة : على الغني ثمانية وأربعون درهما ، والوسط أربعة وعشرون درهما، والفقير اثنا عشر درهما . وهو قول أحمد بن حنبل . وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم ، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره ، ويجب تحويل النائي إلى بلاد المسلمين أو حربهم . قوله « وإذا حاصرت أهل حصن الخ » فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول : إن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد ، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره . قوله « وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه » الذمة : العهد ، وتخفر : تنقض ، يقال أخفرت الرجل : نقضت عهده ، وخفرته : أجرته ، لأنه لا يؤمن على من أعطى ذمة أن يخفرها ، فخفر ذمته أهون من أن يخفر ذمة الله تعالى .

(*) زاد في فتح المجيد (والصواب اسقاطها أي ثم كما روى في غير كتاب مسلم كمصنف ابي داود وكتاب الأموال لأبي عبيد لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال) انتهى .

٦٤ ـ باب

ما جاءَ في الإِقْسام على الله

عن جُنْدَب بن عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ « قال رجُلٌ : والله لا يَغفِرُ اللهُ لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يَتَأَلَّى عليَّ أَن لا أَغفرَ لفلان ؟ إني قد غَفرتُ له وأَحبَطْتُ عملكَ » رواهُ مسلم(١). وفي حديث أَبي هريرة أَن القائل رجُلٌ عابد . قال أَبو هريرة : تكلَّم بكلمةٍ أَوْبَقَتْ دنياه وآخرتَه(٢) .

---

(١) قوله « ما جاء في الإقسام على الله » ذكر المصنف فيه حديث جندب ابن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك » رواه مسلم . قوله «يتألى» أي يحلف ، والألية بالتشديد الحلف . وصح من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين ، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة ، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أقصر . فوجده يوما على ذنب . فقال له : اقصر ، فقال : خلني وربي ، أبعثت عليَّ رقيباً ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، ولا يدخلك الجنة . فقبضت أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين ، فقال لهذا المجتهد : أكنت بي عالماً ، أو على ما في يدي قادراً ؟ وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » .

(٢) قوله « في حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد » يشير إلى قوله في هذا الحديث : إن أحدهما مجتهد في العبادة ، وفيه معنى قوله ﷺ « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » .

٦٥ ـ باب

لا يُسْتشفَعُ بالله على خَلقِه

عن جُبير بن مُطْعم قال : جاءَ أَعْرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، نَهِكَتِ الأَنفُسُ ، وجاع العِيالُ ، وهَلَكَتِ الأَموالُ ، فاسْتَسْقِ لنا ربك ، فإنَّا نَستشفِعُ بالله عليكَ ، وبكَ على الله . فقال النبيُّ ﷺ « سُبحانَ الله ، سُبحان الله » فما زال يُسبِّحُ حتى عُرِفَ ذٰلكَ في وُجوه أَصحابه » ثم قال النبي ﷺ : « وَيْحَكَ ، أَتَدْري ما اللهُ ؟ إنَّ شأْنَ الله أَعظَمُ مِنْ ذٰلك ، إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أَحد من خَلْقِه » وذكر الحديث . رواه أبو داود [1] .

---

(١) قوله « باب لا يستشفع بالله على خلقه » ، وذكر الحديث ، وسياق أبي داود أتم مما ذكره المصنف ، ولفظه : عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده* قال : أتى النبي ﷺ أعرابي فقال : يا رسول الله ، جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فقال النبي ﷺ « ويحك أتدري ما تقول » ، وسبح رسول الله ﷺ ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك . ويحك أتدري ما الله ، ان عرشه على سماواته

(*) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كان من سادات قريش وحلمائها أسلم قبل بدر وتوفي سنة أربع وخمسين اهـ مـن العبر للذهبي .

=هكذا – وقال بأصابعه مثل القبة – عليه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب». قال ابن بشار في حديثه «ان الله فوق عرشه ، وعرشه فوق سماواته» . قوله «ويحك» كلمة تقال للزجر . قوله «أتدري ما الله» ؟ فيه إشارة إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله ، قوله «إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» لأن الأمر كله بيده تعالى ، ليس في يد المخلوق منه شيء ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع تعالى وتقدس . وفي هذا الحديث الرد على الجهمية وإثبات العلو . وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته فيما كان عنده صحيحاً أو حسناً وسكت عليه (*) ، وأما الاستشفاع بالرسول في حياته فانما هو بدعائه ﷺ ودعاؤه مستجاب ، وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به كما تقدم تقريره في باب الشفاعة وما قبله ، والله تعالى نهى عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرة من القرآن ، ونفاها في حق من سألها من غير الله .

(*) ونص ابي داود في (باب في الجهمية) من سننه (حدثنا عبد الأعلى ابن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار واحمد بن سعيد الرباطي قالوا نا وهب بن جرير قال احمد كتبناه من نسخته وهذا لفظه قال حدثنا ابي قال سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن جده قال اتى رسول الله ﷺ اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك قال رسول الله ﷺ ويحك أتدري ما تقول وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك ويحك اتدري ما الله ان عرشه على سماواته لهكذا وقال بإصابعه مثل القبة عليه وإنه ليئط به اطيط الرحل بالراكب قال ابن بشار في حديثه ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته وساق الحديث وقال عبد الأعلى وبن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير عن ابيه عن جده قال ابو داود والحديث بإسناد احمد بن سعيد هو الصحيح ووافقه عليه جماعة منهم يحي بن معين وعلي بن المديني ورواه جماعة عن ابن اسحاق كما=

٦٦ - باب

ما جاء في حِماية النبي ﷺ حِمَى التوحيد وسدِّه طُرقَ الشرك (١)

عن عبد الله بن الشِّخِّير * قال : انطلقتُ في وفدِ

(١) قوله « باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك » حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص ، وقد اشتمل هذا الكتاب — على اختصاره— على أكثر ذلك ، والنهي عما ينافي التوحيد أو يضعفه ، يعرف ذلك من تدبره وعرف ما تضمنه بابا بابا .

=قال احمد ايضا وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشارمن نسخة واحدة فيما بلغني) .

هذا لفظ ابي داود أوردناه بتمامه لإيضاح ان مافهمه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن من كلام ابي داود وهو الواقع لا ما توهمه من تعقب كلام الشيخ عبد الرحمن بقوله (بل تكلم ابو داود في سننه فخطأ بعض رواته في سياقه وصوب من قال إنه روى كتابة من نسخة وهب بن جرير لا تحديثا وأن مداره فيها على محمد بن اسحاق عنعنة لا سماعاً) فإن ابا داود لم يقع منه تخطئة احد من رواة هذا الحديث عن وهب بن جرير في غير وضع الواو موضع عن في (عن جبير بن محمد كما لم يتعرض لابن اسحاق بشيء ، واما قوله قال احمد كتبناه من نسخته يعني وهب بن جرير فليس فيه نفي تحديثه اياهم بذلك الحديث بدليل قوله قبل ذلك (قالوا حدثنا وهب بن جرير فلا وجه لإعتراض ذلك المتوهم وقد اطال صاحب عون المعبود في الدفاع عن ذلك الحديث والله ولي التوفيق .

(*) هوابن عوف بن كعب العامري الكعبي صحابي نزل البصرة روى عنه ابنه مطرف غير حديث وابناه الآخران يزيد وهانىء اه من تجريد اسماء الصحابة للحافظ الذهبي .

بني عامرٍ إلى النبيّ ﷺ فقلنا: أنتَ سيِّدُنا ، فقال « السيدُ اللهُ تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلُنا فضلا ، وأعظمُنَا طَوْلا ، فقال « قُولوا بقولِكم ، أو بعضِ قَولِكم ، ولا يَسْتجرِيَنَّكُم الشيطانُ » . رواه أبو داود بسند جيد .

وعن أنس رضي الله عنه أن ناسا قالوا : يا رسول الله ، يا خَيرَنا وابن خيرِنا ، وسيِّدَنا وابنَ سيِّدنا . فقال « يا أيها الناس ، قولوا بقولِكم ، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُم الشيطان . أنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه ، ما أُحِبُّ أن ترفعوني فوق مَنزِلَتي التي أنزلَني اللهُ عزَّ وجل » رواه النسائي بسند جيد[1] .

---

(١) قوله في حديث أنس : ان ناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال « أيها الناس ، قولوا بقولكم – أو بعض قولكم – ولا يستهوينكم الشيطان » ، كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء كما تقدم في قوله « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله ، وهذا من كمال نصحه للأمة وشفقته عليهم ، حذرهم مما يكون ذريعة إلى الغلو فيه . وقوله « أنا محمد عبد الله ورسوله » فأعلى مراتب العبد هاتان الصفتان : العبودية الخاصة ، والرسالة . وللنبي ﷺ أكملهما . وقد أخبر تعالى أنه وملائكته يصلون عليه ، وأمر أمته أن يصلوا عليه ، وأثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغه ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره ، فلا يذكر في الأذان والتشهد والخطب إلا ذكر معه صلوات الله وسلامه عليه . وأما اطلاق «السيد» فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في (بدائع الفوائد) ما نصه : اختلف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر ،=

٦٧ - باب

ما جاء في قول الله تعالى :

﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قدرِه ، والارضُ جميعا قَبْضَتُه يومَ القِيامة ﴾ الآية [(١)] .

عن[(٢)] ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحبارِ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا محمد إنَّا نَجدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمٰواتِ على إصبع ، والأَرَضِينَ على إصبع ، والشجرَ

=فمنعه قوم ونقل عن مالك واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له أنت سيدنا قال « السيد الله » ، وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار « قوموا إلى سيدكم » وهذا أصح من الحديث الأول . قال هؤلاء : السيد أحد ما يضاف اليه . فلا يقال للتميمي سيد كندة ولا يقال للملك سيد البشر . قال : وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم . وفي هذا نظر فان السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق. انتهى . قلت : فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى « الله الصمد » : انه السيد الذي كمل فيه جميع أنواع السؤدد . وقال أبو وائل : هو السيد الذي انتهى سؤدده .

(١) قوله باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ الآية . أي من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية . قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته . قال السدي : ما عظموه حق عظمته . وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه . وقد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بهذه الآية ، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف .

(٢) قوله : عن ابن مسعود قال : جاء حبر من الأحبار إلى النبي ﷺ

على إصبع ، والماءَ على إصبع ، والثَّرىٰ على إصبع ، وسائرَ الخلقِ على إصبع ، فيقول : أنا الملكُ . فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجِذُه تصديقاً لقول الحَبرِ ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِه والأَرضُ جميعا قَبْضَتُه يومَ القِيامة ﴾ الآية . وفي رواية لمسلم « والجبالَ والشجرَ على إصبع ، ثم يَهُزُّهنَّ فيقول : أَنا الملكُ ، أَنا الله » . وفي رواية للبخاري : « يجعل السَّمٰواتِ على إصبع ، والماءَ والثَّرىٰ على إصبع ، وسائرَ الخلقِ على إصبع . أَخرجاه .

ولمسلم(1) عن ابن عمر مرفوعا « يَطْوِي اللهُ السَّمٰواتِ يومَ القِيامة ، ثمَّ يأْخُذُهنَّ بيدِه اليمنىٰ ، ثمَّ يقول :

فقال : يا محمد ، إنا نجد آن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر . ثم قرأ ﴿ وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ﴾ الآية . وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به ، وقال البخاري : حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن (ابن خالد) بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه فيقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » ؟ تفرد به من هذا الوجه .

(1) قوله : ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا « يطوي الله عز وجل السموات

أنا الملكُ ، أينَ الجبّارون ؟ أينَ المتكبِّرون ؟ ثم يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ ، ثم يأْخُذُهنَّ بِشماله ثم يقول : أنا الملكُ ، أين الجبَّارون ؟ أين المتكبّرون ؟ » [1]

ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون»؟ كذا في رواية مسلم ، قال الحميدي : وهي أتم . قلت : وهذه الأحاديث وما في معناها — وهي كثيرة جداً — تدل على عظمة الله وكماله وعظيم قدرته ، وفيها الرد على الجهمية والأشاعرة ونحوهم أيضاً ، وكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله يدل على كماله وعظمته وجلاله ، وأن العبادة لا تصلح إلا له سبحانه وبحمده ، لا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا لمن دونهما . قال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى : وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسولهﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء . وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه ، وذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة . وقال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة . وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب الأصول : أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله مستو على عرشه بذاته ، ذكره الذهبي في كتاب العلو . وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب أيضاً : أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه بالحقيقة لا على المجاز . ثم قال في هذا الكتاب : أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء . هذا لفظه في كتابه . وقال الحافظ الذهبي : وأول مقالة سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم ،وكذلكأنكر جميع الصفات فقتله خالد بن عبدالله القسري وقصته مشهورة . وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن=

ورُوِيَ عن ابنِ عباس قال : ما السَّمٰوات السبعُ والأَرَضونَ السبعُ في كفٍّ الرحمٰنِ إلا كخَرْدَلةٍ في يدِ أَحَدِكم . وقال ابنُ جَرِير : حدَّثَني يونس* أنبأَنا ابنُ وَهب قال : قال ابن زيد** : حدَّثني أَبي قال : قال رسول الله ﷺ « ما السَّمَوَاتُ السبعُ في الكرسيّ إلا

صفوان إمام الجهمية فأظهرها واحتج لها بالشبهات ، وكان ذلك في آخر عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ، ومن بعدهم من أئمة الهدى كالإمام أحمد وخلق من أهل السنة . قال الإمام الشافعي : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ اهـ من فتح الباري .

(*) هو يونس بن عبد الأعلى الإمام أبو موسى الصدفي المصري الفقيه المقريء المحدث روى عن ابن عيينة وابن وهب وتفقه على الشافعي وكان الشافعي يصف عقله وقرأ القرآن على ورش وتصدر للاقراء والفقه ، انتهت اليه مشيخة بلده وكان ورعا صالحا عابداً كبير الشأن توفي سنة اربع وستين ومائتين وله ثلاث وتسعون سنة . اهـ من العبر .

(**) هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم العدوي العمري روى عن ابيه وجماعة وهو ضعيف كثير الحديث توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة . اهـ من العبر .

وزيد بن اسلم العدوي مولاهم الفقيه العابد لقي ابن عمر وجماعة وكان له حلقه للفتوى والعلم بالمدينة توفي سنة ست وثلاثين ومائة . انتهى من العبر باختصار .

كدراهَم سبعةٍ أُلقِيَتْ في تُرْس » قال : وقال أبو ذر (*) : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « ما الكرسيُّ في العَرْش إلا كحَلْقةٍ من حديدٍ أُلقِيَتْ بين ظهرَيْ فَلاةٍ من الأَرض » .

وعن ابن مسعود قال : بين السماءِ الدنيا والتي تليها خمسُمائةِ عام ، وبين كلِّ سماءٍ وسماءٍ خمسُمائة عام ، وبين السماء السابعةِ والكرسيّ خمسُمائة عام . وبين الكرسيّ والماء خمسُمائة عام ، والعرشُ فوقَ الماء ، واللهُ فوقَ العرش ، لا يَخفى عليه شيءٌ من أَعْمالِكم . أَخرجه ابنُ مهديّ عن حمّاد بن سَلَمة عن عاصم عن زِرّ عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعوديُّ عن عاصم عن أَبي وائل عن عبد الله قاله الحافظُ الذهبيّ رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق .

وعنْ(١) العبّاسِ بنِ عبد المطَّلب قال : قال رسولُ الله ﷺ « هل تَدْرون كم بينَ السماءِ والأَرض » قلنا : ؟ اللهُ ورسولُه أَعلم . قال » بينَهما مَسيرةُ خمسمائة سنة ومن كلِّ سماءٍ إلى سماءٍ مسيرةُ خمسمائة سنة ، وكِثَفُ كلِّ

(١) قوله « وعن العباس بن عبد المطلب » ساقه المصنف مختصراً ،

(*) ابو ذر الغفاري اسمه جندب على الصحيح اسلم خـامس خمسة ثم رجع إلى أرضه ثم هاجر بعد بدر وكان لا تأخذه في الله لومة لائم توفي سنة اثنتين وثلاثين اه من العبر .

سماءٍ مَسِيرةُ خمسِمائة سنة وبين السماء السابعةِ والعرشِ بحرٌ بينَ أسفلِهِ وأعلاهُ كما بينَ السماءِ والأرض ، واللهُ سبحانه وتعالى فوقَ ذلك ، وليس يَخفى عليه شيءٌ من أعمالِ بني آدم (١) ، أخرجه أبو داود وغيره .

والذي في سنن أبي داود عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ ، فمرت بهم سحابة ، فنظر اليها فقال « ما تسمون هذه » ؟ قالوا السحاب قال « والمزن » قالوا والمزن قال « والعنان » قالوا والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جيداً قال« هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض » ؟ قالوا لا ندري . قال « ان بعد ما بينهما إما واحدة أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك — حتى عدد سبع سموات — ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك . قال الحافظ الذهبي رواه أبو داود بإسناد حسن . وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه « بعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام » قال ولا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلا ، ونيف وسبعون سنة على سير البريد . قلت : وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن فلا عبرة بقول من ضعفه .

وقد ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية ، لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد ، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد ، فقام [هذا الشيخ] ببيان التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد ، فالدعوة إلى ذلك=

=هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه وأعطاه القدرة على الدعوة اليه والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته ، فقرر هذا التوحيد كما ترى في هذه الأبواب ، ثم ختم كتابه بتوحيد الاسماء والصفات ، لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلى هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم ، وأما من ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم وأحسنوا الظن بأهل الكلام وظنوا أنهم على شيء فقبلوا مذهبهم وما وجدوه عنهم فقرروا مذهب الجهمية وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين ، وما زال أهل السنة متمسكين بذلك لكنهم قلوا ، فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع التوحيد فقررها بأدلتها ، فلله الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدت غربة الإسلام فضلٌ عنه من ضل من أهل القرى والأمصار وغيرهم ، وبالله التوفيق ، فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار اليها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله :

والعلم أقسام ثلاث مالها	من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمّ كتابِ التّوْحيد

وشرحه

قُرّةُ عيُون المُوَحدين

والحمدُ لله الذي بنعمته تتِمُّ الصالحات

الفهرس

تصويبات متن كتاب التوحيد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣١	٨	أهلكهم	أهلكهم
٢٢٩	١	كنا مع	كنا إذا كنا مع
٢٣٩	١٣	ابن	ابن
٢٤٩	١٠	الإيمان	الأيمان

تصويبات حاشية كتاب التوحيد «قرة عيون الموحدين»

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢	١٢	ارادتهم	ارادتهم
٣٨	١٠	ممن	من
٤٩	٣	وأن	وإن
٥٦	٢٥	ما جئتنا	ما جئتنا
٦٣	١	وشرح	قوله وشرح
٦٣	١	ذكر رحمه الله	ذكر فيها رحمه الله
١٤١	١٤٠	ويقال	يقال
١٨١	٦	أنه لا إله إلا هو	أنه إله واحد لا إله إلا هو
١٩٨	—	سقوط فاصل بين المتن والحاشية	إثباته
٢٠٠	٧ ، ٨	الحراني اليماني	الحراني ثم اليماني
٢٠٠	١١،١٢	أبيه طاوس	أبيه هو طاوس
٢١٠	٤	وأنكم	وإنكم
٢١١	٩	يدعو إلى	يدعو الناس إلى
٢٢٧	٧	أوصاف لا	أوصاف عديدة لا
٢٢٩	١٣	بني	ولهذا بني
٢٤٧	٢٢	وشهرت	وظهرت
٢٥٠	٧	بالغزو	في الغزو

جاء في صفحة ١٠ من ترجمة المؤلف عبارة (والمائة بعد الألف) والصواب (والمائتين بعد الألف) كما سقطت النجمة والفاصل بين الحاشية والتعليق في ص ٥٩ قبل عبارة (نص المخطوطة هنا) وسقط ايضا قبل عبارة (صححنا رواية ابن عساكر) في ص ١٨٨ وسقط الفاصل فقط في بعض التعليقات الا أن وجود النجمة مع ذلك البعض يوضح الأمر للقارىء لما بينا في المقدمة وجاء في ص ٢٠٥ آخر السطر لفظ (ثقاته) والصواب (ثقات) .